تصدير
للدكتور مهدى علام

إنما يعرف الفضل من الناس ذووه

شرفني صديقي وزميلي الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان - عضو المجمع - بإطلاعي على «وثيقة» وفاء كريم بينه وبين صديقنا وزميلنا المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش وسمح لى (بعد تردد) بالتصرف فيها بما يتمشى مع ما تحلى به المرحوم الدكتور الدمرداش، من رفيع الأخلاق، وصادق الوفاء، مع شاعريته التي كانت تتمثل دائماً كلما حل موقف لوجدان صادق في نفسه.

وفى هذه «الوثيقة»، التي هي بخط المرحوم الدكتور الدمرداش بتعبيره عن شعوره نحو صديقه وزميله الدكتور أحمد السعيد سليمان، بالإشادة بما هو معروف لنا جميعاً عن الدكتور السعيد، من نبل خلق، وصدق وفاء، وعلم غزير في عمقه وشموله.

وهذه «الصحيفة» قصة تشع حباً ووفاء وإخلاصاً.

فاستأذنت صاحبها، الدكتور السعيد، أن أنشرها قصةً ونصاً. ذلك أنه كان قد سعد بإعطاء الدكتور الدمرداش نحو عشرين درسا في اللغة التركية. وشاء المرض أن يحجزه في المستشفى. وفى يوم زاره فيه الدكتور السعيد، استند المريض المضنى إلى وسادة سريره، وكتب في ورقة ما كان مقدراً أن يكون آخر شعره قبل وفاته بعام. (وأنا في غير حاجة أن أذكر أن هذا المهندس العالمي. كان شاعراً يقول الشعر صادقاً محكماً)

ولقد كان الدكتور السعيد متردداً في موافقته على نشر هذه الأبيات، لأنها إطراء له وبين تردده هذا، ورغبته في إثبات فضل الفقيد، أمكنني أن أحصل على موافقته على نشرها في مجلة المجمع بخط صاحبها

وأنا فخور أعظم الفخر بأن الدكتور الدمرداش كان لى من الخلصاء، وبأنني أعتبر الدكتور السعيد في أعز منازل الإخاء.

المعادى - ٦ من ربيع الأول سنة ١٤٠٨ هـ

٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٨٧ م.

مهدى علام

الرواسب الأعرابية في لغة مضر

للدكتور عمر فروخ

أُريد بكلمة أعرابيَّة هنا مايشير إليه الباحثون عادة بالتعبير « ساميّة » أو اللغات السامية هذا تعبير سكَّه نفر من الدارسين للتوراة ، فى سنة ١٨٣٦ للميلاد . وعَنَوْا به أن لغات البشر افترقت بافتراق أولاد نوح الثلاثة سام ، وحام ، ويافث وبما أن هذه التسمية خاطئة ، وبما أن اللُّغات التى يتكلَّمها فى غربىّ آسيا وفى النصف الشمالىّ من قارة إفريقية (من أقصى شرقىّ إفريقية إلى أقصى غربيّها) قد نشأت ، فيما يرى نفر من الباحثين ، فى حياتنا البدوية أو الأعرابيَّة وفى شبه جزيرة العرب فى الراجح .

وإنِّى أميل إلى أن أسمِّى لغاتنا العَقَديَّة (ويقولون الآكَّاديَّة والأكدية) والبَابليَّة والأشوريَّة والآراميَّة والحبشيَّة والعربيَّة وأخواتها كلها وبناتها : اللُّغات الأعرابيَّة ومن الإنصاف والحقّ أن أقول إنَّ هذا التبديل فى هذه التسمية اقتراح لزميلى وصديقى الدكتور زكى النقَّاش المولود عام ١٨٩٦ . مد الله فى عمره ومتَّعه بالصِّحَّة والطمأنينة

* * *

بدأ هذا الموضوع – موضوع الرواسب فى اللُّغة العربية – يتجلَّى لى فى أثناء دراساتى اللغويَّة والأدبية ورجوعى المتكرِّر إلى القواميس وكتب اللغة . وأوَّل ما أثار اهتمامى كان وجود المترادفات والأضداد فى اللغة إذا كانت ألفاظ اللغة للتعبير عن مدارك ومُسمَّيات معيَّنة . فلا يجوز أن يكون فى اللغة كلمة تدلّ على مدركين ولا أن يكون فى اللغة لفظان يدلَّان على مدرك واحد

لماذا نقول : « مَرّ » للشخص الذى يقطع المسافة أمامنا من جانب إلى آخر ، ثمّ نقول : « مُرّ » للشيء الذى يصبح طعمه قابضًا لألياف اللّسان (بخلاف ما يفعل الطعم الحلو) ؟ ونَهَرَ ونَهْر ؟

لماذا يكون معنى « الجلَل » . الشيء الكبيرَ العظيم ثمّ الشيء الصغير الحقير ، ويكون من الأضداد ، كما جاء فى المعجم الوسيط (طبعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ١ : ١٣١) ؟

ثمّ بدت لى - فى أثناء دراستى القديمة والحديثة - أمور مغايرة للمنطق فى الصرف والنحو .

لماذا يكون الفعل « هلك » (بمعنى مات) من باب ضرب ومنع وعلم (فى القاموس المحيط ٣ : ٣٢٤) ، ومن باب ضرب ومنع (كما فى المعجم الوسيط - ٢ : ٩٩١) ؟ إنّ المنتظر أن يكون هذا الفعل « هلك » من باب علم مثل مرض ، وفنى ، وبرئ المريض يبرأ (ونترك الان سمع ، وقطع ، وفعل وعمل) .

ثمّ بدت لى - فى أثناء دراستى - أمور مغايرة للمنطق فى لغة مُضر ، وعذّب الأساتذة بها ألسنتنا وعقولنا فى تخريجها وإعرابها ؛ كقول الشاعر القديم .

يا أيهـا الرجل المزجى مطيّته
سائل بنى أسد : ما « هذه » الصوت ؟

أو قول الاخر ،

إنّ أبَاهـا وأبا أبَاهَـا
قد بَلَغَـا فى المَجْـد غَايتَاهَا

أو كقول امرئ القيس فى معلّقته :

فَعَـادَى عِدَاءً بين ثور ونعْجَة
دِرَاكا ولم يَنْضَح بماءٍ فيغسلِ

والقاعدة فى النحو المضرىّ :

ولم ينضح بماء فيغسلا

وكقول امرئ القيس نفسه فى معلقته أيضًا :

كَأن ثبيرا فى عرانين وبله
كبير أُناس فى بجاد مزمّل

والقاعدة فى النحو العربى المضرىّ .

كبير أُناس فى بجاد مزمّل (برفع مزّمّل) .

هذه كلُّها بلا ريب أخطاءٌ لا تستحقّ أن يُفتح لها أبواب فى كتب اللغة وكتب النحو. والحلّ الصحيح لهذه الشواذ أن نقول: إنّ امرأ القيس وزميليه من قبله قد أخطأوا «وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ»

غير أن هنالك أشياء أُخرى لا سبيل إلى عدها أخطاء شخصيّة، لكثْرَةِ وُرودها فى الشعر والنثر وفى القرآن الكريم أيضًا، حتّى إنها تمثّل قاعدةً لا شكّ فيها كنت مرّة أُحادث صديقًا فى هذا الموضوع، وكان من الذين يريدون أن يفتحوا لكلّ خطأ بابًا فى النصوص القديمة والحديثة أيضًا بابًا فى تاج العروس أو فى ألفيّة ابن مالك ولمّا أعيانى تمسّكه بالمستحيلات، قلت له.

أعرب بيت عنترة (أو البيت المنسوب إلى عنترة):

سكتُّ فغرّ أعـدائى السُّكوت

وظنّونى لأهـلى قد نَسِيت

وموضع الشاهد هنا. ظنّونى «لأهلى» قد نسيت

فقال صاحبى:

– اللام حرف جرّ زائد.

– لأهلى: مجرورٌ باللام، بحرف الجرّ الزائد.

– نسيت: فعل وفاعل.

فقلت له حينئذ:

كيف تكون اللام حرف جرّ زائدًا ثمّ تعمل عمل حرف الجرّ الأصيل فتجرّ الاسم الذى جاء بعدها؟ ثمّ إنّ الفعل «نسى» فعل متعدّ، فأين مفعوله؟ فلم يتردّد صاحبى فى أن يقول: إنّ كلمة «أهلى» هى «المفعول به» هنا. وسأرجع إلى هذه اللام فى صلب هذا الموضوع.

من هذه النقطة أصبح للموضوع حدوده المرسومة.

من أين جاءت هذه اللام الداخلة على كلمة «أهلى» فى بيت عنترة؟

اللّغة العربيّة المضريّة لغة أعرابيّة مثل أخواتها الأشوريّة والآراميّة والحبشيّة، والعبريّة وسواهنّ. ولكنّ اللغة العربية المضريّة أوفر حظًّا من جميع أخواتها فى أمرين لا جدال فيهما:

* إنّها لا تزال إلى اليوم حيّة محكيّة مقروءة مكتوبة كما كانت فى أيام الشعر

الجاهلي الأول الذى وصل إلينا من القرن الثالث قبل الهجرة (الرابع للميلاد) .

أما أخوات اللغة العربية . فقد انقرض عدد منهن كالبابلية والكلدانية ، والأشورية ولم يبق منهن سوى عدد من النصوص تقل أو تكثر ومنهن ما لم يبق منه إلا ألفاظ قليلة كالكنعانية (المعروفة عند بعض من الباحثين بالفينيقية) وأما اللغات التى بقيت حية من أخوات اللغة العربية المصرية كالعبرية والحبشية ، أو كالحية كالسريانية — إلى حد ما — فقد خسرت كثيرا من خصائصها الأولى .

* إن اللغة العربية لا تزال تحتفظ بالإعراب كاملا أو كالكامل (لأننا — لا نعرف اليوم مدى الإعراب الذى كان لها من قبل — ولكننا نعلم أن فى اللغات الجرمانية ، (كالألمانية والنروجية ، والأيسلندية خاصة) وجوها من الإعراب أكثر كثيرا مما فى اللغة العربية ، وفيما يتعلق بأداة التعريف التى لها فى اللغة العربية صورة واحدة ، نجد لها فى الألمانية عددا كبيرا من الصور ثم عددا أكبر فى اللغة الأيسلندية . ومن الأمثلة القريبة على ذلك أن للمجرور وللمضاف فى اللغة العربية حالة واحدة من الإعراب ، على حين لهما فى اللغة الألمانية حالان .

٣

بعد هذه الملاحظات اليسيرة نتقدم إلى الإتيان بعدد من الأمثلة لنرى ما الفرق بين الكلمة العربية المصرية الخالصة وبين الكلمة الراسخة فى اللغة العربية من لغة أعرابية هى أخت للغة العربية أو من لغة غير أعرابية

إن الكلمة العربية هى الكلمة التى انتسجت فى الصيغ العربية وتقلبت فى أحوال الإعراب العربى ، سواء أكانت تلك الكلمة من أصل أعرابى شقيق للغة العربية أو كانت من أصل غير عربى . إننا إذا أخذنا اللفظ من لغتنا ثم رأينا له أصلا فى لغة أعرابية ، فليس معنى ذلك أن هذا اللفظ غير عربى .

خذ مثلا كلمة « قتل » فى اللغة العربية المصرية ، فإن معناها عندنا فى العربية المضرية « أمات » . غير أننا فى لغتنا المحكية نلفظها (قطل) (مفخمة بالطاء) ونقصد بها « ضرب »

ونلتفت إلى الآرامية والعبرية فنجد هذا النمط نفسه بالطاء ، ومعناه قتل (أمات)

أمّا فى العربيّة فله معان أكثر : القتل ، الذبح ، القطع (ولعلى رأيت أنّها فى لغة أعرابية قديمة - الأشورية - ؟ تعنى « ضرب » فهل يجوز لنا أن نقول إن الفعل « قتل » لفظ دخيل فى العربيّة أو معرّب ؟

وفى القاموس العربى معان غريبة من جذور مألوفة منها « قصد » فى هذا الجذر صيغ معانيها استقام ، اتّجه ، توسّط فى أمر من الأمور فلم يسرف ، اعتدل . ولكن إذا نحن استمررنا فى قراءة صيغ « قصد » وجدنا « أقصد » تعنى طعن ، أصاب مقتلا من خصم هذا المعنى من القتل هو معنى الفعل « اقشد » فى الأشوريّة فهل يجوز لنا أن نقول إنّ الفعل « قصد » لفظ دخيل على اللغة العربية المصريّة ؟

وهناك فى القاموس العربىّ كلمة لا شكّ فى أن أصلها غريب ، هى كلمة دينار (وهى من كلمة « ديناريوس » اللاتينية) ولكنّ هذه الكلمة لمّا دخلت فى اللغة العربية تقلّبت فى صيغ مختلفة ، فجاء فى تاج العروس دنّر (بالبناء للمعلوم) وجهه تدنيرًا : تلألأ ودُنِّر (بالبناء للمجهول) الرجل فهو مدنّر ، إذا كثرت معه الدنانير. والمدنّر أيضًا ما كان فيه بقع مخالفة لسائر لونه ودينار مدنّر . مضروب أومسكوك . وجمعوا دينارًا على دنانير (مثل ميرات على مواريث . ومزمار على مزامير) وسموا أولادهم دينارًا (للذكور) . ودنانير (للإناث) ونسبوا إلى دينار فقالوا . شراب ديناري ثمّ دخل عدد من هذه الصيغ فى الشعر فبطلت هذه الكلمة أن تكون دخيلة مع الإيمان بأن أصلها قد جاء إلى لغتنا من لغة أخرى غير أن كلمة « جلّنار » (زهر الرمّان) تظلّ دخيلة فى اللغة العربيّة - وإن جاءت فى الشعر العربىّ - إذ قال الشاعر الأندلسى ابن لبال - ولعلّه أبو الحسن علىّ ابن أحمد الشريشى المتوفى سنة ٥٨٣ هـ (راجع نفح الطيب ٣ ٤٤٢ والحاشية الخامسة) :

هجم دكا ؟ فى حشـاه أحمر
فقلت مسـك وجلنـار

ذلك لأنّ هذه الكلمة قد لزمت صيغة واحدة ، ولم تنتسج فى الأبنية العربيّة

بعد هذه الجولة القصيرة يجب أن نرى عددًا من الكلمات العربية التى هى فى الحقيقة رواسبُ أعرابيةٌ فى لغتنا المصريّة .

* قال النابغة الذبيانى فى معلّقته .

فلا ، لعمرُ الّذى مسّحْت كعبته
وما « هُريقَ » على الأصنام من جسد

وقف الفيروزابادىّ صاحب « القاموس المحيط » أمام هذا الفعل « هريق » ، فلم يهتد إلى وجهه فلم يشر إليه فى فصل الراء من باب القاف فى « ريق » . ومع ذلك فقد قال بعد الجذر « ريق » (٣ : ٢٣٩) :

... راق الماءُ (بالرفع) : انصبّ ...
وهو يريق بنفسه عند الموت : يجود بها .
وأراقه : صبّه (٣ : ٢٤٠) .

إنّ المعنى العام فى هذا الجذر وارد فى قول الفيروزابادىّ هنا ، ولكن الفيروزابادى لم يفطن إلى أن « هراق » صيغة من « ريق » (أو من « راق يريق ») . من أجل ذلك أورد هذه الصيغة الغريبة فى مكان آخر (٣ : ٢٩٠ – ٢٩١) وفصّل الكلام فيها فقال :

هراق الماء يُهَريقه ، بفتح الهاء ، هِراقة بالكسر ، وأهرقه يُهريقه إهراقًا ، وأهراقه يُهَريقه إهرياقًا ، فهو مُهَريق ، وذاك اسم المفعول من صيغة « أهرقه يهريقه ») مهراق ، صبّه . وأصله أراقه يريقه إراقة . وأصل أراق أريق ، وأصل يريق يُرْيِق ، وأصل يُرْيِق يؤريق . وقالوا : أهريقه ولم يقولوا : أأريقه لاستثقال الهمزتين وزنة يهريق ، بفتح الهاء ، يهفعل . ومهراق بالتحريك : مهفعل . وأمّا يهريق ومهراق ، بتسكين هائهما (أو هائيهما) ، فلا يمكن أن ينطق بهما ، لأن الهاء والفاء جميعًا ساكنان ...

لا شكّ فى أن الحسّ اللغوى عند الفيروزابادى كان فى هذه الملاحظات مرهفًا ، ولكنّه وصفَ ظاهر الأمر ولم ينفذ إلى لبّه ، إلى الواقع اللغوى ، لأنّه لم يكن يعرف اللغات الأعرابيّة .

وهنالك فى اللغة العربيّة فعلان آخران يجريان هذا المجرى هما . « هراح – هراد » . غير أن الفيروزابادى لم يفطن إلى الأوّل منهما ، ولكنّه أشار عرضًا إلى الثانى منهما فقال : (١ – ٣٤٨) : هرده يهرده : مزّقه وخرّقه . و (هرد) اللحم : أنعم إنضاجه أو طبخه حتّى تهرّأ كهرّده فهرد ... وهردت الشيء أهريده أردته أريده ...

والمرتضى الزَّبيدى لم يثبت الفعل « هراح » ، ولكن لمَّا شرح قول الفيروزابادى : « هردت الشيء أهريده : أردتُه أريده ، قال : « كهراقه يهريقه » (تاج العروس الكويت ٩ : ٣٤٤).

هنا يأتى عدد من الملاحظات :

– إنّ هذه الأفعال الثلاثة : هراح يهريح ، هراد يهريد ، هراق يهريق أفعال رائيَّة (تبدأ براء).

– ثمَّ هى يائيَّة مجرَّد جذرها : ريح يريح ، ريد يريد ، ريق يريق

– ثمَّ هى مزيدة بالهاء لا بالهمزة ، فهى . هراح (فى مكان أراح) ، هراق (فى مكان أراق) ، هراد (فى مكان أراد).

– ولكنَّ الهاء التى هى هنا من حروف الزيادة قد ثبتت فى صيغة المضارع (مع أن همزة الزيادة تحذف فى الفعل المضارع فى اللغة العربيَّة . فنحن نقول اليوم : أكرم يكرم (لا أكرم يأكرم) ، ونقول : أسلم يسلم (لا أسلم يأسلم)، وإن كان العوام يقولون ذلك . يقولون يأسلم ، يأضرب ..

هذه الأفعال الثلاثة الشَّاذَّة هى رواسب من اللغات الأعرابية متحدرة إلينا من عصور بعيدة . فالأعرابيُّون القدماء (أو جماعة منهم على الأقل) كانوا يقولون فى قتل : قَتَال (بفتح ففتح ممدود ففتح) وأما الهاء فهى فى العبرية مثلا من حروف الزيادة ، يقولون هفعيل ، كما نقول نحن : أفعل .

من أجل ذلك ، يجب علينا إذا نحن أتينا إلى بيت من الشعر وردت فيه كلمة من هذه الكلمات الثلاث أن نصرف ذلك البيت على أنَّه شاذ فى استعمال تلك الكلمة من غير أن نتمحَّل له التخريجات .

واحتاج الشاعر أبو تمَّام إلى هذه الكلمة « هراق يهريق » فعدَّ الهاء فيها أصلية ، كما عد الألف بعد الراء زائدة ، فقال :

لَبَيَّنْتَ صوتاً زبطريًّا « هرقت » له
كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

ثمَّ جاء شاعر متأخر هو أحمد بن أحمد العناياتى النابلسىّ المتوفى سنة ١٠١٣ للهجرة وكان قد رأى هذه الكلمة فى بعض قراءاته من غير أن يدرك حقيقتها ، فذكرها فى

شعره بصيغتين اثنتين (بسكون الهاء وبفتح الهاء) فقال :

كتب الدَّمع فوقَ مهراق خدِّى

كم دمٍ طلَّ فى الْهَرى مهراق ،

* جهنَّم . جهنَّم كلمة دخيلة فى اللغة العربية . وهى فى القاموس المحيط (٤ . ٩٢) منونة ومعناها فيه «بعيدة القعر» وهى من الآراميَّة جهنَّا بجيم ظاهريَّة ممالة وهاء مفتوحة ثم نون متبددة مفتوحة فى الآراميَّة ومضمومة فى السريانية) وهذه الكلمة انتقلت إلى اللغة العربية من الآرامية لا من السريانية بدليل أن النون فيهـا مفتوحة وقرينة ثانية دليل على ذلك . أن القاموس المحيط يورد الكلمة نفسها بالمد « جهنَّام » . وأمَّا الميم فهى للتعريف وهى مأخوذة من العربية الجنوبيَّة وعلى هذا فيجب أن تكون لفظة «جهنَّم» ممنوعة من الصرف (بخلاف ماذكر القاموس المحيط) . وهى فى القرآن الكريم ممنوعة من الصرف

ثمَّ إن ورود لفظ «جيهينوم» فى العبريَّة اسمًا قديمًا لمكان قرب مدينة القدس لا يمنع القول فى أنَّ الميم هنا أيضًا للتعريف وليس من قصدنا الآن الخروج من الرواسب فى اللغة العربية إلى الرواسب فى اللغة العبريَّة .

* وكلمة الفردوس فيها شىء من الخلاف أو شيئان من الخلاف فالشىء الأول أهى عربيَّة أم أجنبيَّة ؟ والشىء الثانى أهى من الروميَّة (اليونانيَّة) أم من الفارسيَّة ولقد تردَّد القاموس فى ذلك كله . (راجع تاج العرس – الكويت ١٦ ، ٣٢١)

ولسنا الآن فى معرض الفصل بين أن تكون هذه الكلمة من الروميَّة أو من الفارسيَّة ، إذ هى على الوجهين من أصل أعجمى أمَّا الخلاف فى أنَّها من الروميَّة أو من الآراميَّة فله محل البحث هنا ، فإنَّ العرب لم يتلقَّوا الألفاظ الروميَّة (اليونانية) والعلوم اليونانية من اليونان رأسا . بل بوساطة اللغة الآرامية (السريانية)

ولفظة فردوس جاءت فى اللغة العربية فى صيغ عديدة ومعان مختلفة وجاءت القرآن الكريم مرتين « الفردوس » ، (بالتعريف ، كما جاءت فى شعر حسَّان ابن ثابت مجرَّدة بلام التعريف) .

ولعلَّ هذه اللفظة لا ترجع إلى اللغة اليونانيَّة ولا إلى اللغة الفارسيَّة ، بل إلى

اللغات الخاصّة بشرقي آسيا ، فلقد جاءت في الهندية وفي الأرمنيّة بمعنى البستان وأمّا إذا نحن أخذنا برأي القائلين بأن الكلمة عربيّة ، فإنّها تكون حينئذ من الرواسب الأعرابيّة .

* اللام الدّالة على المفعول به :

كانت اللغات الأعرابيّة ـ مثل كثير من اللغات القديمة ـ معربة ثمّ بدأت تحسر حركات الإعراب . ومنذ زمن موغل في القدم زال الجانب الأوفر من الإعراب من لغات كثيرة . غير أن اللغة العربية ما زالت إلى اليوم معربة .

والغاية من الإعراب أن يكون دالاً على أحوال الكلام فنعرف الكلمة العاملة (التي تقع بالفعل على غيرها) من الكلمة المعمولة (التي يقع الفعل عليها) وفي عدد من الأحوال نعرف ذلك من طريق المنطق من غير حاجة إلى علامة ، مثال ذلك .

ـ قطع السيف اللحم أو قطع اللحم السيف .

ـ شرب سعيد ماء أو شرب ماء سعيد .

وكذلك إذا نحن جئنا إلى ألفاظ لا تظهر عليهـا ـ في نحونا الحاضر ـ علامات الإعراب ، لم نر الأمر يختلف في الجانب المنطقيّ ، كقولنا :

ـ أكل موسى الكوسى أو أكل الكوسى موسى

غير أن هنالك أحوالًا لابدّ من مراعاة الإعراب فيها حتّى يتّضح معناها ويصحّ . فإذا نحن قلنا زارت ليلى سلمى ، فمن الزائرة ، ومن كانت المزورة ؟

سيقول نفر . إن صاحب الاسم المتقدّم هو الذي زار ، وإن صاحب الاسم المتأخّر هو الذي زير هذا مقبول في العرف لا في المنطق ولكن هنالك أحوالًا لابدّ فيها من الدلالة الماديّة على أحد الاسمين من أجل ذلك لجأ الأعرابيّون القدماء ، فيما يبدو ، حينما فقدت لغاتهم علامات الإعراب المألوفة من قبل ، إلى أن يجعلوا في أول المفعول به لامًا لتمييزه من الفاعل (ولعلّهم استبقوا هذه اللام من لغة سابقة) ، وأصبح ذلك قاعدة في اللغة السريانية في عدد من الأحوال .

وعندى أن هذه اللام يجب أن تكون أقدم من اللغة السريانية ، لأنّ السريانية التى خسرت علامات الإعراب يجب أن تكون لغة أحدث عهدًا من اللغات التى كان فيها إعراب . ولنا دليل آخر فى وجود هذه اللام فى مواضع كثيرة من كلامنا وفى أدبنا وفى القرآن الكريم أيضًا . لقد مرّ بنا قول عنترة : « وظنّونى لأهلى قد نسيت » .

وقد أعنانى « المعجم الوسيط » عن تتبع عدد من الشواهد هنا وهنالك لمّا نصّ (٢ : ٨٠٩ ، العمود الثانى ، الرقم ١٣) على أن اللام تأتى للتعدية .

كما نصّ أيضًا (العمود الثالث فى السطر الواحد والعشرين) على أنّها تدخل على المفعول الثانى كقول بعضهم : « أراك لشاتمى » . وقد سمى المعجم الوسيط هذه اللام مرّةً « لام التقوية » (العمود الثانى ، السطر السادس من أسفل) وأورد شاهدًا عليها الآية الكريمة : « لِلَّذِين هُم لِربِّهم يرْهبُونَ » (أى للذين يرهبون ربهم) .

وقد كنت أود أن أمضى فى المصحف فآتى بشواهد على هذه اللام (التى أسميها أنا « لام المفعوم به ») ، نحو : « حافِظَات لِلْغَيْب » (٤ : ٣٤ ، سورة النساء) مكان حافظاتٍ الغيب ، ونحو : « وما كُنَّا لِلْغَيْب حافِظِين » (١٢ : ٨١ ، سورة يوسف) مكان وما كُنّا حافظين الغيب . غير أن المعجم الوسيط قدكفانى مؤونة ذلك الآن .

وفى تاج العروس (الكويت ٦ : ٤٤٧) سبّح الرجل قال : سبحان الله . وفى التهذيب : سبّحت الله تسبيحًا وسبحانا بمعنى واحد . فالقاموس ، إذن ، قد جعل الفعل « سبّح » متعدّيًا بنفسه فحسب . ولكنّ هذا الفعل نفسه قد ورد فى القرآن الكريم متعدّيًا بنفسه ومتوسعًا بهذه اللام التى تسمّى لام التعدية . ففى القرآن الكريم : « وتُسبِّحُوه بُكْرَةً وأَصِيلًا » ، و « ويُسبِّحُونَهُ ولَهُ يسْجُدُونَ » و « كَى نُسبِّحَكَ كَثِيرًا » و « سبِّح اسْم ربِّكَ الأَعلى » ثُمَّ « سبَّح للهِ ما فى السَّمٰواتِ وما فى الأَرْض » و « تُسبِّح لَهُ السَّمٰواتِ السَّبْع والأَرْض » ، وسوى ذلك من الآيات .

* حذف الياء المتطرِّفة آخرًا (فى اللغة العربية) حطًّا ولفظاً فى عدد من الأحوال . هذه الياء تحذف فى الآراميّة لفظًا لا خطًّا

ويجعل على الياء خط معترض للإشارة إلى إهمالها فى اللفظ .

وأنا هنا أريد أن أجعل شواهدى مأخوذة من القرآن الكريم ، ولا أعرف تعليل ذلك هذه الشواهد هنا .

- « ذَٰلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ » (١٨ : ٦٤ ، سورة الكهف) .

- « الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * والَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * والَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ » - (٢٦ . ٧٨ - ٨١ ، سورة الشعراء) .

- « فاتَّقوا الله وأطيعون » (٢٦ : ١٠٨ ، ١٠٠ ، ١٢٦ ، سورة الشعراء) .

ولما وصل الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة مهاجرًا تلقَّاه أهلها منشدين :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداعْ

وجب الشكر علينا
ما دعا لله داعْ

أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاعْ

والشاهد هنا « ما دعا لله داع » . ويجوز فى هذه القوافى كلِّها الكسر مع الإشباع . وهذا يدل على أن العرب عَرَفوا حذف الياء المتطرفة من الأسماء أيضا بالإضافة إلى الأفعال .

* الهزبر فى تاج العروس (الكويت ١٤ : ٤٣٣) : الأسد ، والشديد الصلب.
وقال صاحب التـــاج : واختُلف فى الهربر ، فقيل رباعى ، وهاؤه أصلية وقيل : الهاءُ زائدة وأصله من الزبر . والزبر أيضاً معناها الشديد الصلب .

ولعلّ الهاء هنا أداة تعريف دخلت على كلمة زبرلتخص بها الأسد . ثمّ بقيت صورة هذه الكلمة فى الذاكرة العربية دهرًا طويلا فنسى الناس أنَّها معرَّفة فحلَّوْها بلام التعريف العربية أيضاً . وعلى هذا قول بديع الزمان الهمذانى (ت ٣٩٨ هـ) فى إحدى مقاماته على لسان بشر بن عوانة

أفاطم ، لو شهدت ببطن خبت
وقد لاقى الهزبر أخـــاك بشرًا

إذا لرأيت ليثـــا رأمّ ليثـــا :
هزبرًا أغلبا لاقى هزبرا

وتعدّد أدوات التعريف فى عدد من الأسماء عند انتقالها من لغة ألى لغة معروف فى اللغات كلّها . أما الأداتان للتعريف فمألوفتان :

مرّت كلمة « المُنَاخ » العربية (مبرك الإبل ثم أحوال الجو) إلى عدد كبير من اللغات مع أداة التعريف العربية .

almanach (Fr), almanac (Eng), Almanach (Ger), almanacco (It), almanaque (Sp) almanak (Dut.). etc

وأهل تلك اللغات يقدّمون على الكلمة العربيّة المحلّاة بلام التعريف العربية أداة التعريف عندهم فيقولون مثلا :

L'almanach, tha almanac, dar almanach etc.

وفى عدد من الأحيان تأتى لام التعريف العربية فى الكلمة المنتقلة إلى اللغة الإسبانية أو فى آخرها ، أو فى أول الكلمة وفى آخرها معا ، نحو almargal (المرج) ثم يدخل الإسبان عليها أداة التعريف عندهم ، فتصبح كلمة « المرج » فى اللغة الإسبانية معرّفة ثلاث مرّات : el almagral

* المنادى المقصود بالنداء :

نحن نقول فى إعراب « يا رجلُ » : رجلُ منادى مقصودٌ بالنداء مبنى على ما يرفع به ، وهو معرفة فمن أين جاءت الضمّة ، ولم أصبح الاسم المنادى هنا معرفة ؟

نحن فى النحو ، عندنا وعند غيرنا ، لا نسأل كثيرًا عن أسباب علامات الإعراب ، وإن كان لذلك كلّه أسباب واضحة ، ولكن فى الزمن الأقدم من حياة اللغة .

ونحن نعرف أيضاً أنّ كلمة كلب كانت فى اللغة الأعرابية العامّة العقدية الآشورية (بمدٌ قصير) .

كلبون (فى الرفع) وكلبين (فى الجر) وكلبان (فى النصب) كلّها بمد قصير ، ثم أصبحت : كلبو ، كلبِى ، كلبًا (بمد قصير أيضاً وبغير نون) .

ولعلّنا من أجل ذلك قلنا فى المنادى . يا رجلُ (معرفة) ويا رجلاً (نكرة)

* ويقف المرتضى الزبيدىّ (تاج العروس الكويت ٢ . ٥٢٤) أمام كلمة « أرنب » ويضعها فى باب « رنب » ثمّ يقول . « هو فعلل عند أكثر النحويّين

وأما الليث فزعم أن الألف زائدة وقال : لا تجىءُ كلمة فى أوّلها ألف فنون أصليّة إلّا أن تكون الكلمة ثلاثة أحرف مثل

الأرض . » . بعدئذ تردّد الفيروزابادى بين أن تكون « أرنب » مذكرة أو مؤنّثة وأورد فى ذلك أقوالا للأُدباء واللغويين والأرنب الذى هو الحيوان المعروف تجمع على أرانب .

ثم يورد الفيروزابادى كلمة « أرنبة » (طرف الأنف ، وجمعها أرانب أيضاً (٢ ٥٢٥)

والأرنب فى الأشوريّة « أنّا با » — والهمز فيه أصلية ، وجذرها « أنب » ، وهى مؤنّثة بدلالة الألف المتطرّفة آخرًا — . وبما أنّ العرب يكرهون التضعيف ، فى كثير من الأحيان ، فقد أبدلوا النون الأُولى فى « أنّابا » راء (وقد كان بالإمكان أن يجعلوا مكانها لاما أو حرفاً آخر قريباً من النون أو بعيدًا عنها) وكُرْه العرب — فى الأكثر — للتضعيف محتاج إلى درس مستقلّ) . أما فى الآرامية (السريانية) فالهمزة فى «أرنب» زائدة .

وإذا قلت أنا : إن هذه الكلمة من الأشوريّة ، فليس معنى ذلك أنّها غير موجودة فى العقدية (الأكدية) أو غيرها من الأعرابيّات .

* وهنالك كلمة دخلت فى القاموس لأنها سُمِعَتْ فى بعض القبائل ، فيما أحسب ، ولكن لم أرها فى نصّ أدبى ، هى

السرنشاء بفتح ففتح وبالشين المعجمة ، أو بفتح فسكون (وبالشين أيضاً) .

وقد ترد بالسين معرّفة وغير معرفة ، وقد تأتى بالمدّ . برناسا أى بالألف المقصورة وقد تأتى مهموزة ، كما تأتى فى عدد من الأشكال الأخرى

ولسنا الآن فى تتبع صيغ هذه الكلمة على ألسنة نفر من أشخاص القبائل ، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن هذا التعبير « برناشا » تعبير آرامى معناه بنى آدم أو الناس . (راجع فى ذلك كلّه تاج العروس — الكويت ١٥ . ٤٤٨ و ١٧ ٧٩)

* وهناك شواهد جمة منها .

— ليس من برم صيامٌ فى مُسفر .

— قول طرفة (والشاهد فى قوله . «قدى »)

فى وصف سيفه

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة

إذا قيل مهلا ، قال حاجزه : قدى

ـ قول النابغة : (والشاهد فى « فقدِ » بكسر الدال) :

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا مع نصفه فَقَدِ

ـ وقول النابغة أيضا : (والشاهد فى « قد » بكسر الدال) :

أفِدَ الترحّل ، غير أن ركابنا
لما تزُلْ برحالنا وكأن قَدِ

أما إذ نحن أتينا إلى ليس ، وليت ، ولات ، وأيم ، ولعمرى ، فإننّا نقف حينئذ أمام أمواج تتلاطم .

والذى أريده من هذا البحث أن اللغة العربية ـ ككل لغة أخرى ـ قد بقى فيها من الأصول القديمة أشياء لا تنطبق عليها القواعد المقبولة فيها اليوم . فليس من الضرورى فى مثل تلك الحال أن تمتح الصفحات الواسعة لتعليل وتخريج يكونان فى أكثر الأحيان خيالاً شخصياً ربما أصاب الحق وربما لم يصب الحقّ فمن المستحسن أن نمر بهذه الرواسب بالكلمة المعروفة « كذا وردت » .

ولا بدّ فى ختام هذا المقال من كلمتين : كلمة تتعلق بعلماء اللغة عندنا ثم كلمة تتعلّق بى .

أوّلا : كان علماء اللغة القدماء عندنا وعلماء النحو وعلماء الفقه يحيطون بعدد كبير من وجوه المعرفة الإنسانية ، فالإمام مالك بن أنس ، والإمام أبو حنيفة ، وسيبويه ، والمرتضى الزبيدى ، وأمثالهم ، تنكشف بحوثهم عن معارف فى الحساب والجغرافية والفلك والتاريخ . وكانوا إذا أرادوا تعليل أمر أو تخريج قول أحالوا عقولهم فى ميادين تلك المعارف ، فكانوا يصيبون كثيراً ولا يخطئون ، أو يخطئون قليلا .

أمّا فى أيامنا فهنالك وهْمٌ اسمه الاختصاص : نجد فيه قوماً لا يعرفون إلّا اللغة ويقولون : هذا اختصاصنا وهذا فى الحق خطأ إنَّ الاختصاص هو الإحاطة بميدان واسع من نطاق المعرفة الإنسانية ثمّ التوفُّر على جانب محدود معيّن منه . وإلّا ، فالذى لا يعرف إلّا اللغة لا يعرف اللغة .

بين يدى كتاب نحو فى شرح ألفيّة ابن مالك فى جزئين ضخمين يقلاّن قليلا عن ألف وأربعمائة صفحة بدأ الشارح شرحه بمطلع الألفية

قال محمّد هو ابن مالك

أحمد ربّى الله خير مالك

فقال :

- قال : فعل ماض .

- محمد : فاعل .

- هو : مبتدأ .

- ابن . خبر ، الخ الخ . وهو يعرب كل كلمة فى هذه الألفية .

وكنت أقلب هذا الشرح الذى يقرؤه أهل الاختصاص فوقع نظرى اتّفاقاً على هذا البيت من الألفيّة (ص ٢٦١) .

ومثلُ كان مسبوقاً بما

كَأعْطِ مادُمْتَ مُصِيباً دِرهَمَا

فإذا الشارح يقول (ص ٢٦٢) .

« أعط المحتاج درهما ما دمت مصيباً » .

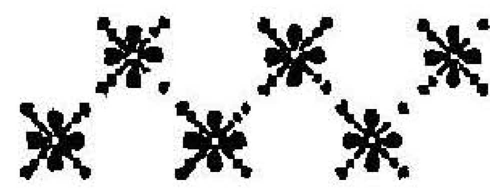
ويبدو لى أن هذا الشرح لم يستقم عنده (ولا هو استقام عندى أيضاً) فزاد الشرح قائلا أى مدة دوامك مصيباً » وكانت هذه الجملة أشد استغلاقا من أختها الأولى فأضاف جملة ثالثة هى « والمراد ما دمت تحب أن تكون مصيباً » فزاد بهذا الشرح الثالث تعقيدًا ثالثاً .

أما المعنى المقصود ، وهو واضح : لو كنتَ تملك درهما واحدًا فلا تتأخّر عن العطاء (عن الإحسان إلى الآخرين)

ثانياً : ليس لى اختصاص باللغات الأعرابية . وما أعرفه منها لا يعدو مطالعات يسيرة متفرّقة . وإنّى واثق من أن عددا من الحقائق التى أوردتها ومن الآراء التى أبديتها محتاج إلى تقويم أو تصحيح أو تحرير ولكن لما كان أهل الاختصاص لا يحومون حول هذا الموضوع وأمثاله ، فإنّ الميدان يبقى خالياً لمن كان مثلى فيمدّ فيه رأيه .

عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان



حين يهبط الإلهام الشعري على الخلفاء والملوك والسلاطين

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

يستوي الإلهام الشعرى فى هبوطه على كل ذى استعداد له، وتأهب لتلقيه، سواء أكان سيدًا أم مسودًا، حاكماً أم محكوماً، أبيض أم أسود، غنياً أم فقيرًا.

ألم يحدثنا تاريخ الأدب فى القديم والحديث عن شعراء من «السود» لم يمنعهم لونهم ولا سواد بشرتهم من أن ترفعهم موهبتهم فى الشعر إلى مراتب السادة، ومنازل الأشراف ولم يقف (اللون) حائلا بينهم وبين تصدرهم فى ميادين الأدب، وساحات الحكمة والفضل؟

ألم يكن (عنترة العبسى) فى الجاهلية أميرًا فى الشعر دانت له مقاليد الكلام، ولم يحجبه اللون عن المكانة التى استحقها بحق فى تاريخ الشعر العربى؟

ثم ألم يكن (سُحَيمٌ) على سواد لونه، ومنزلته الاجتماعية المتواضعة فى المجتمع العربى، شاعرًا يُصغَى إليه، ويُستمعُ له، وتردِّد الدنيا شعره، وتَرْوِى الأفواه حكمه، حتى لقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يُعجب ببعض شعره، ويردده فى مثل قوله

كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فقد أدرك مبعث النبى عليه السلام، وأسلم وعُمِّر طويلا؟

ثم ألم يكن عدد غير قليل من الشعراء فى العصر الجاهلى وماتلاه من عصور حتى

(*) المرحوم محمد عبد الغنى حسن، كان عضوا نابها بالمجمع، كما كان شاعرا عريق المجد فى الشعر، وكاتبا ومؤلفا فى الأدب والنقد والتاريخ. (انظر ترجمته فى كتاب «المجمعيون فى خمسين عاما» بقلم أستاذه وزميله وصديقه الدكتور مهدى علام

يومنا هـذا مُدْقعين غارقين فى لجج الفقر والحرمان ، ولكن ذلك لم يمنع الإلهام الشعرى أن ينزل عليهم ، وأن يُؤْثرهم بروائعه وبدائعه ، وأن يجعل أبوابَ الخلفاء والملوكِ تُفْتح لهم ، يدخلونها بلا حجاب ولا حُرّاس . . ؟ فقد كان « أبو نواس » نديماً للخليفة العباسى « المأمون » طول خلافته . كما كان « البحترى » نديماً وجليساً للخليفة العباسى « المتوكل » لايكاد يفارقه ، حتى لقد قُتل بحضره ؟

والخلفاء والسلاطين والحكام ليسوا إلا ناساً من الناس ، وبَشَراً من البَشَر ، يختصهم الإلهام الشعري بما يختص به أهلَ المواهب وأصحابَ الاستعداد ، ويحلو عليهم من صحيح الرؤية ، وبديع الخيال ماهم أهلٌ له ، وماميَّزتْهُمْ به الموهبةُ والفطرة . فقد كان الشاعر الجاهلى : (امرؤُ القيس) أميرًا ولد فى بيت سيادة ومُلك ، وكان أبوه ملكاً ذا قدرة وسلطان فى قبائل « كندة » وألقت الأيام عبءَ وراثة الملك على « امرئ القيس » ، فطلَّق ملذاتهِ وشهواته ، وقال عبارته المشهورة : (اليومَ خمرٌ ، وغدًا أمْر) ، وأخذَ الإلهامُ الشعرىُّ المدوِنُ فيه يهبط عليه فى كل مناسبة ؛ فيجيدُ النظمَ ، ويُحسن التعبير ، ويتناول مختلفَ المعانى والأعراض فيعالجها بشعرهِ الصادق الذى يصور أحاسيسه ومشاعره أصدق تصوير .

وكان « محمد » عليه الصلاة والسلام - أوَّل رائد وقائدٍ للمسلمين- يستمع إلى الشعر الصادق العذب الناطق بالحكمة والسداد ، فيطربُ له . ويُعجب به فكان يستمع إلى شعر (سُحَيْم) عَبْدِ بنى الحَسْحاس ، ويستعذب معانى الصدق فيه وكان يصغى إلى « حسَّان بن ثابت » شاعر الدعوة الإسلامية فى هجائه للمشركين فيدعو له بأن يؤيِّده الله بروح القُدُس ، ولكن الله لم يُلهمه عمَلَ الشعر ، ولم يعلِّمهُ إياه ، حتى لايتهم بأنه من أصحاب الخيال . ومع هذا اتهمه المشركون ، وقالوا عنه إنه ساحر أو مجنون .

ولقد بلغ من عدم معرفة النبى للشعر وعروضه وموازينه أنه كان أحياناً يَرْوى البيتَ الصادقَ الحكيمَ من شِعر الشعراء » الصادقين الناطقين بأحكم الأقوال ، فلا يقيمُ وَزْنَهُ . ولا يُعَدِّلُ مِيلَهُ فلقد كان عليه السلام

يستشهد ببعض الشعر الحكيم « لسحيم » ، فتمثل يوماً بقوله :

كفى الشيبُ والإسلام للمرءِ ناهياً

كما سلف القول ، ورواه هكذا :

كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهياً

بزيادة باء على كلمة . « الشيب » ، فاختل وزن الشطر ، وكان أبو بكر الصديق حاضراً ذلك المجلس النبوى – وهو رجل كان له بصر كبير بالشعر – كما يقول المحققون من المؤرخين ، فأصلح روايةَ الشعر على وجهه الصحيح . فأعادها النبي عليه السلام على وجهها غير الموزون ، غيْرَ مُلتفِتٍ إلى تصحيح أبي بكر ، فقال أبو بكر معقبا ومعلِّقًا : (أشهد أنك لرسول الله ، وما علمناه الشعرَ وما يَنبغى له) وفى حادثة ثانيةٍ يَروي النَّبى – عليه السَّلام – بيتا للشاعر « طَرَفةَ بنِ العَبْد » هكذا .

ستبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا

ويَأْتيكَ من لم تُزِّوِدْ بالأخبار

وصحَّتُهُ واستقامةُ وَزْنِه هكَذَا :

ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً

ويأْتيكَ بالأخبارِ مَن لَمْ تُزوِّدِ

وإذا كان الله قد صرف نبيه صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر لحكمةٍ بَدَت لنا بعضُ وجوهها ، فإن الخلفاء الراشدين لم ينصرفوا عن نظم الشعر جملةً . وقد غالى بعضُ الرواة فى نسبة كثير من الشعر إلى الخليفة الأول « أبى بكر الصديق » ، استنادًا إلى ما كان له به من بَصَر شديد فى روايته وتذوُّقهِ ونَقْدِه . بل زاد بعضهم فنَسَبَ إليه قصيدةً صعبةَ المعالجة على قافية (الثاء) ، المثلثةِ الفَوقيةِ ، وهى قافيةَ ليست هيِّنةَ التداول . وقالوا إن « أبا بكر » نظمها فى غزوة (عُبَيْدة بنِ الحارث) الذى أرسله رسول الله فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين لاعير ليقاتلوا جماعة من قريش ، وهى الغزوة التى رمى فيها « سَعْدُ بنُ أبى وقاصٍ » بأول سهم فى الإســلام . ومطلع تلك القصيدة :

أمِنْ طيفِ سَلمى بالبطاح الدَّمائث

أرِقْتَ وأمْرٍ فى العشيرةِ حادثِ

وقد رواها كاملةً مؤرخ السيرة النبوية : « ابن إسحاق » ، ولكن المؤرِّخ الثقة : « ابن هشام » أنكرها ، وقال فى التعليق عليها إن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها

أو ينكر نسبتها إلى « أبى بكر الصديق »

ويبدو أن المؤرخ ابن هشام ء كثير من الحق فى هذا الإنكار ،ومما يقوى قولَهُ ما رُوى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت فى حديث رواه الزُّهْرى : (كَذَب من أخبركم أن أبا بكر قال بيتَ شعر فى الإسلام) . ويُفهم من حديث عائشة أن أباها رضى الله عنه قال شعرًا فى الجاهلية قبل إسلامه

وقد تأثر برواية « ابن إسحاق » لقصيدة أبى بكر فى تلك الغزوة بعضُ مؤرخى الأدب ونقاده ، وعلى رأسهم « ابن رشيق القيروانى » صاحبُ كتاب (العُمده ، فى صناعةِ الشعر ونقْدِه) .

على أن ما نُسب للخليفة «عمر بن الخطاب » من الشعر أكثرُ مما نُسب إلى أبى بكر الصديق .

فقد جاء فى كتب الأدب والنقد والتراجم نسبة البيتين الآتيتين إليه :

وهوِّنْ عليك فإن الأُمور
بكفِّ الإلٰهِ مقاديرُهـــا

فليس بآتيك منْهِيُّها
ولا قاصرٍ عنكَ مأْمورُها

وإن كانَ أثْباتُ المحققين ينسبون هذا الشعر إلى « الأعور الشنِّى » . . .

ولم تَخْلُ سيرة الخليفةِ عثمانَ بن عفان من شعر نُسبَ إليه ، فقد نَسب إليه صاحب « العمدة » البيتين الآتيين :

غنَى النفسِ يُغنى النفسَ حتى يكفَّها
وإن عضَّها حتى يضُرَّ بها الفقرُ

وما عُسرةٌ فاصبرْ لها إنْ لقيتها
بكائنةٍ إلَّا سيتبعُهـــا يُسْرُ

ومن الطريف أن مؤرخاً مصرياً قديماً كالإمام « السيوطى » توقف فى « تاريخ الخلفاء » عن نسبة شىء من الشعر إلى الخليفة عثمان بن عفان ، وإن كان قد دوّنَ أبياتا جميلة من رثاء الشاعر « كعب بن مالك » للخليفة الشهيد .

أما رابع الخلفاء الراشدين . الإمام « علىُّ بن أبى طالب » ، ابنُ عم النبى عليه الصلاة والسلام ، وصِهْرُهُ على فاطمةَ سيدةِ نساء العالمين ، فقد وجد الرُّواة فيه مجالًا واسعاً لنسبة كثير من الشعر إليه ... ولعل اشتهار أبيه « أبى طالب » بالشعر

الجيِّد قد منَح الرواةَ فرصةً لنسبة « الإمام عليٍّ » إلى الشاعرية ، حتى تتحقق فيه نظريةُ وراثة المواهب .. ويؤكد الناقد الأدبي .

« ابن رشيق » أن (الخلفاء الراشدين الأربعة مامنهم إلاَّ من قال الشعر) ، ثم يقول المؤرخ السيوطي فى موطن من بعض كتبه : (كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان عثمان يقول الشعر ، وكان عليٌّ أشعر الثلاثة) .

ويلاحظ أن أكثر ما نُسب إلى « الامام على » من الشعر ليس على ماء واحد من الاستواء ، فهو مختلف المائية ، ولكنه يتميز باحتوائه على كثير من أخلاقيات « الإمام على » وسلوكياته المستقيمة فى الحياة . كقوله :

ولا تُفْشِ سرَّك إلّا إليكَ
فإن لكلِّ نصيحٍ نصيحا

فإنى رأيتُ غواةَ الرجال
لا يدعُونَ أديماً صحيحاً

بل ذهب بعض الرواة إلى المغالاة ،فنسبوا إليه شعرًا أمر أن يُنقَش على سيفه ، وهو :

للناس حرصٌ على الدنيا بتدبير
وصفوها لكَ ممزوجٌ بتكدير

لم يُرزَقْوها بعقل بعد ما قُسِمتْ
لكنهم رُزقوها بالمقادير

كم من أديب لبيب لاتساعده
وأحمقٍ نالَ دنيـاهُ بتقصير !

لو كان عن قوة أو عن مغالبة
طار البزاةُ بأرزاق العصافير » ..

ولما كان خلفاء الدولة العباسية من نسل « العباس » عمِّ النبي - صلى الله عليه وسلم ، فهُمْ عرب قرشيون ، وكذلك كانَ بنو أمية قبلهم . فهم من العرب الأقْحاح الذين لم تفسدهم عُجمة الاختلاط بغير العرب . ولهذا نجد كثيرًا من خلفاء بنى أُميةَ ينظمون الشعرويجوِّدونه ، ويبْرعون فيه ! ومِن أشهر شعرائهم : معاويةُ بن أبى سفيان ،وابنه يزيدُ وعبدُ الملك بنُ مروانَ ،وهشامُ بنُ عبدِ الملك وعُمرُ بنُ عبد العزيز . كما نجد جماعة من خلفاء العباسيين يتذوقون الشعر ، بل ينظمونه نظماً جيدًا على مدار العصر العباسى كله ومن هؤلاءِ الشعراء الخلفـاء العباسيِّين : المهدىُّ والهادى ،وهارونُ الرشيد

والأمينُ ، والمأمونُ ، والواثقُ ، والمعتضد ، والمعتمدُ والراضى ، والمستنجد

على أن قسوة الأحداث السياسية فى تاريخ الخلفاء فى العصر العباسى لا يجوز أن تُنْسينا اسم خليفة شاعر عباسىٍّ لم يطُلْ به المقامُ على سرير الخلافة أكثر من يوم وليلة ، وهو أقصرُ عُمْرٍ سمح به الزمانِ لخليفة إسلامىٍّ وأعنى به الشاعر الخليفة المقتول : « عبد الله بن المعتز » . ولاشك أنه أقوى الخلفاء العباسيين شعرًا ،وأصحُّهم ديباجةً ، وأكثرهُمْ تفننا فى مجال القول ، وأصدقُهُمْ وأعمقهُم شاعريةً .. فقد نْظم فى أكثر أغراضِ فنون الشِعر ، من وصف ، وفخر ، ومدح ، وهجاء ، وسخرية ، وشكوى ، وغَزلٍ ، وُيعدُّ ديوانُه من أكثر دواوين الشعر العربى خصوبةً ، واحتفالا بالمعا بل لقد غالى بعضُ النقاد من المتعصبين للمشرق فنسبوا إليه موشحةً رقيقة المعانى ، لطيفةَ المبانى ، مطلعها :

أيُّها الساقِى إليكَ المشتكَى
قد دعوناكَ وإن لم تَسْمع

وإن كان بعض حذَقةِ النقادَ – وخاصةً من المحدثين – ينكرُ نسبتَها إليه

ولم تكن دول الخلافة الإسلامية الكبرى وحدها هى مناطَ تَجمُّعِ الحلفاءِ الشعراء ، كالدولة العباسية فِى بغداد ، والفاطميةِ فى مصر ، بل كانت هناك فى المشرق وفى المغرب دُويلاتٌ أُخرى تتمتع بأُمراءٍ أوسلاطين ينظمون الشعرَ ، ويجوِّدونه ، كدولة بنى حمدان التى امتاز شاعرها وأميرها « سيف الدولة الحمدانِى » بشاعرية عالية ، وكدولة (بنى عبَّاد) ملوك أشبيلية وقرطبة بالأندلس .

ولعل « المعتمد بن عباد » – من ملوك الطوائف بالأندلس – مِن أنْبَهِ ملوك العرب والمسلمين ذكرًا ، وأحْملهم شِعرًا ، وأحفلهم تاريخا بالأحداث الجسام فقد كانت حضرتهُ وحاضرتهُ بالأندلس ملْقَى الرحال ، وموسمَ الشعراء ، وقِبلةَ الآمال . ثم تقلبت به الأيام ، ودارت به أحوال الزمان ، فضاع منه ملكه ، وأخذ أسيرًا إلى بلدة (أغمات) بالمغرب ، وظل بها منفياً يبكى حظه ، ويندب حياته ، ويتذكر قصوره التى خلفها وراءه فى الأندلس تَبْعَى من بناها ، فيقول فى شعر مؤثر حزين :

غريبٌ بأرض المغربين أسيرُ
سيبكى عليه منبر وسرير

وتندبُهُ البيضُ الصوارمُ و القَنَا
وينهَــلُّ دمعٌ بينهن عزيز

مضى زمنٌ والمُلْكُ مستأْنِسٌ به
وأصبحَ منه اليوم وهو نَفُورُ

ثم يمر به عيد من أعياد المسلمين وهو في منفاه ، فيدخلُ عليه بناتُهُ المنفيات معه وهنَّ يغزلن لتحصيل قُوتهنَّ ، فيكاد المشهدُ يقتله غما وحُزناً ، فيقولُ من أبيات رائعة .

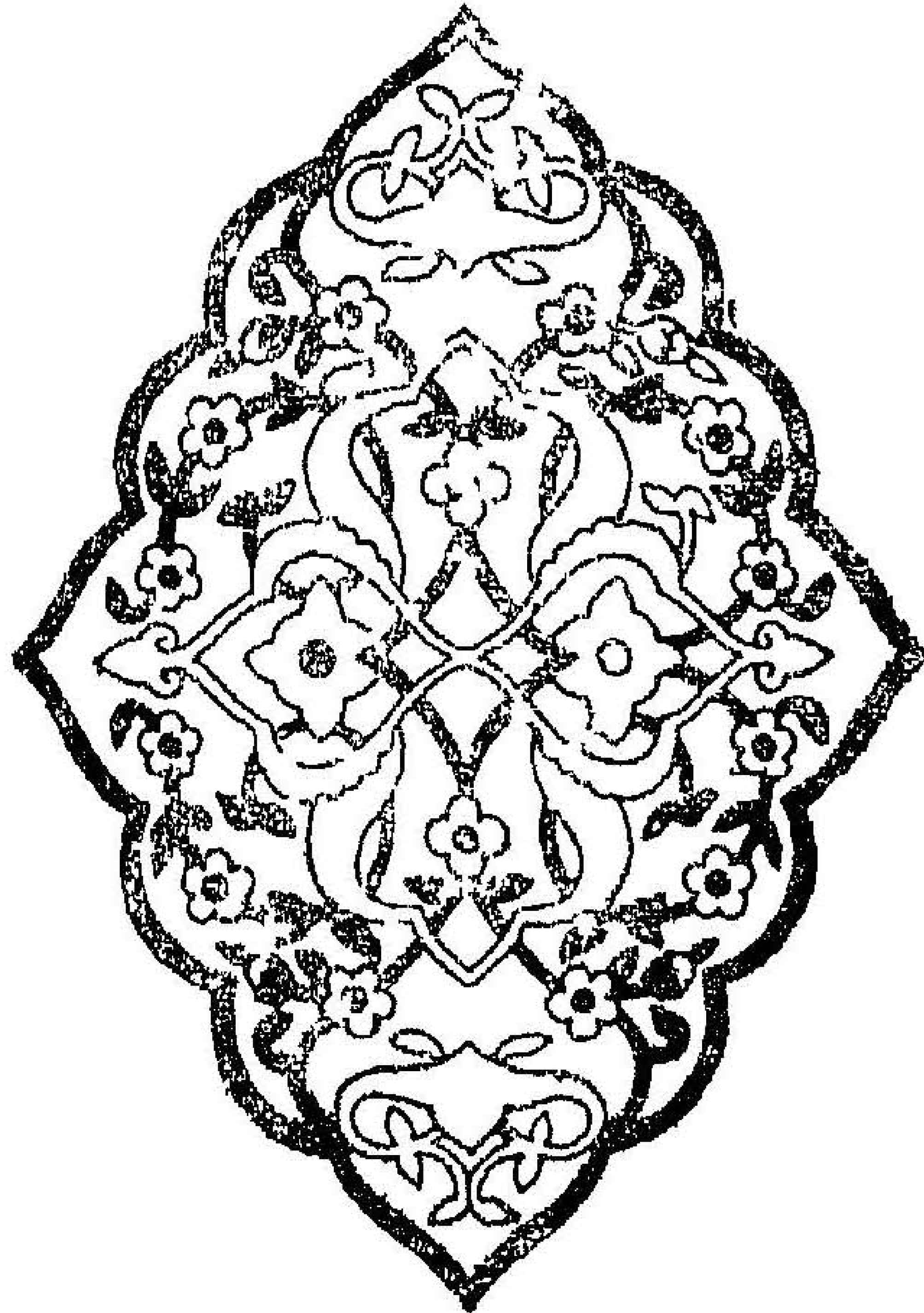
فيما مضَى كنتَ بالأعيادِ مسرورًا
فساءَكَ العيدُ في «أغْمات» مأْسورًا

تَرَى بناتِكَ في الأطمار جــائعةً
يَغزِلْنَ للناس ما يملكْنَ قِطميرًا

مَن باتَ بعدَك في مُلْك يُسرُّ به
فإنما بات بالأحــلام مغرورًا

وهكذا نرى شعر الخلفاء على مر الأيام يختلف بين مد وجزر . وقد صدق أصدق القائلين : (وتلك الأيامُ نداولها بين الناس) .

محمد عبد الغنى حسن
عضــو المجمع



في شرح "العوامل المئة" للجرجاني
منهج تدريس علمي يسجله الشيخ خالد الأزهري
للأستاذ محمد شوقي أمين

١ — **كان** منهج التأليف العلمي في القرون المتقدمة أشبه بما عهدناه في العصر الحديث من منهج المحاضرات وأساسه عرض الحقائق العلمية وتفاريعها ، وفيما يتعلق بنحو العربية يتبين ذلك جليا في مؤلفات سيبويه والمبرد والفارسي وابن جني وأضرابهم .

ولما جاء عهد الشروح ، كان منهجها اول الأمر قريب الشبه بمنهج التأليف ، إذ يعرض الشارح لما قاله المصنف ويشرحه موضحا له ، أو زائدا فيه ، أو معقبا عليه ، وذلك واضح فيما يتعلق بالنحو في شروح الرضى وابن يعيش والسيوطي ، ومن لف لفهم من النحاة وخلف من بعد هؤلاء خلفاء عرفناهم باسم علماء الحواشي والتقارير ، وكان لهم منهج متميز عن منهج المؤلفين أو الشراح ، بأنه يعنى بمناقشة عبارات التأليف أو الشرح ، وإضافة ما يعد نقدا أو ترجيحا أو إضافة ، والأمثلة على ذلك فيما يتعلق بالنحو عند النحاة المتأخرين كثيرة ، أظهرها وأقربها منا حاشية الصبان وتقرير الإنبابي وغيره .

٢ — وثمة منهج آخر بعيد كل البعد عن منهج المحاضرات الحديث ، بعيد بعض البعد عن منهج الشراح وأصحاب الحواشي والتقارير ولم يكن هذا المنهج ملحوظا بوضوح فيما جرت به أقلام المؤلفين ، أو فيما أملوه على الدارسين ، بل كان له مجال يتمثل في جانبين · الجانب الأول . . حلقات التدريس في الأزهر أو ما يشابهه من معاهد التعليم ، والجانب الآخر مجلس الامتحان للفوز بالإجازة العلمية .

في الجانب الأول كان المدرس يعرض لعبارة المؤلف أو الشارح ، فيوسعها عرضا وإيضاحا ، ولكنه لا يكتفي بذلك بل يتطرق إلى كل ما يتصل بالموضوع ويستطرد ليتناول العبارة من جوانب لا تتصل بالموضوع عينه ، وإنما بفروع شتى من العلوم العربية ، وأما الجانب الآخر فكان الشأن فيه أن يحدد الدارس المتقدم للامتحان ما يسمى « التعيين » ، وهو جملة من كتاب معين ، يتهيأ الدارس ليمتحن فيما حوته من العلم ،

فإذا جلس مجلس الامتحان تداوله شيوخه بالأسئلة المتنوعة ، على جهة الاستطراد والتطرق ، لمعرفة ما للطالب الممتحن من قدرة وكفاية . وفى كلا الجانبين ، وبخاصه فى الجانب الآخر ، تدور المناقشة فى آفاق شتى من المعرفة ، لا تقتصر على موضوع النص ولا تكتفى بفرع العلم الذى يتناوله الدرس أو يجرى فى خصوصه الامتحان .

وخلاصة هذا المنهج أن المدرس مع طلابه فى حلقة الدرس ، أو الطالب مع شيوخه فى مجلس الامتحان ، يتنقل فى العرض والمناقشة ، تطرقا واستطرادا بين فروع وأنحاء شتى من العلوم . ولعلنا نستوفى هذا المنهج حقه من الإبانة إذا قلنا إنه منهج موسوعى ، ونعنى بالموسوعية معنى العمق وسعة الأفق والشمول ، وبذلك يخرج الطالب من الدرس أو مجلس الامتحان وقد دار فى مدارات متباينة من نحو ولغة وبلاغة وعروض ومنطق وغير ذلك مما يتسع له مقام الموضوع على قرب أو على بعد :

٣ — هذا المنهج الذى ألمعنا إليه ، يختلف عن منهج التأليف عند الأقدمين ، ومنهج الشرح والتحشية والتقرير فى العصور المتوسطة ، ومنهج المحاضرات فى العصر الحديث ، بيد أن هذا المنهج — لأن الأساس فيه المشافهة فى مجالس العلم ومذاكرته — ليس له صورة واضحة فى فى التآليف المكتوبة .

وأرجو ألا أكون مغاليا إذا صارحت بأن العالم الذى ترك لنا نموذج هذا المنهج مكتوبا ، ومصورا لخصائصه ، هو علامة النحو فى القرن التاسع الهجرى ، المعروف باسم « الشيخ خالد الأزهرى » ، وله من التآليف النحويه جمله ، أشهرها كتاب « التصريح بمضمون التوضيح » شرح فيه كتاب « ابن هشام » المسمى « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » ومع أن « للشيخ خالد » عددا من التآليف فى النحو ، ومنها ما هو شرح لعبارات مؤلفين سابقين ، فإنه لم ينهج فيها هذا المنهج الذى انفرد به فى أحد كتبه تأليفا أو شرحا ، وأكاد أقول هذا المنهج انفرد هو به تدوينا فى كتاب ، بعد أن كان على هذه الصورة المستفيضة المتشققة ، متعارفا بالمشافهة فى حلقات التدريس ، أو فى مجالس الامتحان :

٤ — بيان ذلك أن إمام العربية لغة ونحوا وبلاغة « عبد القاهر الجرجانى » له رسالته الفذة المسماة « العوامل المئة » أو « عوامل عتيق » تمييزا لها عن رسالة أخرى « للجرجانى » فى موضوع « العوامل المئة » أيضا .

وقد تجرد « الشيخ خالد » لشرح « عوامل عتيق » ، فكان له فى الشرح ذلك المنهج العريب .

وما أحسن ما صنع الأستاذ الدكتور « البدراوى زهران » فى إخراجه لهذين المتنين للعوامل المئة » كما عرضها « الجرجانى » مع شرح « الشيخ خالد

الأزهري » للمتن الاول . وهو عوامل عتيق » . فقد بذل من جهد بحث والتعريف . ومن تحقيق النصوص والتعليق عليها ما هو أهله . ولكنه أضاف إلى ذلك كله حسنة أخرى كانت هي المصباح الكاشف عن منهج « الشيخ خالد » في شرح النصوص ذلك أنه حرص أيما حرص على تفصيل طباعي . أفرد به كل مقولة أو توجيه . فبرزت بذلك فكرة مناقشة الشارح لكل جملة جرجانية . كما برزت نقداته وتعقيباته عليها غير مدمجة في غضون السرد والعرض .

فأنت ترى « الشيخ خالد » يسوق الكلمة أو الجملة من كلام « الجرجاني » . فيبدأ بتحليلها إعرابا أو بالإبانة عن معناها تفسيرا . وهنا يعرض ما عسى أن يعن للباحثين وجوه التشابه نحوا أو لغة أو دلالة اصطلاحية أو غيرها . فيجيب عنها . وربما عرض لما في الجواب من شبهة منزعه . فلا يدعها حتى يحسم الكلام فيها . وهو في هذا كله مسترسل في التفصيل والتمحيص . غير واقف عند جوهر الموضوع المطروح وضوابطه العلمية . وكأنك حين تمضي في قراءة ما هو مكتوب في حلقة درس تجرى فيه المناقشة بين الدارسين وشيخهم في طلاقة واسترسال

وفي متابعتك للشيخ ومقولاته وحواراته لا تكاد تقضي العجب من ذكائه وقدرته وقوة عارضته في الاعتراض . وبراعته في التوجيه والانتقاد .

وأنت في ضوء هذه المعارك الفكرية التي يثيرها الشيخ . محرر من الفوائد على اختلاف مناحيها مايؤنسك في اطلاعك . حتى إنك في بعض ما يثير . تقبل منه ما عسى أن تنكره . إعجابا بهذا الفكر العلمي الذي يتوهج في ألمعيته

٦ — وهــذا المنهج يسري في شرح « الشيخ خالد » مسرى الدم في العروق . ولكني أحسب أنه أراد أن يطبق ما يعرفه البلاغيون باسم « براعة الاستهلال » في تطبيق منهجه : بأنه افتتح شرحه بالوقوف عند الجملة الأولى من المتن . وهي « والعوامل في النحو ، على ما ألفه الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله عامه مئة عامل »

فأثار حولها من المسائل اللغوية والإعرابية والدلالية عشرات . في إطار قوله « فإن قيل كذا قلنا كذا » . فأتاح للقارئ ساحة علمية فكرية مع الشيخ يود لو أنها تمتد

وإني أجترئ بسرد بعض هذه المسائل المثارة وإليكها

ما معنى العامل في اللغة، وفي الاصطلاح؟ وما العامل المقيد ؟ . وكيف يجمع على عوامل ؟ . وما معنى اللام في العوامل ؟ ،

للجنس أو للاستغراق أو للعهد الخارجي الحقيقي أو الحكمي ؟

وقوله « في النحو » . ما هذا الظرف هل هو ظرف مستقر أو هو ظرف لغو ؟ وما النحو على اختلاف معانيه ؟ وما موضوعه ؟

وقوله : « على ما ألفه الشيخ » ما التأليف وما التصنيف ؟ وما الجمع ؟ ولم اختار التأليف ؟ ، وما معنى الشيخ ؟

وقوله « رحمة الله عليه » ما معنى الرحمة ؟ وكيف يوصف بها الله ؟

وقوله . « مئة عامل » كيف يكون خبرا عن جمع ؟ ومتى تصح مراعاة الجهة المعنوية ؟ ولماذا لم يقل « مئة عوامل » ؟ وما المرجح ؟ وما معنى الإضافة ؟ هل هي بمعنى « اللام » أو « في » أو « من » ؟

وفي مطاوي الشرح أمثلة كثيرة متشابهة لهذا المنهج . تسترعي الانتباه . منها ما هو ترديد لما سبق إليه نحاة ، ومنها ما يترجح أنه من عند نفسه ونعرض هنا قوله في مناقشة دلالة الاستثناء ، والحوار حولها « وإن قيل إن زيدا في قولك « جاءني القوم إلا زيدا » . إما دخل في القوم أو خرج عنهم فلو قلنا إن زيدا خرج عنهم لا يكون مخرجا عنهم زيد . لأن إخراج الشيء فرع دخوله ، وأيضا يلزم خلاف الإجماع ، لأنهم اتفقوا على أن الاستثناء المتصل مخرج ولا إخراج : إلا بعد الدخول لأنه لو قيل : له على عشرة إلا درهما . فالدرهم داخل في العشرة ثم أخرج . ولو قلنا : إن زيدا داخل في القوم ثم أخرج بإلا لكان المعنى جاء زيد ولم يجئ زيد ، فيلزم التناقض الصريح وحاصل التناقض أن القوم مثلا عبارة عن تسع أنفس مع زيد وزيد واحد من التسع ، فإذا كان القوم متصفين بالمجيء فزيد اتصف بالمجيء لأنه واحد منهم فإذا قيل « إلا زيدا فلم يتصف زيد بالمجيء ، فيلزم أن زيدا متصف بالمجيء وعدم المجيء ، أليس هذا إلا تناقضا فكيف مثل هذا يقع في كلام الله تعالى ، مع أنه قد وقع : « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما » فيكون المعنى : لبث الخمسين في جملة الألف ، ولم يلبث تلك الخمسين . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . قيل إن دخول المستثنى في المستثنى منه ثم إخراجه منه بإلا وأخواتها إنما كان قبل إسناد الفعل . فلا يلزم التناقض في قولك .

جلس القوم إلا زيدا ، لأنه بمنزلة قولك . القوم المخرج منهم زيد جاءوني . وكذا لا يلزم التناقض في نحو قوله . له عشرة إلا درهما ، لأنه بمنزلة قولك : العشرة المخرج منهم درهم له علي . وذلك لأن المنسوب إليه الفعل هو المجموع المركب من المستثنى والمستثنى منه ، وإن تأخر المستثنى لفظا عن الفعل ، لكن لا بد من تقدم وجود على النسبة التي يدل عليها الفعل ،

إذ المنسوب إليه هو الخسوع والمنسوب هو الفعل سابقا على النسبة بينهما ضرورة فى الاستثناء لما كان المنسوب إليه هو المستثنى منه مع إلا والمستثنى . فلا بد من وجود هذه الثلاثة قبل النسبة فلا بد إذن من حصول الدخول والإخراج قبل النسبة فلا تناقض »

وكما كانت تلك « براعة الاستهلال » فى الشرح ، على هذا النهج ، كان « حسن الختام » أيضا ، كما هو عند البلاغيين فهو يختم شرحه بالعامل المعنوى الثانى . وهو عامل الرفع فى الفعل المضارع فهل هو التجرد من ناصب وجازم ؟ وهل هو وقوعه موقعا يصح وقوع الاسم فيه ؟ وهل يعتبر المضارع اسماً أو وقوعه موقع الاسم ؟ وهل العامل حروف المضارع نفسها ؟ وهنا تتوالى المقولات فى مناقشة هذه الأوجه ، وفى الجواب عما يعترض به عليها ، وذلك فى متابعة وتسلسل

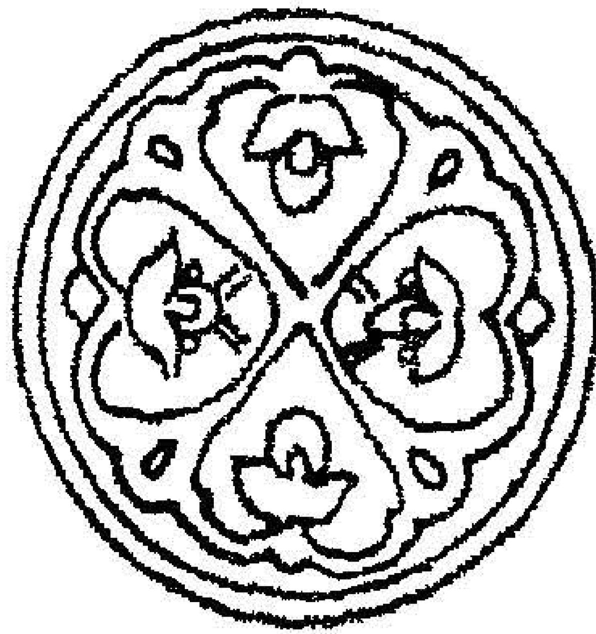
٧ — وقد تناقل الدارسون فى حلقات العلم ، وخاصة فى الأزهر ، كلمة « الصقلة » وهى حث من قولهم « فإن قيل » و « جمعوه » على « الصقل » أو « الصقلات » ، وفى هذا الشرح الخالدى للمتن الجرجانى تنساب كلمة « فإن قيل » انسيابا لا نخطئه فيه . كما ينساب عن كل « صقلة » حسن الجواب ، وفصل الخطاب

٨ — وقصارى القول فى هذا الشرح أنه يتميز بأمرين

الأمر الأول نزعة المناقشة للعبارة . والتطواف بمختلف الوجوه النحوية للمسائل والأمر الآخر الحرص على إعراب الأمثلة على اختلاف النظر إليها

وفى كل ذلك مادة نحوية عزيزة . ورياضة فكرية فى ممارسة التحليل للألفاظ والجمل والشرح قبل ذلك وبعده فيه ملامح التعليل تنم عن أسلوب التدريس والمناقشة العلمية قديما فى الحلقات والمجالس بين الطلاب والشيوخ !

محمد شوقى أمين
عضو المجمع



نماذج
من تحقيق اللحن عند الأسلاف
للأستاذ عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

١ - إبريم :

قال الزبيدى فى لحن العوام – كما فى التهذيب بمحكم الترتيب لابن سهيد .

«يقولون . ابريم الحديدة التى تكون فى طرف حزام السرج تسرح بها وقد تكون فى طرف المنطقة ولها لسان يدخل فى الطرف الآخر من الحزام والمنطقة» .

قال أبو بكر . الصواب إبزيم على مثال إفعيل وفيه لغة أخرى يقال

إبزام والجمع أبازيم قال العجاج .

من كُلِّ هرَّاج نَبِيل محزمه
يَدُقُّ إبزيم الحِزام حشمه

ويقال أيضًا : إبزين ويجمع على أبازين .

قال أبو داود الإيادى :

من كُل حرداء قد طَالَت عَقيقَتها
وَكل أجْرد مُسْترخى الأبَازِين

ويقال للإبزيم أيضًا زرفين وزرفن وفى الحديث . « أن درع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ذات زرافين ، إذا علقت بزرافينها شمرت ، وإذا أُرسلت مست الأرض » .

وقال مزاحم .

يُبَارى سديساها إذا ما تلمجت
شبا مثل إبزيم السّلاح المؤسل

يصف ناقة .

والمؤسل : المحدد الذى رققت أسلته .

ويقال أيضًا للقفل : إبزيم .

وهذه العبارات كلها متفقة . لأن الإبريم إفعيل من برم إذا عض

قال أبو زيد : برمت به أبرم برما إذا عضضته بالثنايا — دون الأنياب والرباعيات وكذلك البرم في الرمي وهو أخذك الوتر بالإبهام والسبابة ثم ترسل السهم .

فأما قول تميم بن مقبل .

عَلَى كُلِّ مِلْوَاحٍ يَزِلُّ بريمهـــا
تَعَاطي اللجَام الفَارِسي وتصدف

فهو البريم بالراء ، وكذلك أنشدنيه قاسم ابن أصبغ عن السكرى عن أبي حاتم عن أبي عبيدة

والبريم . حبل مفتول يكون فيه لونان وربما شدته المرأة على وسطها .

وأنشد الأصمعي .

* إذَا المرْضِعِ العَوْجَاءِ جَالَ بريمها *

وليس بالإبزيم الذى ذكرنا

والبريمان أيضًا الكبد والسنام .

قال أبو عبيدة : يقـــال : (أشولنا من بريميها شيا) .

انتهى النص من كتاب لحن العوام .

قال أبو عبد الرحمن . أما أصل المادة فقد قال عنه ابن فارس في مقاييس اللغة ١ـ٢٤٥ (الباء والزاء والميم أصل واحد للإمساك والقبض . والإبزيم عربي فصيح . وهو مشتق من هذا .

قال أبو عبد الرحمن وقد تابعه الخفاجي في شفاء العليل . والعجيب أن الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال في كتابه (معجم الألفاظ العـــامية ذات الحقيقة والأصول العربية ص ١٢٩) اعتبر الإبزيم من العامية ذات الأصول العربية ، ومثل هذا كثير في كتابه ، وإنما صنعتها أن يبوب لها بالألفاظ الفصيحة التي لا تزال العامة تستعملها

أما ذات الأُصول العربية فهي بخلاف هذا . وهي التي يُلتمس لها وجه يصححها أو يعدِّ لها .

وأعجب منه الأُستاذ كسيس راشد العزيزى فقد قال في قاموس العادات ١ / ١١٦ إبزيم عروة من المعدن — ج برمة .

قال أبو عبد الرحمن : ماكانت إبريم تستعمل عند عامة أهل الأردن جمعا وإنما تستعمل للمفرد ؛ وهذه الصيغة في هذا

الموصوع لا تليق بالجمع لا فى الفصحى ، ولا فى حسّ العامه

وأما بيت العجاج الذى أورده الزبيدى فقد كان عنده بلفظ . (هداج)

والتصحيح من ديوان العجاج بشرح الأصمعى ص ٤٣٥ – ٤٣٦

والهراج صفة للفرس إذا كثر عدوه أو اشتد .

وسيل محرمه صخم الوسط .

وآخر تفعيلة من الشطر الثانى من أربعة متحركات وساكن ، وهو شاذ لا تقبله الأذن مطلقا وقد قبله العروضيون ، لأنه مسموع ، ولأن الرجز عندهم – وهو حمار الشعر – مقبول فيه الخلل لنثريته .

هكذا يزعمون .

والذى يظهر لى فى مثل هذه النماذج أن الشاعر ينظم للغناء والترنم فيضطر إلى التهام حرف أو تسكين متحرك – كما نجد فى الشعر العامى – فإذا قيدوه ضبطوه حسب القاعدة اللغوية .

وحشمه : وسطه .

وأمّا إبزين فهى على الإبدال ، والأصل الميم . ولهذا جعل اللغويون الإبزين لغه فى الإبزيم . وهذا اتفاق منهم على أن الأصل الميم .

وعن إبدال الميم نونًا راجع معجم تيمور ١–٨٤ ، ومعجم الألفاظ العامية لعبد المنعم ص ٦٠

وفى الأصل الخطى من كتاب التهذيب لابن شهيد بمكتبة شستربتى ورد بيت أبى دؤاد بلفظ (عميقها) .

والبيت من قصيدة لأبى دؤاد فى وصف الخيل . وهو فى تهديد الأعداء بإغارة على الخيل وقبله

إنْ لَم تلطنى بهم حَقًّا أتيتُكُم
حُوًّا وكُمتًا تعـــادىٰ كالسراحيين

انظر : غرنبا وم ص ٣٤٥

وفى لحن العوام الذى حققه أُستاذى الدكتور رمضان عبد التواب ورد المفرد (زرفن) والجمع (زرافن) .

وهكذا فى الأصل إلّا أنه أورد الحديث بالقاف وبصيغتى الجمع هكذا :

(ذات زراقن إذا علقت بزراقينها) ا هـ

وما أثبته هو المحقق فى كتب اللغة والغريب .

وقد ضبط زاء الزرفيس بالضم والكسر الجوهرى فى الصحاح ٥/ ٢١٣١ ونص على أنه معرب .

وقال الأزهرى فى التهذيب ١٣/ ٢٨٧ . والصواب بالكسر وليس فى كلامهم فعليل بالضم .

ونص الدكتور محمد التونجى فى المعجم الذهبى ص ٣١٣ على أن زرفين بمعنى حلقة تدق على الباب أو الصندوق ليقفل بها فارسية ، لأن كتابه عن بيان معانى الألفاظ الفارسية ، وضبط الراء بالضم .

وقد حرفها عوام أهل الأُردن إلى اللام وجعلوها بمعنى إغلاق الباب فقالوا : زرفل عليه الباب .

انظر . قاموس العادات للعريزى ٢-١٠

قال أبو عبد الرحمن : وزعْمُ الزبيدى رحمه الله (بأن زرفين مرادفة للإبزيم) محل نظر ، بل أصلها فى الفارسية حلقة الباب ، ثم توسع بها العرب لكل حلقة كحلق الدرع الواردة فى الحديث الشريف .

وأنا أميل إلى مذهب الأزهرى فى تخطئة من ضم الراء ، لأن المعرب يجب أن يُجرى على صيغ أوزان العرب .

وأمّا بيت مزاحم فقد وردت فى الأصل تلمحت بالحاء .

وورد فى بعض المصادر (موشل) بالشين . ولا وجه لهذين الضبطين .

والمادة فى المطبوع ص ١٥ — ١٨

وعن إبزيم وزرفين انظر : معجم تيمور الكبير ٢/ ٩ ، ومعجم شمال المغرب ص ٢٩ ،

وورد فى أصل التهذيب وأصل المطبوع من لحن العوام ذكر ابن مقبل هكذا . (ابن أبى مقبل) .

والإسناد فى كلام الزبيدى يظهر لى أنه إسناد لكتاب (ما تلحن فيه العامة) لأبى عبيدة معمر بن المثنى .

انظر عن هذا الكتاب . (لحن العامة) للدكتور رمضان عبد التواب ص ١١٧ ، وآخر ما فى المطبوع من لحن العامة بهذه المادة ص ١٥ — ١٨ .

(والرمان أيضًا .) ثم ذكر في التحتية أن هذه النقط موضع كلمة غير مقروءة في الأصل .

والواقع أنه موضع سطر ونصف في الأصل الذي رجعت إليه كما ترى

وتخريج البيت الذي رواه الأصمعي تجده في ط ص ١٨ .

قال أبو عبد الرحمن وحكم ابن فارس بأن الإبريم عربي فصيح هو مذهب جمهور اللغويين ، بيد أن الإمام ابن دريد قال في الجمهرة ٣٧٧/٣ والإبريم إبريم السرج ونحوه فارسي معرب ، وقد تكلمت به العرب اهـ

وتابعه الجواليقي في المعرب ص ٢٤

وتابعهما صاحب المنجد وصاحب محيط المحيط ، وصاحب غرائب اللغة ولم يبرهنوا

وقال أدى شير قلت إن صيغة هذا الاسم تدل على كونه أعجميًّا ، فهو معرب إما عن اليوناني وهو المهمار أو عن الفارسي آدرن وهو إناء من حديد أو من نحاس مصنوع على شكل التابوت . (انظر : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ص ٧) .

قال أبو عبد الرحمن : الإبزيم عربية المادة والمعنى ودعوى التعريب مسهافتة من أمور جمة :

أولها : أن الأصل في كلام العرب الأصالة حتى يقوم البرهان على خلاف ذلك بتنصيص أو ضرورة فكر .

ثانيها أن مادة برم عربية المادة ، ومعنى الإبريم واضح الاشتقاق من المعنى العربي العام لبرم وهو القبض

ولا تجوز دعوى التعريب أو الإبدال إذا صح المجاز ووضح الاشتقاق

ثالثها أن مدافعة الاشتقاق العربي بدعوى التعريب غير مقبولة على الإطلاق وهي أشد بطلانًا إذا كان المدعى تعريبه بخلاف المعنى الأعجمي الأصل

والإبريم في استعمال العرب ليس هو المهمار عند اليونان وليس هو الإبرن عند الفرس

ومن تأمل المعجم الذهبي وغيره لم يجد معنى الإبزيم ضمن معاني الإبرن . فما بالنا نتوهم اشتقاقًا عربيًّا - لا تعريبا محضا - من اليونانية أو الفارسية ولدينا الاشتقاق من لغة العرب واضح جلي ؟

ودعوى الاشتقاق من المعرب قد تصح إذا صحت دعوى التعريب.

ورابعها: أن آدى شير توهم تعريبها، لأنها على صيغة إفعيل، ولم يعلل علاقة الدعوى بهذه الصيغة

ولعل وجه دعواه أن أكثر ما ورد على هذه الصيغة معرب.

(انظر ما ورد على هذه الصيغة فى ديوان الأدب ٢/٢٧٨ - ٢٧٩)

قال أبو عبد الرحمن: الصيغ أوزان الألفاظ وقوالب المعانى، ولا تصح دعوى أعجمية الصيغة حتى يحكم الاستقراء بأنه لم يرد كلمة عربية الأصل على تلك الصيغة. والسر فى ذلك أن آخر ما يضطر إليه العرب تعريب الصيغة، بل كان منهجهم فى التعريب الرد إلى صيغهم العربية

وقد دل الاستقراء على أن الإفعيل عربية الصيغة ترد للمبالغة فى ألفاظ لا شك فى عربيتها كالإصليت والإضريح والإمليس والإحميل

وترد اسم آلة سماعية فى ألفاظ لا شك فى عربيتها كالإقليد والإرميل

٢ - الأذن:

قال الزبيدى: ويقولون: سمعنا الأذان الأول[1] وأذان العصر[2]

قال أبو بكر وذلك كله خطأ والصواب الأذان على وزن فعال وقد أذن بالأولى وبالعصر[3] قال الفرزدق

وحتّى عَلَا فى سُور كُلِّ مَدِينة
مُنَادٍ يُنَادِي فَوقَهَا بِأَذَانِ

وفيه لغة أخرى، يقال الأذين وأنشدنا أحمد بن سعيد قال: أنشدنا السيررى لجرير يهجو الأخطل.

هَلْ تَشْهَدُون من المَشَاعِرِ مشعرًا
أو تَسْمَعُونَ لَدى الصَّلَاة أذينا

قال أبو عبد الرحمن: أذن الأول، وأذن بالأول، وأذن العصر، وأذن بالعصر كل هذا كلام مركب، والتصحيح والتخطئة

---

(١) فى الأصل آذان الأولى
(٢) فى الأصل أذن
(٣) فى المطبوع ورد بيت جرير مقدما على بيت الفرزدق.

قال أبو بكر · والصواب بأمارة بالفتح

وهي العلم والسمة[1] . وقال الأفوه الأودي .

أمارة الغي أن تلقى الجميع لدى

(م) الإبرام للأمر والأذناب أكتاد

ويقال الأمر أيضًا نعماه[2] .

والأمر الحجر يكون علامة من هذا

قال أبو زبيد في[3] (أمير المؤمنين)[4]

عثمان بن عفان رضي الله عنه

إن كان عثمان أمسى فوقه أمر

كراقب العون فوق القنة الموفي

وإنما عنى ما فوق قبره من الحجارة والطين

شبهه[5] بالعلم .

وأما[6] الإمارة والولاية .

والإمارة المؤامرة فالتصعية (الباهلية)[7] :

ألا بلغ بني عمرو رسولًا

فصيم الكيد فينا والأمار[8]

٤ ـ الألب :

قال الزبيدي . ويقولون للقوم يجتمعون

على الإنسان في خصومة[9] أو حرب هم

إلب على فلان .

قال أبو بكر والصواب هم ألب بالفتح

وقد تألبوا عليه إذا تجمعوا[10] عليه بالعداوة

---

(١) والسمة زيادة من المطبوع

(٢) في المطبوع ويقال أيضا معد (الموعد والوقت) وما بين القوسين إضافة من المحقق د رمضان والبيت ضمن قصيدة في الطرائف الأدبية ص ١٠

(٣) في الأصل أبو زيد

(٤) ما بين القوسين ليس في المطبوع

(٥) في المطبوع فشبه

(٦) في المطبوع فأما

(٧) ما بين القوسين ليس في المطبوع ولعل الكلمة محرفة عن الهاشمية ، لأن البيت من أبيات منسوبة لصفية بنت عبد المطلب ناصة على أن الشاعرة من قريش وهذا هو البيت كما في شرح المرزوقي ٤ / ١٧٨٨

ألا من مبلغ عني قريشا ففيم الأمر فينا والإمار

وعلى هذه الرواية يكون الإمار بمعنى التشاور ، لأن الإمار مصدر آمر ، والمؤامر هو المشاور في اللغة

وفي الحديث آمروا النساء في أنفسهن · أي شاوروهن

وقول المؤلف والأمارة · المؤامرة نقل غريب

وإنما الوارد لغة الإمار بمعنى التآمر

(٨) في المطبوع ففيم . والإمار ؟

قال أبو عبد الرحمن · وردت هذه المادة في المطبوع ٥٠ - ٥١ وانظر عنها تثقيف اللسان ص ١٣٠ ومعجم الأخطاء الشائعة ص ٢٨

(٩) في المطبوع : على إنسان في مصيبة .

(١٠) في المطبوع : اجتمعوا

قال حسان بن ثابت :

والناس ألب علينا فيك ليس لنا
إلَّا السيوف وأطراف القنا وزر

ويقال . الناس علينا ألب واحد وصلع واحد (ومسدع واحد)[1] إذا احتموا بالعداوة .

ويقال · لا تدخل أمرك من ألبه عليك.

والألب أيضًا الطرد يقال[2] : ألبت الناقة آلبها ألبًا طردتها ، عن الفرّاء .

قال أبو عبد الرحمن . حكم الزبيدى بأن الإلب بالكسر لحن غير صحيح ، وكذلك قول اللغويين · إن الفتح والكسر جائزان والفتح أعرف كلام فيه مسامحة .

والصواب عندى جوازهما بلا تفاضل ، بل لكل صيغة معناها فمن أراد معنى متألبين فتح ، ومن أراد معنى المفعول وأنهم مؤلبون كسر ، لأن فعل بكسر الفاء تدل على المفعول

والألب بمعنى الطرد منقول أيضًا عن أبي عمرو الشيبانى ، وهو مجاز ، ووجه المجاز أن الطارد يسعى إلى ضم طريدته إليه ، والضم فيه معنى الجمع، وانظر كتابى (اللغة العربية بين القاعدة والمثال ص ٤٢) .

وقد وردت هذه المادة فى المطبوع ص ٨٢–٨٣

وانظر تثقيف اللسان ص ١٣٢ ومعجم لألفاظ العامية لعبد المنعم ص ١١٣

٥ – الإكاف .

وقال الزبيدى . ويقولون لجمع الإكاف : أكفة[3] .

---

(١) فى المطبوع · صلع واحد ، وما بين القوسين ليس فى المطبوع

(٢) فى المطبوع . ويقال

(٣) ضبطت بفتح الهمزة والكاف والتاء .

والهمزة غير ممدودة .

وفى المطبوع : أكفة بالتشديد . هـ

قال أبو عبد الرحمن · وأى الضبطين كان فهما لحنان .

وقد ذكر ابن مكى تصرفا للعامة من وجهين آخرين فقال وكذلك قولهم · لكاف لأعواد تجعل على ظهر الدابة بعينها .

وإنما هو تلك الأعواد تثقيف اللسان ص ٢٢٤

وهذه المادة يذكرها اللغويون فى مادة أكف ووكف وقد نص ابن فارس على أن الأصل وكف وأن الهمزة بدل من الواو .

والأكافة بردعة الحمار .

وقال أبو بكر : والصواب أكفة بالتشديد مثل إرار وأزرة[1] .

وقد آكفت الدابة ، وهى موكفة ، وأوكفتها[2] أيضًا ، وهو الإكاف والوكاف وقال الراجز .

كالكودن المشدود بالوكاف[3] .

٦ – استكتل :

وقال الزبيدى . استكتل فى الأمر إذا يحد[4] فيه بالكاف .

قال أبو بكر . والصواب . استقتل وأصله من القتل وقد غلط فى هذا[5] بعض أهل الأدب[6] واحتج فيه[7] .

٧ – آمال :

وقال الزبيدى . ويقولون : بلغه الله آماليه .

وقال أبو بكر : والصواب . آماله ، وهو جمع الأمل[8] .

يقال . آملت الرجل آمله وأملته .

ولا وجه للياء هنا[9] .

---

(١) فى المطبوع أكفة وآزرة – مد اعمرة – قال أبو عبد الرحمن ما فى المطبوع هو الصحيح ويصح ما فى الأصل بغير شرط تشديد بل بالتخفيف وضم واو الكلمة وعينها .

(٢) فى المطبوع ذكر فعلا ثالثا هو آكفتها نقلا عن الصمدى

قال ابو عبد الرحمن أكف لهجة بنى تميم ، وأوكف لغة أهل الحجاز وأكف لهجة نقلها الصغانى

(٣) قال الأصمعى فى شرحه لديوان العجاج ص ١١٢ . الكودن البردون الهجين والوكاف إذا قلت اكاف قلت أكف . وإن قلت وكاف قلت أوكف ا ﻫ

وفى المطبوع بالاكاف

والبيت للعجاج وقد ورد بالروايتين

(٤) فى المطبوع جدا

(٥) فى المطبوع فيه

(٦) فى المطبوع . الآداب

(٧) حمل هذا على اللهجات أولى من حمله على اللحن الحادث فى الأندلس لوقوع الكاف بدلا من القاف فى كثير من مفردات اللغة كقحط وكحط وانظر نموذج ذلك فى معجم الألفاظ العامية للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال ص ٥٩ وانظر معجم تيمور الكبير ١ / ٨٠ – ٨١ و ٧٥ – ٧٨

وهذه المادة وردت فى المطبوع ص ٢٥٥ (الملحق) نقلا عن الصمدى وانظر معجم الألفاظ العامية لعبد المنعم ص ٤٣٦

(٨) فى المطبوع (الملحق ص ٢٥٩ عن الصمدى أورد من هذه المادة إلى مكان هذه التعليقة)

(٩) وفى المشرق ذكر ابن الجوزى وجها آخر للعامية هى قولهم . ما وملت فيك هذا . تقويم اللسان ص ٨١ وانظر وجها ثالثا فى معجم الأخطاء الشائعة ص ٢٩

٨ - آحاد :

وقال الزبيدي : ويقولون : مضى لذلك سنوت وحدود

قال أبو بكر : والصواب وآحاد[1] جمع أحد .

٩ - مؤخرة

وقال الزبيدي : ويقولون . مؤخرة[2] السرج .

قال أبو بكر والصواب: آخرة السرج ، وكذلك آخرة الرحل وقادمتهما[3]

وقال الهذلي ردف لآخرة الرحل[4] ،

وعامة أهل الشرق[5] يقولون . مؤخرة السرج ، ويقولون[6] . نظر إليه بمؤخر عينه ومؤخر كل شيء ضد مقدمه[7] .

١٠ - اشترت الماشية .

وقال الزبيدي : ويقولون : اشترت الماشية .

قال أبو بكر : والصواب احترت ، وهو أن تجترما في بطنها من[8] .

---

(١) في المطبوع وهو جمع
ووردت هذه المادة في المطبوع (الملحق) نقلا عن الصفدي ص ٢٦٦
وانظر وجها آخر للعامية في القول المقتضب ص ٠٤
(٢) في المطبوع شكلت مؤخرة بالتخفيف
والصواب ما في الأصل وهو تشديد الخاء مع كسرها لأن الضبط بالتشديد هو محل الخلاف فقد أنكره ابن السكيت واعتبر بالفيومي في المصباح لحنا
(٣) في الأصل وقايمه
(٤) تمام الشطر من أوله مقيرة ردف إلخ
وهو لأبي ذؤيب .
ويرد آخره وآخرة حسب مقتضى التذكير والتأنيث .
(٥) في المطبوع وأهل المشرق
(٦) في المطبوع ويقال
(٧) هناك غير المؤلف من منع من مؤخرة بالتخفيف والتشديد ومنهم من اعتبرها لغة قليلة .
ومنهم من أنكر التشديد فقط واعتبره لحنا ، والجمهور على جوازهما معا وإلى هذا ذهب أبو عبيد إذ اعتبر التخفيف أجود .
قال أبو عبد الرحمن هذا هو الصحيح فكل هذه الصيغ جائزة تختلف معانيها باختلاف مراد المتكلم .
وهذه المادة وردت في المطبوع ص ١١٨ - ١١٩ وانظر المزهر ١ / ٣١٧ - ٣١٨ ومعجم الأخطاء الشائعة ص ٢٢
(٨) في الأصل بياض لمقدار نصف كلمة لم استطع استظهارها كاملة

يقال : لاأفعل ذلك ما خلفت حرة درة[1]

واختلافهما : أن هذه تسفل وهـذه تعلو[2] .

١١ ـ أنيس :

قال الزبيدى : ويقولون فى تصغير الإنسان : أنيس[3] .

قال أبو بكر : والصواب أنيسان فيمن اشتقه من الأنيس .

ومن اشتقه من النسيان قال : أنيسيان[4] .

١٢ ـ اقرأ عليه السلام .

قال الزبيدى : ويقولون أقرى فلانًا السلام .

قال أبو بكر . والصواب اقرأ عليه السلام

فأما أقرئه السلام فمعناه : اجعله أن يقرأ السلام كما يقال . أقرأته السورة .

---

(١) فى مجمع الأمثال للميدانى ٢ / ٢٣٧ .
لا أفعل كذا ما اختلفت الدرة والجرة ، وذلك أن الدرة تسفل والجرة تعلو فهما مختلفان
وقال ابن مكى واختلافهما أن الجرة تعلو إلى الفم والدرة وهى اللبن تسفل إلى الضرع
والجرة ما يفيضه البعير من كرشه فيأكله ثانية فيتعلل به إلى وقت علفه ، وكل ذى كرش يجتر

قال أبو عبد الرحمن : العوام فى نجد إذا بالغوا فى الدعاء لشخص يخصصه من المعصية قالوا : جعل (أى لعل) الذى حرم الجار من الجرة يحرمك من فعل كذا

(٢) اختصر هذا النص الخفاجى فى الشفاء وعنه أخذ الدكتور رمضان وألحقه بالمطبوع ص ٣٠٣ ونقل الخفاجى ابن الجوزى أورده مختصرا فى تقويم اللسان ص١٠٤ وأورده على نحو ما أورده الزبيدى ابن مكى فى تقويم اللسان ص ٨١
وقد عرف الخفاجى المؤلف فى حكمه باللحن فقال . والأمر فيه سهل لقرب المخرج

قال أبو عبد الرحمن . لا تزال هذه اللهجة لهجة قبائل بنى مالك وبلحارث وبلقرن وما حولهم وقد ذكر الدكتور رمضان نموذجا لهذه اللهجة من عامية مصر فى كتابه لحن العامة ص ٣١٥ و ٣٣٥

وذكر الجواليقى فى التكملة . الشاة تجتر وتابع الزبيدى أيضا ابن هشام اللخمى فى المدخل . وعن التناوب بين الجيم والشين راجع معجم تيمور الكبير ١ / ٥٤٦

(٣) ورد فى الملحق المطبوع ص ٥٢٩ نقلا عن تصحيح التصحيف للصفدى أنيس

(٤) الصواب ما قاله المؤلف ، وليس ذلك لمجرد أنه مشتق من الإنس ، بل لأن صيغة إنسان تحول عند التصغير إلى صيغة انيسان حسب قواعد النحو .

أما مسوغ أنيسيان ـ بياءين ـ فقد بينه الزبيدى بقوله فى تاج العروس ٤/١٠٣ الإنسان أصله إنسيان لأن العرب قاطبة قالوا فى تصغيره أنيسيان فدلت الياء الأخيرة على الياء فى تكبيره إلا أنهم حذفوها لما كثر فى كلامهم .
وقد جاء أيضا هكذا فى حديث ابن صياد انطلقوا بنا إلى أنسيان ، وهو شاذ على غير قياس .

وانظر وجها آخر للعامية فى معجم الأخطاء الشائعة ص ٣٠ والمزهر ١ / ٣٢٠ وتثقيف اللسان ص ٢١٠

وقد غلط حبيب[1] فى مثل هذا ، فقال :

اقرى السلام معرفًا ومخصصًا

من خالد المعروف والهيجاء

والصواب ما أنشدنا[2] أبو على :

اقرأ على الوشل السلام وقل له

: كل المشارب مذ هجرت ذميم[3]

قال أبو عبد الرحمن لم يحقق المؤلف رحمه الله مذهب اللغويين الذين حكموا باللحن فى هذه المادة ، ولم يحقق تحكم من ادعى اللحن ، بل تابعهم فى عمو الدعوى ولم يتميد بتفريقهم فأما مذهب بعض اللغويين فهو الحكم بأن أقرئ فلانًا السلام لحن إذا كان السلام غير مكتوب

وأما تحكمهم فى هـذا التفريق فلأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو سيد الفصحاء لم يراع هذا الفرق ، فقد ورد الاستعمال فى الحديث النبوى كثيرًا بالنسبة للسلام غير المكتوب .

وبهذا يتضح أن قولهم أقرئ فلانًا السلام استعمال صحيح فصيح لا لحن فيه ، وهو من المجاز الأدبى لا اللغوى . ذلك أن المقيم عادة يلح فى استحواب القادم حتى يحمله على الإخبار بكل ما سمعه من صديقه الغائب ، فكأن القادم بهذا يقرئ المقيم ، ولهذا يقول التلميذ . أقرأنى الشيخ فلان . لأنه عادة يحمله على القراءة عليه .

ثم إن أقرأ أصبحت عرفًا أدبيًّا بمعنى أبلغ والمبالغة فى الإبلاغ تقتضى أحيانًا الإقرا للتثبت من التبليغ .

" وانظر معجم الأخطاء الشائعة للعدنانى ص ٢٠١ ، ومعجم الألفاظ العاميه لعبد المنعم ص ٤٣٨

١٣ – انبصها .

وقال الزبيدى : ويقولون عند تحقيق القول إن لم يكن كذلك فانبصها[4] يعنون اللحيه .

---

(١) حبيب زياده من المشروح ، وهى فى الاصل داس .

(٢) فى الأصل أنشده

(٣) فى الأصل مذ هجرت

وهذه المادة وتخريج البيت فى المشروح ص ٢٥٨ – ٢٥٩ نقلا عن الصفدى

(٤) ما اعتبره المؤلف هنا لحنا قد نقله ابن القطاع عن العرب . واستعمال مادة نمص بمعنى القليل من الشعر إذا طلع يدل على أن فعل نمص مشتق من الاسم النمص ثم تحور بالنقل إلى الشعر ، والأرجح عندى أن النمص نحو أنابت الميم باء والاهمة غير اللحن .

قال محمد . والصواب فانمصها بالميم

أي انتفها

يقال : نمصت الشعر أنمصه نمصا . إذا نتفته وكذلك نقشته أنقشه . ونتخته أنتخه

ويقال للذي ينتف به الشعر المنماص والمنقاش والمنتاخ . وفي الحديث «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن النامصة والمتنمصة»

فالنامصة[1] : التي تنتف الشعر من وجهها . والمتنمصة التي تطلب أن تنمص شعرها .

وأنشد يعقوب

ياليتها قد لبست وصواصا
وعلقت حاجبها تماصا[2]
حتى يجيئوا عصباً حراصاً
ويرقصوا من حولها القلاصا[3]
فيحدوي حركا حياصا

والوصواص : البرقع . والحياص : الذي يحيص من حانب[4] إلى آخر وكانت نساء العرب ينتفن[5] الشعر عن وجوههن يتزين بذلك

أنشدنا أبو على[6] قال .

أنشدنا أبو بكر بن دريد .

فما مضى شهر وعشر لعيرها
وقالوا تجيء الآن قد حان حينها
أمرت من الكتان خيطاً وأرسلت
جريًا إلى أخرى سواها تعينها[7]
فما زال يجرى السلك فى حر وجهها
وجبهتها حتى ثنته قرونها[8]

---

(١) في الأصل : النامصة

(٢) في الأصل : دماصا

(٣) في الأصل : حتى [illegible]
والتصحيح من المطبوع من [illegible] ص ٣٦

(٤) في الأصل : فيحدون
وفي المطبوع وبقية المصادر : فيحدوي وفي كلتا الروايتين خلل في الوزن [illegible] . ويستقيم لو قيل [illegible]
وهذا الخلل من ضمن [illegible] التي درستها في بحثي عن الحداء أحد أشعار كتابي ديوان الشعر [illegible]

(٥) في المطبوع : من حانب إلى آخر

(٦) في المطبوع : ينتفن

(٧) في المطبوع : قال أبو على أنشدنا وأبو على هو القالى

(٨) في المطبوع : وأرسلت راء قبل الهمزة
وفي الأصل : وأرسلت بواو وراء قبل الهمزة .

وقال[1] ابن محمد بن دريد : هذه[2] امرأة استطرت عيرًا بقدم زوجها فيها فتمت بالخيط شعر وجهها وتهيأت له والجرى الرسول : والعرون الدواقس والسالك الخيط

١٤ – صطل

وقال الزبيدى ويقولون لموقف الدابة صطل ويجمعونها على صطول[3]

قال ابن بكر والصواب اصطبل وهو من كلام أهل الشام وجمعه آصاطب

وزعم ابن العباس المبرد أن الهمزة أصلية وقال إن الهمزة إذا كانت خامسة فصاعدًا فحكمها أن تكون أصلًا إلّا فى باب اشهيباب وإكرام[4] ونحوهما

قال إنما نقضى عليها بالزيادة إذا كانت أولًا ورابعة[5] .

وتصغير اصطبل على نحو جمعه أصيطب .

وقال بعض النحويين[6] : جمع اصطبل صطابل ، وتصغيره صطيبل .

وقال أحذف الهمزة ، كما أحذفها من إبراهيم وإسماعيل إذا جمعت أو صغرت والحجة فى حذفها أنها وإن لم تكن هاهنا زائدة[7] فهى من حروف الزوائد ألا ترى أن بعضهم يصغر فرزدقا وسمردلا على فريزق وسميرل ويجمعها على ذلك . لأن الدال قريبة المخرج من التاء . والتاء من الحروف الزوائد والهمزة فى أصطبل أجدر بالحذف من الدال فى سمردل

---

(١) فى المطبوع وقال

(٢) فى المطبوع وهذه

وهذه المادة وردت فى مطبوع ص ٢١–٢٣ وانظر تصحيف التسهيل ص ٧٩ – ٨٠ وعن تناوب الباء والميم انظر معجم الأصوات العربية أحمد سعيد ص ٤٦ – ٥٠ ومعجم تيمور الكبير ١ / ٣٧ ، ٨٣ – ٨٤

(٣) فى الأصل وجمعوه

(٤) فى المطبوع واعتدال . وذكر المحقق أن الزيادة من كتاب سيبويه .

(٥) فى المطبوع دون واو ثم ا رابعة

(٦) فى المطبوع المعروس

(٧) فى المطبوع : لم تك زائدة هنا .

قال أبو بكر · والقول الأول أحب إلى ، لأن القياس أن يأخذ التصغير والجمع حقهما ثم يرتدعان فيحذف(١) ما بعد الحرف الذى ارتدعا عنده ، بل لا يجوز غيره عند سيبويه (لأنه لا يجوز عنده) أن(٢) يحذف من الخماسى إلا آخره

وإن كان الرابع من الحروف التى تشبه الزوائد ولم يكن زائدا جاز حذفه مثل النون فى خدرنق والدال فى فرزدق ولا يجوز عنده حذف الثالث ألبتة مثل الميم(٣) من جحمرش .

وحجته فى ذلك أنه لا يستنكر أن يكون بعد الثالث حرف ينتهى إليه فى التصغير ، كما كان ذلك فى جعفر ، وإنما استجاز أن يحذف الحرف الذى وقف التصغير عنده ، وهو الرابع إذا أشبه حروف الزوائد ، كهمزة(٤) اصطبل أحرى أن لا تحذف : (إذ كانت أولا .

وإنما حذفت همزة إبراهيم وإسماعيل لأنهما جاءا على همزة اشهيباب وهما أعجميان فصارعت الألف الثالثة ياء(٥) اشهيباب ، واصطبل على مثال جردحل لا زيادة فيه .

قال أبو عبد الرحمن ذكر ابن مكى وجها آخر للعامية فى هذه المادة وهو إسكان الصاد وفتح الباء وتشديد اللام هكذا . اصطبل

انظر : تثقيف اللسان ص ١٦٠

والاصطبل موقف الدواب . وقد نص أبو عمرو بن العلاء على أنه معرب

وقد ساق الأزهرى على أنها مولدة إذ قال : الاصطبل موقف الفرس شامية .

وزعم صاحب تاج العروس أن الجوهرى أهملها .

قال أبو عبد الرحمن . نقل ابن منظور عن الجوهرى قوله الاصطبل للدواب وألفه أصلية ، لأن الزيادة لا تلحق بنات

(١) فى المطبوع : ويحذف .
(٢) ما بين القوسين زيادة من المطبوع ليست فى الأصل .
(٣) فى المطبوع فى .
(٤) فى المطبوع وهمزة .
(٥) فى المطبوع . فيهما الياء فى .

الأربعة من أوائلها إلّا الأسماء الجارية على أفعالها وهى من الخمسة أبعد .

وورد فى رجز أبى نخيلة قوله

ومن صلاح راشد اصطبله

قال أبو عبد الرحمن . الاصطبل بلفظها ومعناها معربة عن اليونانية .

انظر دائرة المعارف للبستانى ٣/٧٤١ – ٧٤٢ والمادة فى المطبوع ص ١٣٣ – ١٣٥ .
وانظر القول المقتضب ص ١٣٣

١٥ – الأيل .

وقال الزبيدى · ويقولون · الأيل بفتح أوله .

قال أبو بكر · والصواب أيل وفيه لغة أخرى[1] يقال هو الأيل

وقال يعقوب . بعض العرب يقول الأيل بدل الياء حيا . وأنشد[2] أبو على ·

كأن فى أذنابهن الشول
من عبس الصيف قرون الأحل[3]

وجمعه أيائل مهمور كجمع سيد ، وزنة إيل إفْعل ، والهمزة فيه أصل لأن[4] ليس فى الكلام افعل اسمًا[5] ولا صفة .

قال أبو عبد الرحمن · الأيل هو الوعْل مشتق من آل

قال أبو على الفارسى : سمى بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه . ا هـ .

وهو بتشديد الياء وبكسر الهمزة وضمها وفتحها ، والمشهور الكسر .

وإذن فحكم الزبيدى بأن أيل – بفتح الهمزة وتشديد الياء – لحن غير صحيح بل هو لهجة .

وإنما العامى ما ذكره الجواليقى فى التكملة إذ قال والعامة تفتح الألف والياء .

---

(١) فى المطبوع وفيه لغات

(٢) فى المطبوع وأنشدنا

(٣) فى الأصل عبس الصيف ، وضبطت جيم الأجل بالسكون وهو ضبط يخل بالوزن

والبيت من قصيدة لأبى النجم تجد تخريجه وكامل المادة فى المطبوع ص ١٤٢ – ١٤٣ وتجد تخريج القصيدة فى الطرائف الأدبية ص ٥٥

(٤) فى المطبوع لأنه .

(٥) فى المطبوع لا اسما .

أما الأحل ، بالجيم فلولا تشاهد أني السحم لقلت . إن قلب الياء جيما من تصرف العامة انظر معجم تيمور الكبير ١ / ٨٧

١٦ ـ لاحور :

وقال الربيدى · ويسمون الحجر المطبوخ . لاجور .

قال أبو بكر والصواب آجر وآجور، وهو فارسي معرب . ويقال [1] آجرون .

وقال أبو داود الإيادى

ولقد كان فى كتائب حصر
وبلاط بلاط بالآجرون [2]

١٧ ـ أى

وقال الربيدى ويقولون فى النداء أى فلان فيشددون حتى قال بعض شعرائهم الحميرى [3]

مت فيك الممات آى بناتى [4]

قال أبو بكر والصواب أى فلان بالتخفيف والعرب تنادى الاسم غير المندوب بخمسة أحرف [5] يقولون

---

(١) فى المطبوع ويقال أيضا
(٢) وردت فى المعجمات
الأجور بفتح الهمزة وضم الجيم
واليأجور بفتح الياء وسكون الهمزة وضم الجيم .
والآجور بمد الهمزة وكسر الجيم وضم الراء .
والآجور بضم الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء .
والآجور بمد الهمزة وضم الجيم وكسرها وتخفيف الراء
وأجور على وزن فاعول
والأجور طبيخ الطين وهى معربة عن (أكور) المعجم الذهبى ص ٥٤ وانظر دائرة المعارف لبطرس ١ / ٣٤ ـ ٣٩
قال أبو عبد الرحمن ما دامت معربة عن صيغة فاعول فيجب أن تحول إلى صيغ المعانى الأخرى بهذا القياس وما خالف ذلك من الشواهد فمو تجوز ، لأن الأصل فى المعرب ألا يتصرف فيه إذا كان على أوزان العرب فإن خالفها رد إليها كالعريون يرد إلى فعلان وسكريت إلى فعلول وما أشبه ذلك
ومن الشواهد الصحيحة ذلك قول العجاج
عولى بالطين وبالأجور
والمادة فى المطبوع ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ (الملحق) عن الصمدى
(٣) فى المطبوع بدون الحميرى وفى الأصل حتى قال بعض شعرائهم
(٤) فى المطبوع بمات
(٥) فى المطبوع على خمسة أوجه .

يا زيد وأى زيد وأى[1] زيد وأريد (وآريد)[2] فإن كان متراحياً قالوا أيا زيد وهيا زيد وينادون المندوب وأزيد .

وقال أبوعلى عن[3] ابن الأنبارى عن الفراء . قال :

العرب تنادى على تسع لغات يقولون يارب وهيا رب وأرب وآرب . وأى[4] رب وآى رب[5] وأيا رب ووارب[6] ورب[7] .

١٨ ـ أقمره .

وقال الزبيدى ويقولون أقمره[8] لجمع القمير .

وقال أبو بكر والصواب أقفزة مثل كتب وأكثبة :

وأما[9] أفعله فليس من أبنية الجمع

١٩ ـ أظفر :

وقال الزبيدى ويقولون : مسك أظفر بالظاء .

قال أبوبكر والصواب أذفر بالدال[10]

وقال يعقوب : الذفر بالذال لكل رائحة ذكية من نتن أو طيب[11] .

ويقال للصنان ذفر . وأنشدنا الفراء :

ومؤولق أنضجت كية رأسه
فتركته ذفرا كريح الحورب

---

(١) فى الأصل ويناون عن
(٢) ما بين القوسين زيادة من المطبوع .
(٣) فى الأصل وبدون عن
(٤) فى الأصل ويارب
(٥) فى الأصل ووارب
(٦) ما بين القوسين ليس فى الاصل ، ووارب ورب مكان وأى رب فأمر
(٧) فى أبى مكى وقد جاء فى التى النداء خاصة المد إلا أن القصر أشهر وأصح . تهذيب اللسان ص ١٦٣ والمادة فى المطبوع ص ١٤٦ ـ ١٤٧
(٨) فى المطبوع ، يقولون لجمع القمير أقمرة
(٩) فى المطبوع فأما
قال أبو عبد الرحمن المنصوب كسر الفاء ، الخطأ ضمها والمادة فى المطبوع ص ١٥٨
(١٠) فى المطبوع ، بالدال المعجمة
(١١) فى المطبوع ، من طيب أو غيره .

فأما[1] الدفر لمستكن لمعه وبالدال غير المعجمة فهو النتن خاصة ومنه قيل للأمة يادفار والدنيا أم دفر

وأما الأطفر بالطاء فهو الطويل الأظفار

قال أبو عبد الرحمن . عن هذه المادة راجع تثقيف اللسان ص ٨٣ — ٨٢ وذكر ابن الحوري وجها آخر للعامية فى المشرق وهو قولهم زفر بالراء انظر تقويم اللسان ص ١٢٨ — ١٢٩ ومن أوجه العاميه قولهم عن النتن زفر

انظر التكملة للجواليقى ص٢٢ ومعجم الألفاظ العامية لفريحة ص ٧٣ وقاموس العادات ٢ / ١٥ ومعجم شمال المغرب ص ٩٧

ولم يذكر الشيخ أحمد رضا هذا المعنى فى مادة زفر ص ٢٣٥ بكتابه قاموس رد العامى وفى الموصل أبدلوا الراء عيناً فقالوا زفغ .

انظر دراسات فى الألفاظ العامية موصلية ص٤٤ وعن مبادلة الظاء والزاي والعين عن الدال راجع معجم تيمور الكبير ١ / ٥٦ ومعجم الألفاظ العامية لعبد المنعم ص ٥٥

قال أبو عبد الرحمن رجح الأكثر من المعاصرين كالشيخ تيمور أن الراء مبدلة من الدال

والأصوب عندى أنها مادة مستقلة مأخوذة من الزفير مجازاً . ومع الزفير الزفير يكون الحشا ونحوه من ردىء الرائحة

٢٠ — أحمش

وقال الزبيدى : ويقولون نحو أحمش وشعر أحطل . (وشعر أعشى)[2] .

قال أبو بكر . والصواب نحو الأحفش وشعر الأحطل[3] والأعشى

ولا يجوز حذف الألف اللام من هذه الأسماء ولا من أمثالها . لأنها نعوت لقوم معروفين وقد أولع العامه بذلك وكثير من الخاصة[4] .

---

(١) فى المطبوع . وأما والدفر وتخريج الشاهد فى المطبوع ص ١٩٥ — ١٩٦

(٢) ما بين القوسين ليس فى المطبوع

(٣) فى المطبوع وشعر الأعشى

(٤) قال أبو عبد الرحمن عند الحكم باللحن يجب أن نراعى المقاصد البلاغية التى يراعيها المتكلم فللكاتب أن يقول . نحو أحمش وهو يريد الأحمش العالم الجليل إذا أراد التجهيل أو التحقير . والمادة فى المطبوع ص ٢٠٣

٢١ ـ آى

وقال الزبيدى ويقولون آى التى بمعنى العبارة والتفسير فيمدون

قال أبو بكر والصواب قصرها .

وحكى بعض أصحابنا عن أبى على أنه أجاز المد

وحدثنا أبو على عن ابن الأنبارى عن أحمد بن يحيى قال إذا فسرت فعلك[1] بأى رددته على[2] نفسك وإذا فسرته بإذا رددته على المخاطب وذلك نحو[3] قولك لبثت بالمكان أى أقمت به فإن قلت (إذا) قلت (إذن) أقمت به

٢٢ ـ شناف

وقال الزبيدى : يقولون : أسود شناف أى عظيم الشفة[4]

قال أبو بكر والصواب أشفه

يقولون رجل أشفه وشفاهى إذا كان عظيم الشفة ورجل أرأس ورؤاس ورؤاسى العظيم الرأس وأركب وآرحل للعظيم الركبة والرجل

وإنما قيل أشفه لأن الذاهب من الشفة الهاء

ألا ترى أنك تقول فى تصغيرها شفيهة[5] وفى جمعها شفاه فترد الهاء الذاهبة من الواحدة ؟

وكذلك تقول شافهت الرجل إذا كلمته كأنك أدنيت شفتك من شفته وأدنى شفته منك

فأما قولهم فى جمع شفة شفوات فكقولهم سنوات .

والأصل الهاء ، ولكنهم لما رأووا اكثر ما يذهب من الأسماء الناقصة الواو والياء توهموا ذلك فى سنه وشفة

وكذلك النسبة أيضاً إلى شفه شفهى وشفوى

---

(١) فى الأصل فعلك .

(٢) فى الأصل إلى

(٣) ما بين القوسين ليس فى المطبوع والمادة فى المطبوع ص ١٩٧ - ١٦٨

(٤) لم ترد هذه المادة فى المطبوع

ومن أوهام العامة تشديد فاء الشفة انظر تثقيف اللسان ص ١٦٠ وتقويم اللسان ص ١٤٥

(٥) فى الاصل فى تحقير شفيهه .

وأما التهاف فهو[1] المستف لما في
الإناء من الشراب بمعنى الشارب لتمامته
وهي السفية .

يقال : استف ما في الإناء إذا شرب
جميع ما فيه .

وقال بعض شعراء العرب

إن سرك لا ستفاف وصحتك انحعاف
وإنك التسع الياه تصاف وسام ليله تحاف
٢٣ – سنة .

قال أبو عبد الرحمن القول بأن
الناقص من سنه الهاء مذهب كثير من
اللغويين[2] وممن ذهب هذا المذهب الحافظ
الإمام ابن فارس ... قولهم سانهت
إذا أتت عليها أعوام وقوله
تعالى (لم يتسنه) أي لم يصر كالشيء
الذي تأتي عليه السنون فتغيره

(2) مقاييس اللغة ٣ / ١٠٢

قال أبو عبد الرحمن : الناقص من
سنة الواو

والهاء في سنه للوقف وليست أصلية
ولهذا لا تثبت في الوقف

---

(١) في الأصل فهو المشتق

أما ثبوتها في بعض التصرفات كسنيهة
فعلى توهم أصالة الهاء

أما آية (لم يتسنه) فمن فعل سنه
بمعنى تغير وانظر الخلاف في ذلك في تفسير
آية ٢٥٩ من سورة البقرة كتفسير
القرطبي

وسيأتي بسط الكلام عن ذلك في التعليقة
التالية عند برهنتي على أن الناقص من
سنه الواو

واللغويون في الناقص من سنة على
ثلاثة مذاهب :

(أ) المذهب الأول : أن الناقص لامها
والدليل على ذلك أنه يقال رجل
أسنى إذا كان لا تنضم شفتاه فظهر
الحرف المعتل

(ب) المذهب الثاني : وهو مذهب جميع
البصريين والمؤلف – : أن الناقص
لامها وهو الهاء .

والدليل على ذلك أن التصغير
سنيهة فظهرت الهاء وأن العرب
يقولون عن المواجهة بالكلام المتشافهة
لأن الكلام مواجهة من فيك إلى فيه .

وأن العرب يقولون : أشبه وشماهي
وأن جمع الكسرة سماه فظهرت الهاء
في جمع ذلك .

(ح) المذهب الثالث احتمال الأمرين

والدليل على ذلك قولهم في الجمع :

شهاب ، وتقول في النسبة

سموي وشفهي

فظهرت الهاء والواو معاً

ومن هؤلاء ابن فارس – قال .

إن الفولين محتملان والواو أجود لمقاربة القياس .

والقياس الذي يريده ابن فارس : أن شفى الفعل المعتل أصل في الإشراف على الشيء لأن الشفتين تشرفان على الفم

وبعكسه الليث صاحب العين رأى أن الهاء أقيس وأن الواو أعم لأنهم كما قالوا شفوات قالوا سوات فالشفوات على التشبيه بالسرات .

انظر مقاييس اللغة ٣ / ١٩٩ / ٢٠٠
ولسان العرب ٥٠٧/٥٠٦/١٣ و ١٤–٤٣٨
ودرة الغواص ١٦٠ وتاج العروس ٣٩٤/٩
و ٣٠١/١٠

قال أبو عبد الرحمن : الناقص هو الواو لا الهاء ، لأن احتمال الاستقاق المعطى من شفه أو شفو يرتفع بتعيين الاشتقاق المعنوي . وقد تعين الاشتقاق المعنوي من مادة شفى الفعل المعتل كما سبق في كلام ابن فارس . ثم إن الواو والياء تأتيان كثيرا أصليتين محذوفتين ولا ترد الهاء أصلية محذوفة . وإنما تأتي زائدة للوقف ، وأن هاء شفه لا تثبت في الوصل ، وما قاله الإمام الأزهري رحمه الله ما أراه محققاً ، والوهم فيه أقرب .

وما ورد من صيغ تظهر فيها الهاء إنما هو من توهم أصالة الهاء إلا أن هذا الوهم سرى على ألسنة الفصحاء فأصبح عربيا مسموعاً ومن ثم اشتقت شفة من شفى بمعنى الإشراف ثم اشتق من الشفة معنى المدانا فقالوا شافة البلد والأمر داناه .

وبعض من معاني اللغة وصيغها يوجد على أسس من الوهم والخطأ بخلاف من زعم غير ذلك .

٢٤ ـ تفيح :

وقال الزبيدى : ويقولون . فحص [1] فقيح للواسع

قال أبو بكر · والصواب أفيح ، وبلده فيحاء .

قال الشماخ .

تطرب وسهب من نوانه دونها
وأفيح من روض الرباب عميق

ويقال · دار فيحاء أى واسعة

وقد فاحت الجرحة تفيح فيحا إذا اتسعت بالدم وأفحتها أنا .

ويجمع أفيح على فيح وفيحاء على فياحى .

قال الهذلى :

ومتلف مثل فرق الرأس تخلجه
مطارب زقب أميالها فيح [2]

وأنشدنا أبو على قال أنشدنا ابن دريد لجميل .

فيالك مسطرا ومسير ركب
شحنى حين أمعن فى الفياحى

والفياح أيضا ـ على مثال فعال ـ المكان الواسع

قال بشر :

إذا ماشمرت حرب سمونا
سمو البزل بالعطن الفياح [3]

٢٥ ـ أصيت

وقال الزبيدى ويقولون · هو أصيت من فلان · يعنون أشد صوتا منه .

---

(١) المحص فى الأصل بمعنى البحث عن شىء واختباره ، ثم أطلق على ما استوى من الأرض ، لأن الانسان عاده بتمحة للفحص . من ثم أطلق على كل مكان يسكن من القرى والقصور

(٢) فى الأصل (فوق الرأس) والتصحيح من "السكرى .

والبيت لأبى ذؤيب الهذلى ، ورواه مطارب زقب والمتلف مكان ذو تلف وهى بكسر اللام وفتحها . والمطارب الطرق والزقب الضيقة شبه الطريق الضيق بفرق الرأس

انظر شرح أشعار الهذليين ١ / ١٢٥

(٣) ورد النص من هذه المادة متصلا فى الملحق المطبوع ص ٢٨٥ نقلا عن أصلين ... فى معجم الألفاظ العامة ص ٤٦١ أن من عامة ساحل عمان قولهم (ناقة فيحة أى قوية أصيلة . وأن الأصل من كلمة (فيحاء) وذكر العبودى فى قاموس العادات ٣ / ٥١ هذا المعنى ، واستشهد بقول الشاعر العامى

يا راكب فيحا تتوق الخطاطير من ساس هجن محدبات حيال

وأصلها فى لغة العرب للناقة كبيرة البطن ... فيه فياحة . انظر القول المقتضب ص ٣٣ ومعجم شمال المغرب ص ١٧٦

قال أبو بكر : وأصوت منه وقد صات الرجل يصوت صوتاً فهو صايت ، وذلك إذا صوت بإنسان ودعاه

يقال رجل صيت إذا كان شديد الصوت

ولفلان صيت فى الناس أى ذكر .

قال أبو عبد الرحمن وردت هذه المادة مختصره فى الملحق بالمطبوع ص٢٥٨ نقلا عن الصفدى ، ووردت فى تثقيف اللسان ص ٩٨

وقد عرف ابن فارس بالصوت تعريفاً مليحاً فقال . هو جنس لكل ما وقر فى أذن السامع . مقاييس اللغة ٣ / ٣١٨

قال أبو عبد الرحمن . ومن هذا المعنى ولدت العامة بعض المعانى

فبادية الأردن تقول . صوت بمعنى افتقر ، والحالة مصوتة معه بمعنى عصته الحاجة قاموس العزيزى ١٧٩/٢

وهذا المعنى عكس المستعمل فى الفصيح ، لأن فى لغة العرب . أنصات بنى الرمان انصياتاً إذا صار مشهورا .

قال أبو عبد الرحمن . لعل وجه الاستعمال أن الصوت هنا بمعنى الأنين ، والأنين بلاء بعد عافية ، ولهذا كان رغاء البعير دليلا على الإذعان .

وذكر الدكتور أنيس فريحة فى معجمه ص ١٠٧ من عامية لبنان قولهم . (صويت) أى صاحب صوت جميل

وذكر ص ١٠٨ صات الدهن أو الجليد بمعنى سال وذاب

وذكر صيت الرجل بمعنى اشتهر وطار صيته .

وذكر قولهم على سبيل التحدى . صيتك بعمل هذا ؟

أى أعمل هذا إن كنت صادقاً

وفى عامية نجد المصاويت والأصاويت بمعنى الأنات والزفرات

ومصوت بالعشاء المنادى به كناية عن الكرم .

وفى معجم الأخطاء للعدنانى ١٤٥ ـ١٤٦ مناقشة نفيسة لمن زعم أن الصيت للذكر الحسن فقط .

وقال ابن السكيت : الصوت صوت الإنسان وغيره ، والصائت الصائح .

قال أبو عبد الرحمن : ليس هذا بسديد عندى ، لأن اللغويين لم يفرقوا حيث شواهدهم لم تفرق .

ويظهر لى أن الصائت جهورى الصوت ، والمصوت من يرفع صوته وإن لم يكن يكن جهورى الصوت .

وعامية المغرب تقول . الصوت – بضم الصاد المشدودة .

انظر معجم شمال المغرب ص ١٢٨

٢٦ – أدراجه :

وقال الزبيدى ويقولون . جاء على إدراجه . إذا جاء على بدء .

قال أبو بكر · والصواب على أدراجه بالفتح .

واحدها . درج .

والدرج المشى وأنشد سيبويه :

أنصب للمنيه تعتريهم
أناس أم هم درج السيول(١)

وأنشد أبو العباس للراعى :

لما دعا الدعوة الأولى فأسمعنى
أخذت بردى واستمررت أدراجى

قال أبو عبد الرحمن · ورد النص مختصرًا فى الملحق بالمطبوع ص ٢٥٣ عن الصفدى .

وحكم المؤلف بأن إدراجه – بكسرة الهمزة – غير صحيح ، فهو منقول عن العرب . نقله ابن منظور عن ابن الأعرابى .

قال أبو عبد الرحمن عاد أدراجه بمعنى عاد من حيث جاء أى عاد من الطريق التى جاء منها ، لأن الأدراج جمع درج بمعنى الطريق .

فعلى هذا تكون أدراج بفتح الهمزه .
والإدراج – بكسر الهمزة – طى الشئ – والمسافر يطوى الطريق .

وعلى هذا يكون كسر الهمزة صحيحاً .

قال أبو عبد الرحمن ومن عامية نجد الدرج بمعنى الرصاص وله شواهد كثيرة من الشعر العامى ، وله معان كثيرة من المجاز محتملة .

(١) البيت لابن هرمة كما فى مطبوع (حاشية) وشواهد سيبويه للحجاجى ص ٧٩

ولهذا تجد فى عاميه ساحل عمان درجت التدفق

أى أطلقت البنادق نيرانها .

انظر معجم حنظل ص٢١٦ وانظر وجهاً من العامية فى معجم شمال المغرب ص ٧٨ والقول المقتضب ص ٢٧

٢٧ ـ أفرنة :

وقال الزبيدى . ويقولون أفرنة لجمع الفرن .

قال أبو بكر والصواب أفران . فأما أفعلة فليس من جمع فعل .

والفرنية خبزة تسوى ثم تروى لبنا وسكرًا وسمنا ، وتنسب إلى الفرن .

وقال الهذلى :

نقاتل جوعهم بمكللات

من الفرنى يرعبها الجميل[1]

٢٨ ـ حويتات :

وقال الزبيدى : ويقولون . فى تصغير حيتان : حويتات[2] .

قال أبو بكر . والصواب أحيات نردها إلى أحوات لأنه أدنى العدد

وكذلك نفعل بكل جمع كثير إذا صغرته رددته[3] إلى أدنى العدد فإن لم يكن له أدنى عدد صغرته وجمعته بالتاء .

وذلك أنهم كرهوا أن يصغروه على البناء الذى يدل على الكثرة فيقع فى اللفظ به التضاد من تقليل وتكثير[4]

---

(١) ترد هذه المادة فى المطبوع والبيت لأبى خراش الهذلى كما فى تاج العروس ٩ / ٣٩٩
ويمتاز الفرن عن التنور بأنه غرفة صغيرة أرضها بلاطة تحتها ملح حصى ويخبز عليها ـ انظر معجم فرنسة ص ١٢٩
قال أبو عبد الرحمن نص اللغويون على أنها معربة شامية وأغلب ما يعنون بالشامى المعرب عن اليونانية
وراجع هذه المادة قاموس العربزى ٣ / ٢٦ ـ ٢٧

(٢) فى الملحق بالمطبوع ص ٢٦٩ عن الصفدى حويتات

(٣) فى الاصل . ورددته

(٤) ما خطأه المؤلف هو الصواب ، وما صوبه هو الخطأ ، لأن حيتانا جمع كثرة لغير عاقل والقاعدة أن تصغر مفرده (حوت) هكذا (حويت) ، ثم يجمع جمع مؤنث سالم هكذا (حويتات) .
ومن الخبار فى عامية الأردن الحوت الرجل الداهية الصبور .
انظر قاموس العربزى ١ / ٢٣٥

٢٩ – ويقولون لجمع الريح . أرياح[1]

قال أبو بكر والصواب أرواح .

وأنشد لميسون بنت بحدل

لبيت تخفق الأرواح فيـه

أحب إلى من قصر منيف

وأصل الياء فى ريح واو ولكنها انقلبت ياء لانكسار ما قبلها وانقلبت فى رياح أيضاً لا نقلابها فى الواحد .

ويقال : أروح الصيد واستروح إذا وجد ريح الأنس .

فإن قال قائل . فهلا قالوا رواح كما قالوا طوال ! فإنما ذلك لما أسأتك به من اعتلالها فى الواحد ، وصحت فى طوال لصحتها فى واحده

وكذلك الواو إذا كانت ساكنة فى الواحدة اعتلت فى فعال إذا جمعت كقولهم ثوب وثياب .

ويروى عن الخشنى محمد بن عبد السلام به قال كل ما كان فى القرآن من ذكر الريح فهو عذاب وما كان من ذكر الرياح فهو رحمة وفرج . (ريح فيها عذاب أليم [سورة الأحقاف – ٢٤]) و (ريح فيها صر [سورة آل عمران – ١١٧)

(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) [سورة الأعراف –٥٧]

وهذا لا يصح فى نظر وقد قال الله عز وجل .

(وجرين بهم بريح طيبة) [سورة يونس – ٢٢] .

وفى الحديث عن أبى هريرة قال لعمر رضى الله عنه

الريح من روح الله تأتى بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها .

حدثناه قاسم بن أصبغ قال . حدثنا العتبى ، عن محمد بن حرب : عن الليث ، عن يونس عن ابن شهاب ، عن ثابت بن قيس ، عن أبى هريرة . فذكره[2] .

---

(١) ورد هذا النص مختصرا وفيه إضافة أيضا فى الملحق بالمطبوع ص ٢٥٣ عن الصفدى

(٢) انظر عن هذه المادة تثقيف اللسان ص ٩٧ – ٩٨ وتقويم اللسان ص ١٣١ ودرة الغواص ص ٤٠ – ٤٢ ومعجم الأخطاء للعدنانى ص ١٠٨ – ١٠٩ وعن المعانى التى ولدتها العامة من روح وريح راجع معجم الألفاظ العامية لمالح حنفى ص ٢٥١ – ٢٥٩ وأموس مرادى ١ / ٣٦٦ و ٣١١ – ٤١٢ علق فيه على بن ابن الروبى فطن أن الروح بمعنى الريح ، والريد الريب مكسورا ، ومعجم الألفاظ العامية لأنيس فريحة ص ٦٨ ومعجم الألفاظ العامية للدكتور عبد المنعم سيد ص ٢٧٠ – ٢٧١ والقول المقتضب ص ٣٢

قال أبو عبد الرحمن : فى الملحق بالمطبوع . ويقولون هبت الأرياح مقايسة على قولهم رياح . وهو خطأ بين والصواب أن يقال هبت الأرواح كما قال ذو الرمة

إذا هبت الأرواح من نحو جانب
به أهل مى هاج قلبى هبوبها

والعلة فى ذلك أن أصل ريح روح لاشتقاقها من الروح .

وإنما أبدلت الواو ياء فى ريح ورياح الكسرة التى قبلها ، فإذا جمعت على أرواح فقد سكن ما قبل الواو وزالت العلة

ومثاله ثوب وحوض ، يقال فى جمعه ثياب وحياض

وإذا جمعوها على أفعال قالوا . أثواب وأحواض . اهـ .

قال أبو عبد الرحمن . هذا هو كل ما فى الملحق بالمطبوع عن هذه المادة ، وهو بنصه فى درة الغواص ص ٤٠ – ٤١ .

قال أبو عبد الرحمن المؤلف نص هاهنا على أن الأرياح لحن ، وحكم بأنها خطأ بين وصاحب القاموس نص على الأرياح ، وذهب جمهور اللغويين إلى أن هذا الجمع شاذ .

وإنما عز الجمهور امران :

أولهما : أن الريح من الروح .

وثانيهما ورود جمع أرواح فى الشواهد

قال أبو عبدالرحمن . الأرياح جمع عربى فصيح ومعناها يختلف عن معنى الأرواح ، فالأرياح جمع قلة لذات الريح ، والأرواح جمع كثرة لنسيم الأرياح .

وكون الريح مشتقة من الروح لا يمنع من تصريف لفظ الريح مراعاة اللفظة بعد استقرار الإشتقاق .

وضرورة الفرق بين جمع الكثرة لروح وريح أن ترد جمع قلة لروح إلى أروح

ولا نحتاج فى ذلك إلى السماع ، بل يكفى أن صيغة (أفعل) مسموعة لجمع القلة

والأصل جمع فعل على أفعل ماعدا الأجوف ، وروح أجوف حقه أن يجمع للكثرة على رياح ، فلما كانت رياح تلتبس بجمع ريح للكثرة رجعنا إلى الأصل فجعلنا أرواح للكثرة . وأروح للقلة

وقد ذكر الأرياح صاحب الصحاح وانظر الخصائص لابن جنى ٣– ٢٩٥

قال أبو عبد الرحمن والحديث الذى احتج به الزبيدى فى سنن أبى داود

واعتبار الريح للعذاب والرياح للرحمة ليس هو مذهب الخشنى فحسب بل هو مذهب جمهور علماء المسلمين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا هاجت الريح اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحا

ولأنهم رأوا الرياح ترد مجموعة فى آيات الرحمة مفردة فى آيات العذاب

ولأن العرب يعتقدون أن السحاب لا تلقح إلا من رياح مختلفة .

واعتراض المؤلف بآية (بريح طيبة) وبحديث أبى هريرة اعتراض ليس سديدا لأمرين

أولهما . أن الريح مقيدة بأنها طيبة . والمراد إطلاقها

وثانيهما . أن الرياح خالصة للرحمة والريح محتملة . فكان إطلاقها للعذاب تغليباً

وانظر درة الغواص ص ٧٩ - ٨٠

قال أبو عبد الرحمن . والحديث الذى ذكرته ورد من عدة طرق خرجها البوصيرى الكنانى فى الجزء الثانى من كتابه (اتحاف المهرة) — ولا يزال مخطوطا — وهذا موجز تخريجه

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ثارت ريحاً استقبلها وجثا على ركبتيه ثم قال :

اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً

اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا

. رواه مسدد وأبو يعلى بسند ضعيف لضعف حسين بن قيس .

وقال محمد صديق خان

عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال : اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به أخرجه مسلم كذا فى الأذكار وأخرجه الترمذى والنسائى أيضا وأخرجه الطبرانى فى الدعاء وفى معجمه الكبير من حديث ابن عباس بلفظ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتدت الريح استقبلها بوجهه وجثا على ركبتيه ومد يديه وقال اللهم . الخ .

وزاد اللهم أجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم أجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحا .

قال فى مجمع الروائد : وفيه حسين ابن قيس الرحبي أبو على الوسطى الملقب حنش وهو متروك وقد وثقه حسين بن نمير وبقية رجاله رجال الصحيح قيل وجه جعلها رياحاً لاريحاً أن العرب تقول لا يلقح الشجر إلا من الرياح المختلفة ولا تلقح من ريح واحدة فدعا صلى الله عليه وسلم بأن يجعلها تلقح ولا يجعلها لا تلقح .

وقيل إن الرياح هى المذكورة فى آيات الرحمة والريح هى المذكورة فى آيات العذاب كقوله سبحانه (الريح العقيم) و (ريحاً صرصَرًا) .

وقد ورد ما يفيد أن الريح تأتى بما هو خير وتأتى بما هو شر فمن الخير قوله تعالى : بريح طيبة .

وفى حديث أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الريح روح الله تعالى تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبوها وسلوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها . رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد حسن والنسائى والحاكم وابن حيان وصححاه .

فلعل وجه مافى حديث الباب أن الرياح لاتأتى إلا بخير والريح تأتى تارة بهذا وتارة بهذا فسأل أن يجعلها رياحاً لكونها خيرًا محضاً ولا يجعلها ريحاً تحتمل الخير والشر والروح بفتح الراء الرحمة .

انظر نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار ص ٢٩٨

٣٠ ـ آمان :

وقال الربيدى ويقولون : أعطاه السلطان آمانا ، فيمدون قال أبو بكر والصواب .

أمان على مثال فعال .

ويقال أيضاً : أمن .

والمأمن موضع الأمن .

والأمانِ الرجل الأمين .

وقال الأعشى :

ولقد شهدت التاجر الأمان

موروداً شرابه [1]

عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى

(١) ورد بعض هذا النص فى الملحق المطبوع ص ٣٥١ عن الصفدى
والبيت فى ديوان الأعشى ص ٢٢
والأمان ـ بفتح الميم المشددة ـ الموثوق به .

الشيخ محمد عياد الطنطاوى
أول أستاذ عربى فى روسيا
ورائد من رواد الدراسات فى اللغة العامية المصرية
للدكتور جريجورى شرباتوف

أسهم الشيخ محمد عياد الطنطاوى (١٨١٠ - ١٨٦١) بقسط ملموس فى علم اللغة العربية وخاصة فى دراسة اللغة العامية المصرية ، وكذلك فى الأدب العربى الكلاسيكى والحديث ، بكونه شيخا فى الأزهر فى الثلاثينيات وأستاذا للغة العربية فى مدرسة الألسن والجامعة ببتربورغ عاصمة روسيا فى الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضى ، إذ ألف كثيرا من المؤلفات القيمة فى جميع المجالات المذكورة ، وترك تراثا مرموقا فيها ، نال تقديرا عاليا فى وقته ، ويستحق الذكر والإحياء والاهتمام من قبل الأوساط العلمية المصرية والسوفييتية فى أيامنا هذه .

وفى هذا البحث نحاول أن نلقى ضوءا على مجال واحد من أعمال الشيخ الطنطاوى وهو اهتمامه بدراسة اللغة العامية المصريه والفولكلور المصرى ، بصفته رائدا من الرواد فى هذا الحقل الحديث من حقول علم اللغة فى العهد الجديد ولكننا نرى من الضرورى أن نقدم بادئ ذى بدء عرضا شاملا لمعالم حياته الطريفة وتحف آثاره العجيبة من مخطوط ومطبوع .

اسم الشيخ الكامل . محمد سعد بن سليمان عياد المرحومى الطنطاوى الشافعى . وأضيف إليه أحيانا . الأحمدى الأزهرى . ولد فى سنة ١٢٢٥هـ-١٨١٠م فى قرية نجريد بالقرب

من طنطا ، تعلم فى مدارس طنطا ثم فى الأزهر وكان هناك شيخا يعلم تلاميذه فقه اللغة والأدب وعقائد الدين وفى سنة ١٨٤٠ انتقل إلى مدينة بتربورغ (لينينغراد حاليا) التى كانت عاصمة روسيا آنذاك ، حيث بدأ دروسه فى اللغة العربية الفصحى والعامية المصريه وتاريخ الأدب العربى ، فى مدرسة الألسن التابعه لوزارة الخارجية ، ثم فى جامعة بتربورغ . وعين فيها فى منصب أستاذ قسم اللغة العربية فى سنة ١٨٤٧ وتوفى فى عام ١٨٦١ ودفن فى مقبرة ڤولكوڤسكويه بضواحى بتربورغ (لينينغراد) .



صوره الشيخ محمد عياد الطنطاوى



قبر الشيخ الطنطاوي في لينينغراد

وكان الشيخ الطنطاوى من أبرز الشخصيات فى عصره ، تلقى علومه على يد أساتذته علماء الأزهر . إبراهيم الباجورى (١٧٨٣–١٨٦١) ، وحسن العطار (١٧٦٦–١٨٣٤) وإبراهيم السقاء (١٧٩٧–١٨٨٠) وعاش فى عهد النهضة الأدبية ، ويبدو من مراسلاته وترجمة حياته أنه كانت العلاقات الطيبة تربط بينه وبين خليله رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ – ١٨٧٣) أحد أساطين النهضة وصديقه إبراهيم الدسوقى (١٨١١–١٨٨٣) معلم المستشرق الإنجليزى المشهور إدوارد لين صاحب القاموس العربى الإنجليزى الكبير.

وكان للشيخ الطنطاوى تلاميذ كثيرون فى الأزهر وكذلك عدد كبير من تلامذته المستشرقين الأجانب استفادوا من سعة اطلاعه الثقافية واستشاروه (فى مصر وروسيا) فى قضايا تاريخ الأدب العربى ونصوصه وخصائص اللغة العربية . ونذكر منهم العلامة الرحالة غ ڤالين (١٨١١–١٨٥٢) من فنلندا ومواطنه آ تشيلعرين (١٨٢٢ – ١٨٥٦) ، ف . فرينيل (١٧٩٥ ١٨٥٥) وآ. بيرون (توفى فى ١٨٧٦) من فرنسا ، وغ ڤييل (١٨٠٨ – ١٨٨٩) من ألمانيا ، والدبلوماسيين والمستشرقين الروسيين فى القاهرة ن موخين (ولد فى ١٨١٠) ور . فرين (ولد فى ١٨١٢) الخ . وكانوا جميعا يحترمونه احتراما عميقا ويعتزون بصداقته معهم ، وأشادوا باسمه فى رسائلهم ومؤلفاتهم . وقال فرينيل عن الطنطاوى « إنه فى الوقت الحاضر شيخ مصرى وحيد يدرس بشغف وانتباه لغته الأصلية والآثار القديمة للأدب العربى » كما سماه لين : « أول عالم فيلولوجى فى أول مدرسة عربية فى أيامنا ». أما ڤالين وتشيلعرين فتركا ذكرياتهما المؤثرة عن أستاذهما المحبوب ، ورسما صورته الجذابة بألوان رقيقة دافئة وأثناء دراسة المخطوطات والمسكوكات والنقود العربية القديمة توجه خ فرين (١٧٨٢ – ١٨٥١) عميد المستشرقين الروس فى ذلك الحين إلى زميله المصرى وقبل شروحه وتعاليقه النفيسة بامتنان وأشار فى مؤلفاته إلى أن الشيخ الطنطاوى ثقة هامة فى هذا المضمار

واسم الشيخ الطنطاوى معروف فى الهيئات العلمية والثقافية فى وطنه مصر وروسيا وأوربا الغربية ونشرت عدة مقالات إخبارية عنه وفى مقدمتها مقالة أحمد تيمور فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (١٩٢٤)[1] وفى سنة ١٩٢٩ صدر فى لينينغراد كتاب مفصل واف عن الشيخ الطنطاوى ألفه المحاثة إغناطيوس كراتشكوفسكى مؤسس مدرسة الاستعراب السوفيتى[2] كان يجمع مواد كتابه

(١) المجلد الرابع من المجلة لسنة ١٩٢٤ ص ٣٨٧ – ٣٩١

(٢) إ ى كراتشكوفسكى الشيخ الطنطاوى ، أستاذ جامعة سان – بترسبورغ ، لينينغراد ، ١٩٢٩ (باللغة الروسية) ، أعيد طبع الكتاب فى المجلد الخامس من المؤلفات المختارة لكراتشكوفسكى ، موسكو – لينينغراد ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢٩ – ٢٩٩

خلال خمس عشرة سنة ، ويشمل الكتاب سيرة الشيخ الطنطاوى ، ويصف جميع مؤلفاته المعروفة ويقدم بعض النماذج والمقتطفات من مخطوطاته وأبرز كراتشكوفسكى قيمة الآثار الطنطاوية الأدبية واللغوية ودوره الكبير فى تاريخ العلمين المصرى والروسى وجدير بالذكر أن كراتشكوفسكى الذى ألف ما يقرب من خمسمئة كتاب ومقالة على مدى أربعين سنة من البحوث العلمية قد اعترف بأن كتابه عن الشيخ الطنطاوى كان أحب بحوثه إليه[1].

توجد فى مكتبة لينينغراد مجموعة المخطوطات الشرقية وأكثريتها باللغة العربية ويبلغ عددها مئة وخمسين مخطوطة من تراث الشيخ الطنطاوى بعضها من تأليفه والجزء الآخر يتألف من مخطوطات ليست بقلمه، جمعها العالم المصرى أو نسخها فى فترات مختلفة من حياته وهى غير عريقة فى القدم ، ولكن بعض المخطوطات فريدة ،ولضيق المكان نذكر هنا بعضا منها : النسخة الأصلية الأولانية لأهم آثاره الأدبية تحت العنوان : « تحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا » (فى ١١٢ ورقة) وتحفظ النسخة الثانية المبيّضة لنفس الأثر فى إستانبول فى مسجد رضا باشا فى رميلى خصار (فى ١٩٣ ورقة) كتب الطنطاوى أثره هذا قبيل سنة ١٨٥٠ ، ويتحدث فيه عن رحلته من القاهرة إلى روسيا وتاريخ روسيا ، وعن عادات الروس وتقاليدهم ، والحياة الثقافية فى بلادهم وتعتبر « تحفة الأذكياء » من أروع بواكير الأدب العربى الحديث ذات الأهمية الثقافية والتاريخية ، شأنها شأن كتاب وصف عاصمة فرنسا بقلم الشيخ رفاعة الطهطاوى[2] ومع الأسف الشديد لم تحقق « تحفة الأذكياء » حتى الآن ولم تطبع مع أن هذا الأثر الأدبى الغنى ذا الوقائع الطريفة ، يستحق البحث والإصدار كما أكد ذلك المستشرق الكبير من الجيل الأقدم آغافانغل كريمسكى (١٨٧١ - ١٩٤٢) فى كتابه عن تاريخ الأدب العربى الحديث[3] .

ولكى تكون الفكرة كاملة عن قيمة مجموعة المخطوطات الموروثة عن الشيخ الشيخ الطنطاوى نشير إلى نسخة قيمة أخرى وهى مخطوطة قاموس اللغة العامية المصرية « دفع الإصر عن كلام أهل مصر » ليوسف المغربى (المتوفى سنة ١٠١٩هـ — ١٦١١م) وأثبت كراتشكوفسكى أهميتها العلمية

---

(١) إ . ى كراتشكوفسكى المؤلفات المختارة ، المجلد الأول ، ص ٩٨

(٢) رفاعة الطهطاوى تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ، بولاق ، ١٢٥٠ هـ

(٣) آ . ى كريمسكى . تاريخ الأدب العربى الحديث القرن التاسع عشر — بداية القرن العشرين ، موسكو ، ١٩٧١ ، ٧٩٤ ص (باللغة الروسية) ، خص العالم السوفيتى فيه شخصية الشيخ الطنطاوى بباب مستقل أورد فيه بعض تفاصيل مضمون « تحفة الأذكياء » (ص . ١٧١ — ١٨٥)

(١٩٣٤) وقام العالم المصرى عبد السلام عواد بتحقيقها ونشر صورتها الفوتوغرافية فى سنة ١٩٦٨ لقد أسعدنى الحظ أن أقدم بحثا عن خصائص المخطوطة اللغوية فى ندوة ألفية القاهرة فى ١٩٦٩ :

أما اهتمامات الشيخ الطنطاوى اللغوية فكانت متباينة وعديدة كربيب الأزهر وشيخه . كان الطنطاوى مثل معاصريه من العلماء العرب تقليديا فى منهجه وتأليفه اتبع علم اللغة التقليدى الذى يعود إلى كتاب سيبويه وآثار النحاة فى القرون الوسطى وهذا ما يختص باللغة العربية الفصحى . ومن جهة أخرى فى نتيجة اتصالاته بالعلماء المستشرقين من أوربا الغربية وروسيا ازداد اهتمامه بالدراسة المقارنة النقدية للنصوص الأدبية وسعيه إلى تحليل قواعد اللغة العامية والمنهج الأخير متعلق كذلك بحاجات تدريس لغة المخاطبة فى روسيا

كانت المرحلة الأولى لدراسات الطنطاوى اللغوية مرتبطة بزمن إقامته فى مصر . كما كتب فى إحدى رسائله : قد ألف كتاب النحو وتركه عند تلاميذه فى الأزهر . ونجد فى جامعة لينينغراد ثلاثة من أعماله اللغوية التقليدية فى مخطوطات جاء بها من القاهرة وهى

١ — نظم تصريف الزنجانى

٢ — ختم على شرح القطر لابن هشام .

٣ — تقييدات على شرح الأزهرية .

أما فترة تعليمه ودراساته فى بطربورغ فقد توجت بصدور كتابه الشهير عن اللغة العامية المصرية ، وعنوانه بالعربية « أحسن النخب فى معرفة لسان العرب » وبالفرنسية Traité de la langue arabe vulgaire (1848)

وكان الكتاب فى عهده ظاهرة جديدة فريدة إذ كانت دراسات اللهجات فى الغرب فى مرحلة نشأتها . ولم يفتح بابها فى العالم العربى بعد واعتبره العلماء خطوة كبيرة إلى الأمام فى الدراسات اللغوية وعلم اللهجات وأشاروا إلى قيمة مصادره ومواده التى أوردها وحللها العالم العربى وقد لجأت إلى الكتاب واستفادت منه أجيال عديدة من العلماء

وهذا الأثر النفيس لم يفقد أهميته العلمية حتى اليوم . فنرى من الضرورى أن نعرض بعض النماذج من الكتاب لنثبت قيمته لعصره ولعصرنا أيضا . وبغرض إبراز خصائص منهج المؤلف

يقع الكتاب فى ٢٥٦ صفحة

ويتضمن بابا خاصا (٢٥ صفحة) يشرح فيه القواعد الصوتية والنحوية واللفظية ، وفى باب آخر (١٠٠ صفحة) تقدم بأمثلة كثيرة ، جمل وتراكيب ، لشرح تكوين واستعمال أجزاء الكلام فى اللغة العامية ثم يأتى باب التعابير والتحيات الشعبية المستعملة فى مناسبات مختلفة (الأعياد ، بعد

أداء الصلاة ، أثناء الأكل والشرب الخ) يعرف القارىء كذلك عددا كبيرا من نماذج الفولكلور المصرى الأمثال (الصفحات ١-١٣٣) والنوادر وأخبار العار (الصفحات ٢٢٦ - ٢٣١) أدرج المؤلف فى كتابه المواويل (الصفحات١٧٦-٢٢٦) وأكثرها من تأليفه كما نشر فى أثره عديدا من المراسلات (الصفحات ١٣٣ - ١٧٠) .

وفى قسم الأصوات مثلا يشرح المؤلف طريقة لفظها العامى وكيف يختلف نفس الصوت من مكان إلى مكان من منطقة إلى أخرى يقول عن صوت الجيم لفظه شبيه فى القاهرة بصوت g الفرنسى (فى gamin) ويلفظون هذا الصوت زاء فى بعض القرى فيقولون إنجاز الزاموسة بدل إبراز الجاموسة ويتحول صوت الجيم إلى الشين أحيانا · وتش من وجه ، يلفظ أهالى القاهرة وضواحيها القاف همزة . ويسمع أحيانا العين ما أعطرش . ويشير إلى لفظ الضاد ظاء وبالعكس ظابط . راحل مظبوط صهر ، وإلى انتشار التشديد فى بعض مقاطع المفردات . حدّ ، هوّ ، هىّ ، همّ ، ميّة تربيّة ذ

وفى الفصول النحوية يتحدث صاحب الكتاب عن زوال الإعراب فى العامية واستعمال التنوين فى بعض الحالات النادرة مثلا فى عدة أمثال شعبية (خيرٍ تعمل شرٍ تلقى ، عبدٍ ما هو لك حرٍ مثلك) أو مجموعة الظروف الواردة من الفصحى (دائماً ، أبداً) وعن بقاء نون المثنى والجمع فى فى الإضافة عينين است (ولكن عينيك) تعالى أملى خد مينك . وعن بقاء الصيغة الخامدة للأسماء الخمسة "بوك . أخوك . حماك فمك (بدل فوك) وعدم استعمال ذو فى العامية

ويفسر الشيخ الطهطاوى فى كتابه مزايا كثيرة لتصريف الفعل العامى وأوزانه الثلاثية والرباعية والخماسية (كسّر عقّل . متّش اتكلّم . استحسن) واستعمال صيغة الجمع مع الاسم المثنى وبعائلات (الوالدين فهموا النسوان رقصوا) وخواص تصريف أفعال العلة وأشكالها فى العامية (يوعد . يوسع ويقع يسع جا الخ) زوال صيغة المجهول فى العامية وانتشار الأوزان الفعلية الأخرى للتعبير عنه (اتّاكل . انضرب)

ويحوى مؤلف الطهطاوى معلومات وافرة عن المفردات العامية التى تغير شكلها (الراجل -للرجل . اللى-الذى . تلتميه لثلاثمئة) . تغير معانيها (شاف أى رأى - من شاف أى صقل ، واد أى صبى - من ولد أى طفل) . النحت (للسّا-للساعة) وأورد العالم عددا لا يستهان به من المفردات الأجنبية - التركية والفارسية واللغات الأوربية التى شاعت فى عهده. كلمة خردة مورستان . عمارم ، قشله ، شلك ، تفشيتس استتاليه ، وبور ، سارى عسكر (أى قائد الجيش) ، أميرحور أغا ، باشا الخ ولفت

الانتباه إلى استعمال لواحق النسبة التركية — جى (عربجى ، طوبجى ، خرده جى) و — لى (شرباتلى) ولواحق النسبه الفارسية دار (سلحدار ، خزندار ، حكمدار) .

ويدل العرض الموجز لبعض المعلومات من كتاب الطنطاوى على أن العالم ركز اهتمامه على القواعد الهامة للعامية وأعطى إشارات مفيدة لازمة لتعليم العامية بشكل واف كما أتاح فرصة سانحة لمعاصريه العلماء فى الغرب والشرق لتعميم الاستنتاجات العلمية الواسعة عن تكوين اللغة المصرية العاميه المعاصرة لهم

ولكن اليوم لكتاب الطنطاوى أهمية أكثر مما كان عليه سابقا إذ أصبح مصدرا تاريخيا مأمونا للدراسات المقارنة التاريخيه يشمل مواد ومعلومات عن تطور اللغة العامية خلال مئة وخمسين سنه . ونرى أن التغييرات الملموسة حدثت فى الألفاظ والأصوات وقواعد النحو . والمعروف أن العناصر اللغوية المتشابهة وجدت فى الماضى بين اللغه العاميه المصرية واللهجات السوريه الفلسطينية كما يسمونها فى علم اللهجات . ونجد فى أثر الطنطاوى دلائل عديدة على أن هذا التشابه كان ظاهرا فى عهده ، إذ يشير إلى إمالة الفتحة ولفظها كسرة بعد حروف : ش س ، ف ، د ، ت ، ب ، ى ، و ، ن م ، ل : حبّه ، حته ، خمسة ، قهوة ، وتستعمل كلمة « بد » للتعبير عن الإرادة والرغبة : إن كان بدك تجى تعال (بمعنى إن كنت عاوز تيجى تعال) ، انتشرت فى تلك الفترة « الاختياريه » (أى العجاير الشيوخ) ، إيش (بمعنى : إيه) ، مس شان (بدلا من : على شان ، عشان) ، كانت ظروف الاستفهام تسبق الكلمة : فين تروح (اليوم . رايح فين) ، من أين تجى (اليوم يقال : جاى منين وكان أهالى مصر يستعملون كلمتى : شويه وبعضش (بمعنى قليلا) ، البارح والبارح (بمعنى أمس) زالت اليوم من الوجود مفردات كثيرة للعهد العثمانى مثل إلجى (أى السفير) ، العرضحال (أى الطلب) وغيرهما ولا شك أن كتاب الشيخ الطنطاوى سوف يخدم خدمة نبيلة لعلم اللغة . وكل ما ذكرناه أعلاه عن قيمة القواعد اللغوية يخص كذلك قسم الأمثال وغيره من الفصول الفولكلورية فى الكتاب وتتضاعف أهمية هذه النماذج لدراسة الأدب الشعبى وتاريخه نجد بين الأمثال وحدات عديدة منتشرة فى الوقت الحاضر :

اعمل الطيب و ارميه البحر .

الحيطه لها ودان ، الشرط نور

العروسة للعريس والجرى للمتاعيس .

المركب اللى لها ريسين تغرق ، ساعة لقلبك وساعة لربك الخ .

وقد يعثر عالم الفولكلور فى الكتاب على الصيغ القديمة المثلية المستعملة اليوم بشكل آخر .

الدرهم الأبيض ينفع للنهار الاسود . (القرش الابيض) .

الطمع يضيع ما جمع (يقل ما جمع) .

الغايب حجته معه (اليوم : معاه) .

بنت الوزة عوامة (ابن الور عوام) .

اللى له ضهر ما توجعوش بطنه (ماينضربش على بطنه)

والقسم الثالث من الأمثال الواردة فى كتاب الطنطاوى لا يعرفها شبابنا اليوم : الألف تجر الباء

الحساب بالدانق والهمة بالقنطار :

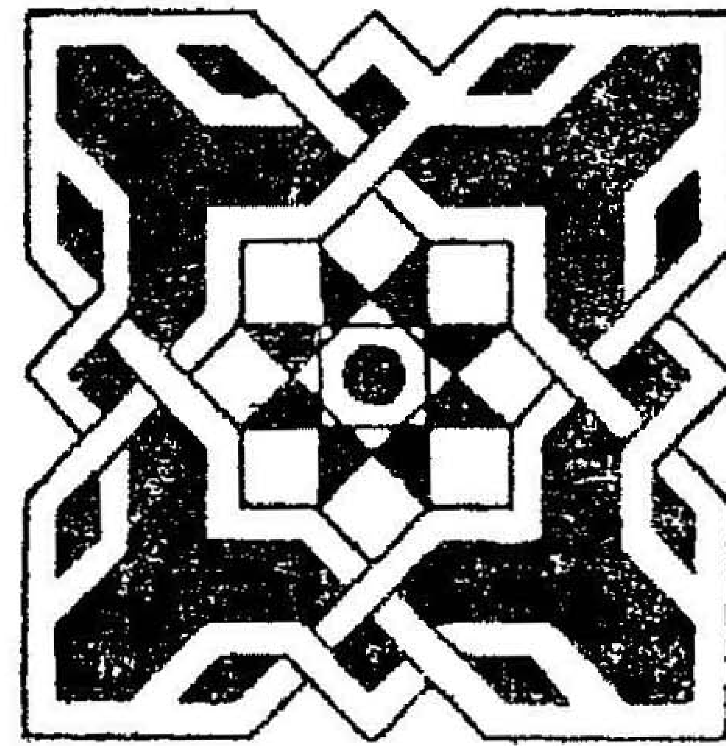
النار ولا العار :

إيه حاب طوخ فى مليج :

يفتى على الإبرة ويبلع المدره الخ :

وللشيخ الطنطاوى مخطوطات أخرى فى لينينغراد عن الفولكلور المصرى ومخطوطة كتابه فى النحو العربى للغة الفصحى . ويبدو من كل ذلك أن مؤلفات الشيخ الطنطاوى تنتظر باحثيها من مصر والاتحاد السوفييتى البلدين الصديقين اللذين كان الشيخ محمد عياد الطنطاوى همزة وصل لثقافتهما .

جريجورى شرباتوف
عضو المجمع المراسل من الاتحاد السوفيتي



أحمد فارس الشدياق
واضع المنهجية الحديثة للمعجم العربي
للدكتور أحمد مختار عمر

مدخل

يعدّ أحمد فارس الشدياق (أو كما سمى نفسه بالفارياق نحتاً من كلمتى فارس وشدياق) واحداً من علماء اللغة القلائل الذين عشقوا اللغة العربية وافتتنوا بها، وألفوا حولها الكتب لكشف أسرارها وإبراز مواطن التفوق فيها. ولم يكتف بتأليف الكتب عنها، وإنما كان يحاول — فى استخداماته اللغوية ومن خلال أساليب التعبير التى يختارها — أن يثبت تفوقها وتميزها، وأن يبرز أسرار الجمال فيها؛ حتى إنه صرح فى مقدمة كتابه «الساق على الساق» بأنه هدف أولا إلى «إبراز غرائب اللغة ونوادرها» (ص ١)، كما أنه دافع عن كثرة استخدامه للغريب من الألفاظ وللمترادف والمتقارب منها بأنه قصد به «إبراز محاسن لغتنا هذه الشريفة، وتشويق القارئين» إليها (الساق ص٥٠٩).

بل أكثر من هذا نراه يؤلف كتابا يبحث فيه خصائص الحروف الهجائية عند العرب ويختار له عنوانا كاشفاً هو «منتهى العجب من خصائص لغة العرب» كما نراه يتجه فى كتابه «سر الليال فى القلب والإبدال» إلى رد كل فرع إلى أصله، وتنسيق معانى المادة تنسيقاً يبين مآخذها وعلاقتها ومناسبتها (سر الليال ص ١٣) ويكشف عن قصده فى اختيار ترتيب يخالف الترتيب الهجائى المعروف مع البدء بالمضعف — يكشف عن قصده قائلا «ولولا ماقصدت من الوصول إلى علم معانى

الألفاظ والاطلاع على أصل وضعها وحكمة مبناها لما كان لى من عاذر على ارتكاب هذه المخالفة » (السابق ص ٢٢) . وقد هداه تفكيره إلى خاصة فريدة فى اللغة العربية وهى بناؤها على أصوات طبيعية : «ولعمرى إنّ من لم يكن يدرى شيئاً من لغة العرب فإذا سمع مثلا لفظة طبطب ودندن وجلجل ورنّم وكان ذا ذوق سليم فلا بد أن يتوهم أنها حكاية أصوات وكلما كانت اللغة مبنية على هذا المبنى الطبيعى كانت للنفس أشوق وبالطبع أعلق ولو لم يكن للغة العرب إلّا هذا الأسلوب البديع ليتشهد بأنها أطبع اللغات وأبسطها لكفى » (السابق ص ٢٥) .

كما نراه يعبر عن مكنون نفسه تجاه هذه اللغة الشريفة فيقول فى صدر كتابه « سر الليال » : « إن يكن المتقدمون قد اشتغلوا بهذه اللغة الشريفة فإنى قد عشقتها عشقاً ، وكلفت بها حقاً ، حتى صرت لها رقاً ، فأزهرت لها دبالى وسهرت فيها ليالى . . . فإنى وجدتها قد مرنت مرايا بديعة وزينت بصفات سنيعة ، تظهر معها بهرجة ما سواها شنيعة » (ص ٢) .

وقد انعكس حبه وعشقه هذا فى كثرة المؤلفات اللغوية والأعمال المعجمية التى تركها حول اللغة العربية ، معجمها ونحوها وصرفها ، ومن ذلك .

- المحاورة الإنسانية فى اللغتين الإنجليزية والعربية .

- غنية الطالب ومنية الراغب فى الصرف والنحو وحروف المعانى .

- كنز اللغات (فارسى - تركى - عربى) .

- الجاسوس على القاموس .

- سر الليال فى القلب والإبدال .

- منتهى العجب فى خصائص لغة العرب .

(أحمد فارس الشدياق للدكتور محمد يوسف نجم ص ٧٧ - ٨٠) .

هذا إلى جانب تعرض كثير من أبحاثه ومناظراته اللغوية فى كتبه المختلفة وفى مقالاته فى « الجوائب » فقد كان من عادته أن يستطرد فى بعض المواضع إلى البحث اللغوى عندما يجد الجو مهيأ لذلك (السابق ص ١٩٦) .

ولسنا هنا فى مجال عرض كتبه اللغوية أو التعريف بها ، وإنما سنتجه ببحثنا وجهة خاصة يكشف عنها عنوان البحث ، وهى محاولة التعريف بجهود أحمد فارس الشدياق حول المعجم العربى وقضاياه .

وسنتناول جهود الشدياق المعجمية فى النقاط التالية :

١ - قضايا عامة مرتبطة بالمعجم العربى .

٢ - منهجيته المعجمية .

٣ - مواصفات المعجمى الناجح .

١ - قضايا عامة مرتبطة بالمعجم العربى :

أثار الشدياق فى مؤلفاته كثيرًا من القضايا التى تعتبر من مقدمات المعجم العربى ، والتى يعد البت فيها ضروريًا قبل اتباع منهجية خاصة فى المعجم ومن هذه القضايا :

(أ) قضية الترادف :

يرى الشدياق أن تفسير اللفظ بلفظ مرادف له قد يكون على حساب الدقة اللغوية لأن ما يسمى بالألفاظ المترادفة ليس متطابقاً فى الحقيقة : « على أنى لا أذهب إلى أن الألفاظ المترادفة هى بمعنى واحد ، ولا لسموها المتساوية ، وإنما هى مترادفة بمعنى أن بعضها قد يقوم مقام بعض (الساق ص ١٠) . وأعطى الشدياق أمثلة لعدم التطابق منها مقارنته بين كلمتى جلس وقعد (ومشتقاتهما) فى السياقات المختلفة ، وذلك فى قوله : « وعندى أن أصل معنى الجلوس : الحصول على جَلْسٍ من الأرض ، وهو يقتضى بأن يكون من سفل إلى علو ، ثم عمم . والجلوس غير القعود ، فإن الجلوس : الانتقال من سفل إلى علو ، والقعود : الانتقال من علو إلى سفل . وقد يكون جلس بمعنى قعد كما نقول : (جلس متربعاً) ، و (قعد متربعاً) ، وقد يفارقه ومنه (جلس بين شُعَبها) أى حصل وتمكن ، إذ لا يسمى هذا قعودًا ... ويقال (جلس متكئاً) ولا يقال : (قعد متكئا) . . . والمجلس : موضع الجلوس وقد يطلق على أهله مجازًا تسمية للحالّ باسم المحل ، يقال : (اتفق المجلس) ... ويقال لمن أصيب برجله : مُقْعَد ، ويقال كذلك : مَقْعَد صدق . . » (سر الليال ٥٥٨) .

ويحذر الشدياق من مزلق آخر يقع فيه اللغويون وهو تعريفهم لفظة بلفظة أخرى من دون ذكر الفرق بينهما بالنظر إلى تعديتهما بحرف الجر كقول الجوهري مثلا : « الوجل . الخوف ». مع أن «وجل» يتعدى بمن ، «وخاف» يتعدى بنفسه . وكقول المصنف (الفيروزابادى) . « العتب . الموجدة والملامة » ، «ولام» يتعدى بنفسه ، و « عتب » و « وجد » يتعديان بعلى (الجاسوس ص ١٢) .

(ب) التوسع فى النحت :

دعا الشدياق إلى استعمال النحت لصوغ ألفاظ تسد مسد الألفاظ الأعجمية التى يشيع استعمالها ، ولتنمية الثروة اللغوية ، يقول الشدياق «وكيفما كان فإن النحت طريقة حسنة تكثر بها مواد اللغة وتتسع أساليبها ، ولها نظير فى اللغة اليونانية وسائر اللغات الإفرنجية ، وهى التى كثرت مواد لغاتهم وأحوجتنا إلى الأخذ منها » (كنز الرغائب ١ / ٢٠٤) .

ويأتى فى موضع آخر على ذكر النحت ، ويورد آراء اللغويين فيه ويدعو إلى استعماله ويورد أمثلة مما عثر عليه من المنحوت (السابق ٥/٣/ ٤٠٣) . وهو يفسر بعض الألفاظ الرباعية عن طريق النحت فيقول :

« جاء الحتر بالفتح مثل البُحتر ، أى القصير . وعندى أنها منحوته من الحت والبتر ، والحترة ضؤولة الجسم وقلته » (سر الليال ص ٤١) . وهو ينعى على العرب إهمالهم لغتهم واستخدامهم لغات العجم بحجة مرونتها وسهولة التعبير بها ، ويرى النحت إحدى وسائل العربية لتنمية مفرداتها :

« العرب ... لم يقدروا لغتهم حق قدرها ولا عرفوا أنها الفاضلة . . ألا ترى أنهم عدلوا عنها إلى لغات العجم فاتخذوا من هذه ألفاظاً وهى فى لغتهم أفصح وأحكم وأعذب منطقاً وأبهى رونقاً . . . وحتى لو فرضنا أن تلك الألفاظ لم توجد فيها فكان لهم مندوحة عنها إلى النحت الذى هو من بعض مبانيها » (السابق ص ٣)

(ج) التثبت قبل ادعاء التعريب .

ينصح الشدياق بضرورة التحفظ والتثبت قبل الحكم على كلمة ما بأنها معربة ، فقد يتصادف اللفظ العربى مع اللفظ الأعجمى كما فى كلمة « بعل » التى جاءت عربية

بمعنى الزوج ، والمالك . واليد ، والثقل ، وكل ما سقته السماء مطابقة كلمة « بَعْل » اسم صنم كان لقوم إلياس . وهو في العبرانية اسم مرادف لقولنا : الصنم (سر الليال ص ٦٨).

وهو لهذا يعجب من بعض المعجميين الذين يسارعون إلى القول بعجمة الكلمة دون سند لغوى . يقول « ومن أغرب ما تمحل له (الفيروزابادى) انتصاراً للعجمية قوله فى شرز الشرز الغلظ والقطع والشدة والصعوبة والشديد والقوة إلى أن قال والمشرز كمعظم المشدود بعضه إلى بعض المضموم طرفاه . مشتق من الشيرازة أعجمية أ هـ لأنه إذا كان التركيب يدل على القوة والشدة فأى حاجة إلى اشتقاق المشرّز من الشيرازة ؟ قال ابن السراج مما ينبغى أن يحذر كل الحذر أن يشتق فى لغة العرب شيء من لغة العجم فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت كما فى المزهر » (الجاسوس ص ٣١١) ويقول « من الغريب ما قاله الجوهرى إن الحُبّ بالضمة . الخابية ، فارسى معرب ، مع أن ذكر الماء والظل ونحوهما قد جرى فى هذه المادة غير مرة بل هو من عين معنى الحُبّ ، أعنى المحبة » (سر الليال ص ٣٩).

ويختار الشدياق عربية كلمات مثل « البحت » و « البريد » و « الإبريز » مرجعاً إياها إلى أصول عربية فالبخت إما أن يكون من معنى « بخ » ، أو مأخوذة من « البُخْت » وهى الإبل الخراسانية ، والبَخَّات مقتنيها ، والبَخيت والمبخوت المجدود أما لفظ البريد فقد قال عنه « البريد يطلق على مسافة فرسخين أو اثنى عشر ميلا ومع وضوح اشتقاق لفظ البريد فإن أئمة اللغة ذهبوا بها كل مذهب . قال ابن الأثير فى النهاية البريد فارسية أصلها البغل . وأصلها بريده دم ، أى محذوف الذنب . لأن بغال البريد كانت مقطوعة الذنب وأقول أهل العربية كسوا هذه اللغة الشريفة ثوبا غير لائق بها فتراهم أبدا يحومون حول اللغات الأجنبية وينسبون إليها ما هو فى العربية من خصائصها ومزاياها الحسية وفى المصباح البريد الرسول ثم استعمل فى المسافة التى يقطعها .

ويقال لدابة البريد بريد أيضاً فهو مستعار من المستعار فأنت ترى أن المصباح جعل البريد بمعنى الرسول أصلا وهو الحق » (السابق ص ١٤١) وقال عن كلمة إبريز : « ذهبٌ إبريز : خالص وفي المصباح أنه معرب ، وعندي أنه عربي من معنى الظهور » (السابق ص ١٤٣)

وبهذا نرى أن الشدياق في إثباته لعربية الكلمات لم يلجأْ إلى الحدس والتخمين ، ولم ينخدع بالتشابه الظاهري ، وإنما اعتمد على تشابه المعنى داخل المادة ، وإلى خصائص الحروف والأصوات وهناك دليل آخر اعتمد عليه الشدياق في إثبات عروبة الكلمة ، وهي أن تكون اسماً لشيء معروف عند العرب « نعم إني لا أنكر أن يكون قد دخل في لغة العرب بعض ألفاظ من لغة العجم وهي أسماء لأشياء لم تكن معروفة عند العرب كلفظة الإسفنج مثلا إلا أنَّ ما كان بخلاف ذلك لا ينبغي أن يحمل عليه ، فلا يصح أن يقال إن اللِّجام معرّب لأن العرب عرفت الخيل وما يلزم لها قبل جميع الأمم . ومن هذا القبيل الكنز والخوان . . . » . (كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ١ / ١٩٠) .

(د) قبول المولد :

يرى الشدياق أن اللغة بنت الحياة ، ويعتقد أنه من غير المعقول أن تكون اللغة قد نشأت دفعة واحدة ، وإنما عن طريق النمو والتطور « اللغة كغيرها من الصنائع والموضوعات البشرية لا يحدث شيء منها تاماً كاملا من أول وهلة ولكن على التدريج » (سر الليال ص ٢٥) . وهو من أجل هذا يرى أن باب الوضع مفتوح أمام المولدين لأنه « يراعى به اللزوم والضرورة وتهذيب اللغة عن أن تُشان بالألفاظ العجمية » ، ولأن العرب إذا كانوا قد قالوا كذا وكذا فقد « ساغ لنا أن نقول أكثر من ذلك مما تمس الحاجة إليه ، فهم رجال ونحن رجال » (كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ١ / ٢٠٥) .

وقد أعلن رأيه هذا بوضوح في خاتمة كتابه « الجاسوس على القاموس » ، وقدم له العديد من الأدلة والبراهين ، وألح

عليه فى كتاباته فى « الجوائب ». يقول الشدياق

« ولو أن العرب الأولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد وأسلاك التلغراف والعار والبوسطة ونحو ذلك مما اخترعه الإفرنج لوضعوا له أسماء خاصة ناصة. فنحن على هذا غير ملومين. وإنما اللوم علينا حالة كوننا قدورتنا لغتهم وشاهدنا هذه الأمور بأعيننا ولم ننتبه لوضع أسماء لها على النسق الذى ألفته العرب. أفنظن أحد أن لفظة المتسر والمستسر والوالى والمتصرّف والمدير ومجلس الشورى لا ينبغى أن تعد من الألفاظ العربية لأنها لم تكن معروفة للدولة العباسية فإذا درّأ أحد تلك الدولة لعدم اتخاذها هذه الألفاظ إذ الحاجة لم تمس إليها لم يكن له أن يلوم دولة أخرى على اتخاذها مع وجود الحاجة، فقس عليها غيرها »
(السابق والصحة)

ومن الأدلة التى ساقها الشدياق على قبول مانقل من ألفاظ عن المولدين من الكتاب والشعراء ماداموا متضلعين فى العربية ما يأتى

١ — أن المولدين راعوا حق اللغة والتزموا قواعدها أكثر من العرب فى الجاهلية لأنهم اعتقدوا أن اللغة وسيلة إلى فهم التنزيل والحديث الشريف فبالغوا فى ضبطها ما أمكن وهذا الأمر لم يكن يخطر ببال العرب قط.

٢ — أنه لا يمكن أن يخطر ببال عاقل منصف أن الشاعر البليغ من هذه الطبقة يخترع ألفاظاً ليس لها أصل فى العربية. وهو بين ظهرانى علماء ينتقدون على الطائر طيرانه. وعلى البعير وخدانه.

٣ — أنه لو كان أحد من المولدين ألف كتاباً فى اللغة لقبل لا محالة فليس من الإنصاف أن تقبل روايته فى اللغة ويرد كلامه فى الشعر (الجاسوس ص ٥٢٠).

(هـ) قبول كل ما يمكن تصحيحه

بدا الشدياق فى كل كتاباته متوسعاً فى قبول كل ما تناقلته كتب اللغة ما دام قد صح نقله أو وجد له وجه فى العربية يخرّج عليه ولهذا كان دائماً ينضم للرأى المجير، ويجمع الشواهد لدعمه وتأييده، ومن ذلك :

١ ـ أنكر صاحب الكلمات لفظ « المحسوسات » بناء على أن الفعل عنده رباعي فيلزم أن تكون المُحَسّات قال أما حس الثلاثي فإنه جاء لمعان ثلاثة حسه قتله ، أو مسحه ، أو ألقى عليه الحجارة المحماة

وقد رد عليه المدنياى قائلا « إن حَسّ الثلاثي ورد بمعنى أحس متعديا بنفسه . صرح به الصغاني في العباب ومنه الحديث أن أعرابيا جاء إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال له . متى حَسَسْت أُمَّ ملدم ؟ قال وأي شيء أمّ ملدم ؟ قال الحمى سخنه تكون بين الجلد واللحم فإنكار المحسوس مع شهرته على الألسنة والطروس تأباه النصوص » (الجاسوس ص ٥٨) .

٢ ـ قال الفيروز ابادى « والسائر الباقى لا كما توَهَّم جماعات » . وقال الصغانى . « سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما توهم من قصر في العربية باعه وضاقت في اختيار الغرائب رباعه » . وقال النواوى في تهذيب الأسماء واللغات « أنكر الشيخ تقي الدين استعمال لفظ سائر بمعنى لجميع فقال هو مردود عند أهل اللغة معدود في غلط العامة وأشباههم من الخاصة »

وقد ذكر الشدياق من الأدلة ما يؤيد صحة الاستعمال . فقد قال الجوهري سائر الناس . جميعهم . وقد ورد في شعر الأحوص وفي كلام الغزالي . وذكره أبو منصور الجواليقي في أول كتابه « شرح أدب الكاتب » واستشهد على ذلك وإذا اتفق هذان الإمامان على نقلها فهي لغة وسمعهم من كلام الخفاجي أيضا أن أبا علي ومن تبعه أجازوا استعمال السائر بمعنى الجميع فكيف قال الصغاني كما توهم من قصر باعه في العربية ؟ (الساق ص ٢١٤ ٢١٥)

٣ ـ قال الشدياق : المخابرة . المزارعة على بعض ما يخرج من الأرض وهو من خبرت الأرض إذا شققتها للزراعة أما المخابرة التي يستعملها العامة وهي المشاركة في الإخبار فالظاهر أنها مولدة . ولكنها ليست بعيدة عن منهاج العربية (سر الليال ص ٥١) .

٤ ـ قال الشدياق . « باعه يبيعه بيعاً . فهو بائع ، وأبعته بالألف لغة . قاله ابن القطاع » (السابق ص ٦٤) .

٥ ـ قال الشدياق : « برّانى صحيح . قال فى الدر المصون قول سلمان الفارسى ، لكل امرئ جوانى وبرانى ، أى . باطن وظاهر » . (السابق ص١٣٧)

٦ ـ أنكر الحريرى استعمال « بين » مكرره فى نحو قولك « المال بين زيد وبين عمرو » . قال الشدياق « وهو كثير فى كلام العرب » وساق له شاهداً من قول الأعشى :

بين الأشجّ وبين قيس باذخ

وقول عدى بن زيد :

بين النهار وبين الليل قد فصلا

(السابق ص ٢٦٠) وغير ذلك كثير

(و) توهم الأصالة أو الزيادة وتغيير بناء الكلمة تبعاً لذلك

يقوم ترتيب الكلمات فى المعجم العربى على أساس الجذور ، ووضع الكلمات تحت أصولها بعد تجريدها من الزوائد . ولكن هناك كلمات كثيرة توهم العرب فيها زيادة الحرف الأصلى أو أصالة الحرف الزائد وصرفوها بناء على هذا التوهم مما غير بناءها ونقلها من وزن إلى وزن آخر . ومثل هذا النوع من الكلمات يجب التنبيه فى صيغته المتوهمة على أصله ومن الأمثلة التى ذكرها الشدياق على ذلك ما يأتى :

١ ـ المكان . الموضع والجمع أمكنة وأماكن ، توهموا الميم أصلا ، حتى قالوا . تمكن فى المكان ، وهذا كما قالوا فى تكسير المسيل أمسلة (الجاسوس ص ٣٢ ، ٣٣)

٢ ـ أسنتوا أى أصابتهم سنة جدب فإنهم توهموا أن السَّنَة يوقف عليها بالتاء (السابق ص ١٣٥) .

٣ ـ بعد أن ذكر أن الأوجه أن يكون وزن « أوّل » على « فَوْعل » بيّن علة منعه من الصرف وهى « شدة مشابهته لأفعل التفضيل لأنه مبدوء بالهمزة » . وبعد أن ذكر أن وزن « أشياء » . « أفعال » ذكر أنها منعت من الصرف تشبيها لها بفعلاء وعقب على ذلك بقوله « وقد يشتبه الشيء بالشيء فيعطى حكمه » . (السابق ص ٣٧٣) .

٤ ـ ذكر أن « المَرْهم » مأخوذ من « رَهَمَ » وأن العرب اشتقوا من الاسم « مرهم الجرح » على توهم أصالة الميم كقولهم « تمكحل » و « تمدهب » و « مردسه » أى رماه بحجر ، وهو من المرداس لآلة الرمى وقالوا أيضاً مرحبك الله (السابق ص ٣٩٥)

وقالوا كذلك « تمسكن » من « سكن » و « تمندل » أى تمسح بالمنديل و « مَخْرَقَ على الناس » أى كَذَبَ ومَوّه وكما أنهم استعملوا هذه الأفعال على توهم أصالة أوائل الحروف ، كذلك استعملوا غيرها على توهم أصالة الأواخر مثل « برهن » و « تسلطن » (سر الليال ص ٢١) .

(ز) مشكلات جمع التكسير

اعتبر الشدياق جمع التسكير من صعوبات اللغة العربيه لما يأتى

١ ـ أنه أكثر من أن يحصر وربما كان للاسم الواحد عدة جموع كالناقة والعبد مما يقضى بالعناء والجهد (سر الليال ص٣) .

٢ ـ أنَّ الجمع قد يختلف باختلاف معنى المفرد فكلمة « حاجب » بمعنى بواب تجمع على حُجّاب وحَجَبَة . وكلمة حاجب للعظم فوق العين تجمع على حواجب (السابق ص ٤٢١)

كذلك يفترق معنى « عِبَاد » عن معنى « عَبِيد » مع أن مفردهما « عبد » فالعباد مختص بالله تعالى . فيقال « عباد الله » والعبيد مختص بالناس فيقال « عبيد فلان » (الجاسوس ص ٢٠٥)

٣ ـ أنَّ من جموع التكسير ماليس جمعاً لمفرد . بل جمعاً لجمع فالسحاب الغيم مفرده سحابة وجمعه سُحُب أما جمع السحابة فسحائب والبيضة واحدة البيض . والبيض يجمع على بيوض (السابق ص ٢٠٦) .

٤ ـ أنَّ من جموع التكسير مالا مفرد له مثل التجاويد والتعاشيب والتعاجيب والتباشير (السابق ص ٢٠٧) .

٥ ـ أنَّ من جموع التكسير ـ مع اشتهاره ـ غير قياسى مثل جمع حاجة على « حوائج » (السابق ص ٢٢٨) .

(ج) شيوع التصحيف في مرويات اللغويين

لاحظ القدماء شيوع التصحيف في المعاجم العربية وعزوا ذلك إلى ثلاثة أسباب. اثنان منها يعودان إلى طبيعة الحرف العربي. والثالث يعود إلى غفلة المصحفين. وهذه الأسباب هي

١ - أن كثيرا من الكتابات القديمة وصلتنا بدون نقط أو شكل. لأن التصحيف لم يخطر لهم على بال. أو كأنهم كانوا آمنين أن يطرأ على كلامهم تحريف أو غلط. فلا تكاد تجد كتابا قديما إلا على هذا النمط. ومن هنا كثر الخلاف في الروايات واتسع المجال في التأويل ما بين حق وإثبات واحتمال وإثبات» (الجاسوس ٣) كما أنه يَرُدُّ كثيرا من أمثلة التصحيف فيما نقله الليث إلى هذا السبب فيقول «ولا يخفى أن الكتابة في عهده لم تكن منقوطة. وخصوصا في وضع النقط فأيسر شيء تبديل الفاء بالقاف والقاف بالفاء» (السابق ص ٤١٤)

٢ - أن حروف الهجاء العربية متشابهة في الرسم «كأنها نقوش أريد بها الزينة لا الرقم، كما تزين النقش الدرهم» (السابق ص ٥). فلا عجب «أن يلتبس على قارئها وإن كان من أحذق الخلق.. فيقرأ المهمل منها معجما. والمعجم مهملا» (السابق ص٣ . ٤)

٣ - أن اللغوي حين صادفته روايتان تحتملان التصحيف لتشابههما في الرسم لم يكن يجوز له أن يثبتهما أو يثبت أحداهما إلا بعد تحقق وتثبت يقوم على الأسس الثلاثة الآتية

(أ) الاحتكام إلى القوانين الصوتية

«فإن التعاقب إنما يكون من الحروف التي تكون من مخرج واحد مثل الباء والفاء. والتاء والطاء. فأما الراء والزاي فإن جاء لفظ فيهما بمعنى واحد فمرجعه إلى التصحيف. مثال ذلك قول المصنف. الشغزبية اعتقال المصارع رجله برجل آخر وصرعه إياه كالشغربية وإنما حملته على التصحيف لأن اللفظة الأولى جاءت مقتضبة من دون فعل وقوله احترع العود. كسره. وهو تصحيف احتزع، إذ ليس

في مادة جرع مايدل على الكسر . ولم يحك هذا الحرف أحد غيره من أئمة اللغة (السابق ص ١٨٦ . ١٨٧)

(ب) الاحتكام إلى معنى كل مادة وترجيح إحدى الروايتين تبعاً لذلك . وأكتفي بضرب المثالين الآتيين

* قال الفيروزابادي في قاء «وتقيأت تعرضت لبعلها وألقت نفسها عليه» وقد تشكك الشدياق في صحة هذه الكلمة وانتهى بعد مقارنة معنى كل من المادتين قاء وفاء إلى وقوع التصحيف فيها . ولندع الشدياق يعبر بكلماته «قد طالما أنكرت هذا الفعل المنكر، واستوحشت منه، إذ ليس من مناسبة بين القيء والدلال . فهو مخالف لحكمة الواضع حتى راجعت لسان العرب فوجدت فيه في (فاء) ما نصه : تفيأت المرأة لزوجها تثنت عليه وتكسرت له تدللا وألقت نفسها عليه من الفيء وهو الرجوع . فسررت بذلك سرور من تتفيأ عليه امرأته ولكن لم اقتنع بقول صاحب اللسان من الفيء ، وهو الرجوع ، فالأولى عندي أن يجعل من قولهم فيّأت المرأة شعرها إذا حركته من الخيلاء . والريح تُفَيِّئ الزرع والشجر أي تحركهما . ثم طالعت الأساس فوجدت فيه ما نصه : وفيأت المرأة شعرها : حركته خيلاء . وتفيأت لزوجها تكسرت له وتميلت غنجا والمصنف ذكر فيأت المرأة شعرها في (سفه) لا في مادتها . فكأنه رأى السفاهة بها أولى مع عدم تحرجه من القيء» (السابق ص ٤١٠ . ٤١١)

* ذكر الفيروزابادي في مرد «والمرداء الرملة لا تنبت . والمرأة لا است لها» وقد عقب الشدياق قائلا «وهو تصحيف . والذي في اللسان والتكملة وامرأة مرداء لا اسب لها بالباء الموحدة . وهي شعرتها ا هـ . قلت . قد وقع المصنف مرة أخرى في هذا المضيق وهو في مادة (مرد) غير معذور فإنها تدل على الخلو من الشعر وشبهه حتى قالوا إن المرداء للشجرة التي لا ورق عليها فحار عن المرأة التي لا اسب لها فكيف لم يفطن لذلك؟» (السابق ص ٤٤٠ . ٤٤١) .

ويعقب الشدياق على مثل هذا النوع من التصحيف قائلا «ظهر لي بعد التروي

أن كثيراً من الألفاظ تصحف على أهل اللغه من دون أن يشعروا بها فمرت عليهم مراراً ولكن بدون تعارف وما ذلك إلا لأنهم لم يهمهم في الكلام التآلف » (السابق ص ١٨٤)

(ح) الاستيثاق من المصادر المختلفه والرجوع إلى أمهات كتب اللغة المطبوع منها والمخطوط ، ومن أمثلة ذلك

* رجوعه إلى اللسان والتكمله لإثبات التصحيف في عباره « امرأه لا است لها » ورجوعه كذلك إلى مخطوطات أساس البلاغه للزمخشري لإثبات أن مانسب إلى الزمخشري غير صحيح : «فقد رأيت هذه الكلمة بالباء في ثلاث نسخ من الأساس إحداها في مكتبة المرحوم أسعد أفندي . والثانية في مكتبه المرحوم عاشر أفندي وهما قديمتان صحيحتان . والثالثه في مكتبه المرحوم محمد باشا الكوبريلي ، فالزمخشري بريء مما نسب إليه » (السابق ص ٤٤٠ . ٤٤١)

* إثباته تصحيف الخُتُد إلى خُنُد بالرجوع إلى لسان العرب والصحاح والمحكم (السابق ص ١٨٥) .

* إثباته تصحيف احتزع إلى اجترع بأنه « ليس في ماده جرع ما يدل على الكسر » . وبأنه « لم يَحْكِ هذا الحرف أحد غيره من أئمة اللغه » (السابق ص ١٨٧) .

* رجوعه إلى الصحاح والعباب والأساس والمصباح والتهذيب واللسان وتاج العروس لإثبات التصحيف في تقيأت المرأه لزوجها . إلى جانب الاحتكام إلى المعنى (السابق ص ٤١٠ ، ٤١١ . وانظر كذلك سر اللسان ص ٤٦)

(ط) كيفيه كتابة الهمزه

يقترح الشدياق - على سبيل التسهيل - كتابة الهمزه بصورة واحده وقد تعرض لمشكلة الهمزه بشيء من التفصيل في صفحه كامله من كتابة « الجاسوس على القاموس » . ومما جاء فيها

١ - أما رسمها في الخط وإبدالها من حروف العلة فيكاد يكون علمـا مستقلا يحوج إلى زمن طويل فلو أنها رسمت في الأصل بشكل مخصوص غير شكل الألف لاسترحنا من مشكلاتها ، فإني أرى المؤلفين غير

متفقين على رسمها مع كثرة ما جعلوا له من القواعد والضوابط حتى إن بعضهم جعل الشاذ منه قاعدة كالمطة مسئول ومشئوم مثلا فجزم بأنه لابد من كتبها بالياء مع أن الياء لا مدخل لها هنا . فالأولى أن تكتب بالواو مع بقاء واو مفعول وكما رأيتها في الخطوط القديمة ورأيت المرأة في النسخة الناصرية التي قرئت على المصنف من دون ألف ، وبعضهم يكتب التوأم بألف فوقها همزة وبعضهم يكتبها من دون ألف » .

٢ ـ بعد نقله الخلاف في كتابة لفظ « مئة » وقول بعضهم إنها كتبت « مائة » بالألف حتى لا تشتبه بكلمة « منه » عقب بقوله . « فات قوله للفرق بينها وبين (منه) ، فهذا الفرق كان ينبغي مراعاته أيضاً في (فئة) فإنهـا تلتبس بـ (فيه) في نحو قولك خرج من فيه بناء على ترك النقط وقد أطربني جداً ما حكاه الشيخ نصر الهوريني عن أبي حيان وهو قوله وكثيراً ما أكتب أنا مئة بلا ألف مثل كتابة فئة ، لأن زيادة الألف خارج عن الأقيسة » .

٣ ـ نقله عن أبي حيان قوله : «والذي أختاره كتابتها بالألف دون الياء ع وجه تحقيق الهمزة ، أو بالياء دون الألف على وجه تسهيلها . قال وقد رأيت بخط النحاة (مئة) بألف عليها همزة دون ياء . وقد حكى كتب الهمزة المفتوحة ألفاً إذا انكسر ما قبلها عن حذاق النحويين منهم الفراء . روى أنه كان يقول يجوز أن تكتب الهمزة ألفاً في كل موضع » (الجاسوس ص ٣٧)

(ى) التجمعات الصوتية المؤتلفة وغير المؤتلفة

تحدث اللغويون القدماء ابتداء من الخليل بن أحمد عن التجمعات الصوتية التي تأتلف في اللغة العربية مكونة كلمات وعن الأخرى التي لا تأتلف . ولا تدخل في تشكيل الكلمات فسموا الأولى مستعملة والأخرى مهملة

وقد أشار الشدياق في كتبه إلى نفس الفكرة . ولكنه زاد عليها فكرة جديدة وهي تقسيم التجمعات المؤتلفة إلى مستحبة وعقيمة حسب كثرة فروع المادة ومشتقاتها أو قلتها .

وإذا كان اللغويون القدماء قد نسبوا عدم الائتلاف إلى قرب المخرج فإنه يبدو

أن التداخل لا يعتبر بهذا السبب ولهذا عد من عائب اللغة العربية عدم وجود مواد مركبة من حروف خصيمة على اللسان . كالمطة ر س ت مثلا ، فإنها توجد أكثر اللغات ولا وجود لها في العربية ، وإنما توجد مركبة من كلمتين كقولك رست السفينة . وقس عليه ج ر ت فلا تتألف إلا بقولك جَرَتْ ، وحُرْتُ أنا . (سر الليال ص ٥) .

أما إشاراته إلى المواد العقيمة فكثيرة منها :

١ – عَتّه في الماء · عطّه ، ومثله عَسّه وعَمّتَه وهو من الأفعال العقيمة (سر الليال ٢٨٨) .

٢ – ثم ولى رَتَّ زَتَّ ، وهذا التركيب عقيم (السابق ٣٠٢)

٣ – تَخَّ العَجينُ تخُوخة حمض . ثم تاخت الإصبع في الشيء ثم التخربوت ثم التخرور . ثم التخريص . ثم التخوم . وهذا دليل آخر على أنه متى كان المضاعف عقيماً كان ما بعده أيضاً كذلك « (السابق ص ٢٧٩)

٤ – تركيب سدأ عقيم (الجاسوس ص ٤٠٨) .

٢ – منهجيته المعجمية :

على الرغم من أن الشدياق لم يصرف همه إلى تأليف معجم عربي[١] ، فإن العمل المعجمي كان شغله الشاغل ، وعمله الدائب وقد جاء اهتمامه بالمعجم نتيجة معايشته اليومية له سواء أثناء احترافه التدريس ، أو اشتغاله بالترجمة واطلاعه على بعض المعاجم في اللغات التي يترجم منها أو ينقل إليها (انظر خلف الله . الشدياق ص ١١٠) .

ويعد كتاباه « الجاسوس على القاموس » ، و « سر الليال » من الأعمال المعجمية ، إذ خصص الأول لنقد القاموس المحيط وبيان أخطائه التي بلغت أربعة وعشرين خطأً ، وقدم له بدراسة عن التأليف المعجمي عند العرب ، وخصص الثاني لتحقيق فكرة راودته حول المادة المعجمية تقوم على رد الفروع إلى الأصول وتنسيق معاني المادة

---

(١) سبق في ذكر مؤلفاته أنه ألف معجماً ثلاثي اللغة (فارسي ، تركي ، عربي) .

بطريقة تكشف عن مآخذها وعلاقاتها ومناسباتها ، واتخذ الفعل المضاعف أساسا لهذا الترتيب

ومعظم آراء الشدياق عن المنهجية المعجمية تجدها فى مقدمة « الجاسوس » وفى ثنايا نقداته للقاموس ، كما أنه أشار إلى بعضها فى كتابه « سر الليال » ومن هذا وذاك يمكن أن نستخلص الأسس الآتية ·

(١) ترتيب المادة اللغوية

ينتقد الشدياق ترتيب حروف المعجم « فإنه فصل بين الحروف الحلقية والمهموسة وغيرها . وأنكر من ذلك أنه أقصى الواو عن الهمزة ، مع أن الواو كثيرا ما تقلب همزة لشدة ما بينهما من التآلف . كما فى التوكيد والتأكيد . والتوقيت والتأقيت . حتى قرر بعضهم أن كل واو كسرت أو ضمت فلك أن تقلبها همزة كما فى وجوه وأجوه . وغير ذلك مما لا يحصى . ولم نسمع قط أن الباء قلبت همزة مع أنها فى الترتيب تاليتها وأنكر من هذا وذاك أنهم جعلوا الياء آخر الحروف ونحن نرى الأطفال ينطقون بها وبالهمزة أول ما تسمح أفواههم للنطق . ولا يخفى أن معظم الأفعال المعتلة واردة من المهموز . وأن الهمزة كثيرا ما تقلب حرف علة (سر الليال ص ٢٢)

ولكنه لم يمض إلى أن الترتيب الصوتى الذى اتبعه الخليل فى معجم العين يحقق القدر الأكبر من مطالبه . إذ يجمع الأصوات المتحدة المخارج معاً . ويضع الهمزة إلى جانب الواو والياء وكان حقه أن يتبنى فى منهجيته الترتيب الصوتى .

وهو ما يبدو أنه رفضه لصعوبته (الجاسوس ص ٢٣) ولذا فإنه حين جاء إلى الاختيار اختار الترتيب الهجائى الذى نقده وأخذ يوازن بين طريقتى الصحاح وأساس البلاغة ثم اختار طريقة الأساس . يقول الشدياق فى « سر الليال » بعد أن بين أن المضاعف هو الأصل وأن المعانى تدور على فاء الكلمة وعينها « وبذلك تعلم أن هذا النسق لم يجر على ألسنة العرب عفوا . وأن تبويب الكلام فى كتب اللغة على أواخر حروفه مفرق لمعانى الألفاظ ومشتت لمناسبها » (ص ٢٧) ويعيد نفس الفكرة فى كتابه « الجاسوس » فيقول · « لا جرم أن الترتيب الذى جرى عليه الصحاح واللسان والقاموس

تسهل المطلوب وخصوصاً جمع القوافى ؛ إلا أنه فاصل لتناسى معانيها ومُوار لأسرار وضعها ومناسبها » (ص ٢٦)

ثم يقول . « فالأَوْلى عندى ترتيب الأساس للزمخشرى والمصباح للفيومى أعنى مراعاة أوائل الألفاظ دون أواخرها » (ص ٢٦ ، ٢٧) ويرد على من فضل طريقة الصحاح قائلا : « فإن قيل إن هذا الترتيب (الترتيب على الأوائل) لا يعين الشاعر على جمع الألفاظ التى تأتى على روى واحد فالأولى ترتيب الصحاح قلت الخطب هين . فعلى اللغويين أن يبينوا سرّ الوضع وعلى الشعراء أن يؤلفوا كتابا فى القوافى » (ص ٢٧) .

وإلى جانب اختيار الشدياق لترتيب مادة المعجم على الأوائل طبقاً للترتيب الهجائى المعروف قدم طريقة أخرى طبقها بمهارة فى كتابه « الساق على الساق » وهى طريقة المجالات أو الحقول المعجمية هذه الطريقة تقوم على تقسيم مادة اللغة إلى مفاهيم أو موضوعات يضم كل واحد منها الكلمات التى تندرج تحته مع بيان معنى كل لفظ وتوضيح علاقته بالكلمات الأخرى المصاحبة له فى نفس المجال . (انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار ص ٧٩ وما بعدها)

وليس « الساق على الساق » معجما حتى نتوقع منه أن يستوعب كل المجالات المعجمية ، وإنما هو كتاب فى السيرة الذاتية تناول حياة مؤلفه حتى قدومه الآستانة فقط (يوسف نجم : أحمد فارس الشدياق ص ١٠٥) . ومع هذا نجد المؤلف فى المقدمة يغفل هذا العرض الأساسى ، ويشير إلى غرضين أولهما نص فى العمل المعجمى ، والآخر استطاع بثقافته اللغوية الخصبة أن يحوله إلى عمل شبه معجمى يقول الشدياق « جميع ما أودعته فى هذا الكتاب مبنى على أمرين : أحدهما إبراز غرائب اللغة ونوادرها . ويندرج تحت جنس الغريب نوع المترادف والمتجانس والقلب والإبدال وإيراد ألفاظ كثيرة متقاربة اللفظ والمعنى . والأمر الثانى ذكر محامد النساء ، ومذامّهن فمن هذه المحامد ترقى المرأة فى الدراية والمعارف ، وحركات النساء الشائقة ، وضروب محاسنهن المتنوعة التى لم يتصور منها شيء إلا وذكرته فى هذا الكتاب (الساق ص ٤ تنبيه) .

ولهذا لا تعقل عين القارىء للكتاب عن هذا العرض المعجمي الذي تغلغل في ثنايا مادة الكتاب حتى طغى على هدفه الأساسي غير المعلن. وقد تنبه الدكتور محمد يوسف نجم إلى هذه الحقيقة فذكر أن من أهداف الكتاب إيراد الألفاظ المترادفة والمتجانسة التي رتبها حسب المواضيع (ص ٨٦)، وأن ما ورد منها يشكل مجموعات طريفة من موضوعات مختلفة تتعلق بالفرد والكون والمجتمع مثل ألفاظ الأصوات والعشق، والسالك، وأسماء آلات الحرب، والنجوم، والفرش، والآنية، والطعام، والشراب وسواها (ص ١٠٤)

ويقول ناشر الكتاب في مقدمته . « رأيته قد اشتمل على فوائد جزيلة من سرد ألفاظ كثيرة من المترادف والمتجانس . وخصوصاً لاشتماله على أخص ما يلزم معرفته من الآلات والأدوات، واستيفائه لجميع أصناف المأكول والمشروب . والمشموم . والملبوس والمفروش والمركوب والحلي والجواهر مما لم يوجد في كتاب غيره على هذا النمط » .

ولم يكتف الشدياق بعرض الألفاظ المترادفة في أماكنها مقسمة حسب الموضوعات ، فاستدرك ما أغفله منها في ذيله « في الجدول المبين للألفاظ المترادفة ، (مقدمة الناشر) .

وهذه نماذج لكيفية تناوله لألفاظ المحالات . وهي في معظم الأحيان تأتي عرضا أثناء الحديث عن أحد الموضوعات ومن ذلك .

١ — ما أتى عليه من أسماء الجواهر استطرادا بعد حديثه عن تفضيل النساء على الرجال ، مثل ·

* القصب ما كان مستطيلا من الجوهر . والدر الرطب . والزبرجد الرطب المرصع بالياقوت .

* الكبريت · الياقوت الأحمر ، والذهب .

* المرجان صغار اللؤلؤ .

* الخريدة : اللؤلؤة لم تثقب .

* الفريدة · المشذر يفصل بين اللؤلؤ والذهب . والجوهرة النفيسة . والدر

* الحُداذ . حجارة الذهب .

* التبر . الذهب والفضة أو فتاتهما قبل أن يصاغا .

* السِّيَراء . الذهب الخالص

* الشَّذْر . قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل بها النظم

* الشُّصار . الجوهر الخالص من التبر .

* الجَزْع . الخرز اليماني الصيني .

* اليَنع : ضرب من العقيق .

* الصَّريف . الفضة الخالصة .

* الجُمان . اللؤلؤ . أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة . أو خرز يُبَيَّض بماء الفضة (ص ٢٩٠ وما بعدها)

٢ ـ ما ذكر من الثياب مثل :

* الجلباب : القميص ، وثوب واسع للمرأة .

* العَصْب ثياب ناعمة من كتان

* المُعَرَّجة المخطَّطة في التواء .

* المُجَسَّدة المصبوغة بالزعفران .

* الدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

* السابرية : الثياب الرقيقة الجيدة .

* الصِّدار : ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر (ص ٣٠٧ وما بعدها) .

٣ ـ ما تناوله من ألفاظ الحب ودرجاته ، وسأنقله بنصه :

« ولا بأس للمتزوجات بقراءة كتابي هذا وأمثاله لأنه كما أن من ألوان الطعام ما يباح للمتزوجين دون غيرهم فكذلك هي ألوان الكلام والظاهر أن اللغة العربية شَرَك الهوى إذ يوجد فيها من العبارات الشائقة المتصبِّية ما لا يوجد في غيرها فمن قرأتْ مثلا في شرح المشارق لابن مالك أن مراتب العشق ثمانية أدناها الاستحسان وينشأ عن النظر والسماع ثم يقْوى بالفكْر فيصير مودة وهي الميل المحبوب . (أي المحبوبة) ثم يقوى فيصير محبة وهي ائتلاف الأرواح . ثم يقوى فيصير خلّة وهي تمكن المحبة في القلب حتى تسقط بينهما السرائر . ثم يقوى فيصير هوى بحيث لا يخالطه تلوّن ولا يداخله تغير . ثم يقوى فيصير عشقاً وهو الإفراط في المحبة حتى لا يخلو فكر العاشق عن المعشوق (أي المعشوقة) وأنه يقوى فيصير تتيُّما وفي هذه الحالة لا ترضى نفسه سوى صورة معشوقه (أي معشوقته) . ثم يقوى فيصير ولها وهو الخروج من الحد حتى لا يدري ما يقول ولا أين يذهب وحينئذ تعجز الأطباء عن مداواته . قلت :

وإن من أنواعه أيضاً الصبابة وهى رقة الهوى والشوق والغرام وهو الحب المستأسر. والهُيام وهو الحسون من العشق . والحوى وهو الهوى الباطن . والشوق وهو نزاع النفس . والتَّوقان وهو بمعناه . والوجد وهو ما يجده المحب من هوى المحبوب (أى المحبوبة) . والكَلَف وهو الولوع . والشَّعَف وهو إصابة الحُبّ الشَّغاف أى علاف القلب أو حجابه أو حَبَّته أو سُوَيداءه والسَّعَف وهو أن يغشى الحب شَعَفة القلب وهو رأسه عند معلّق السياط منه والتَّشعُف وهو بمعناه . والتَّدْليه وهو دهاب الفؤاد عشقاً — لم تتمالك أن تحس بهذه المراتب السنية كلها حالا بعد حال » (ص ٦٥) .

(ب) الترتيب الداخلى للماده :

أكثر ما ضايق الشدياق فى المعاجم العربية ، غياب النسق فى عرض مفردات اللغة تحت المادة الواحدة . فما دامت المعاجم العربية قد اختارت طريقة الجدور فى ترتيب الكلمات ، وكانت هذه الطريقة تقتضى سوق العديد من الفروع والاشتقاقات تحت المدخل الواحد ، فقد كان من المنطق أن تتفطن هذه المعاجم إلى طريقة لترتيب هذه الفروع . وهو ما لم يفعل .

وقد ألح الشدياق على هذه النقطة فى كتابيه « سر الليال » و « الجاسوس على القاموس » وبين الانعكاسات السلبية لهذه الفوضى على مستعمل المعجم واقترح الخروج من هذه الفوضى منهجا للترتيب الداخلى يقوم على أساسين هما اعتبار جانب اللفظ بتقديم المجرد على المزيد ، والثلاثى على الرباعى ، وجانب المعنى عن طريق البدء بالحسى قبل المعنوى ، والحقيقى قبل المجازى واستيفاء معانى الكلمة قبل الانتقال إلى كلمة أخرى .

وهذه هى آراؤه فى نصوص كلماته

١ — فيما يتعلق بالفوضى فى سرد الكلمات يقول الشدياق « إن من أعظم الخلل وأشهر الزلل فى كتب اللغة جميعها ، قديمها وحديثها ، ومطولها ومختصرها ، ومتونها وشروحها ، وتعليقاتها وحواشيها خلط الأفعال الثلاثية ، بالأفعال الرباعية والخماسية والسداسية ، وخلط مشتقاتها . فربما رأيت فيها الفعل الخماسى والسداسى

بين الثلاثي والرباعي ، أو رأيت أحد معاني
[illegible] في أول المادة وباقي معانيه في آخرها.
ففي مادة (عرض) التي هي في القاموس
أكبر المواد اشتقاقا وتشعبا ذكر الجوهري
المعارضة التي بمعنى المقابلة بعد المعارضة
التي بمعنى المحاسبة بثلاثة وثلاثين سطرا
وصاحب القاموس أورد (احتمل الصنيعة)
أي تقلدها في أول المادة ، ثم
(احتمل) أي اشترى الحميل للشيء
المحمول من بلد إلى بلد في آخرها . وبينهما
أكثر من ثلاثين سطرا والشارح أورد
في تاج العروس (اختلج) بمعنى تحرك بعد
اختلج بمعنى نكح بنحو ستة وخمسين سطرا.
ولهذا أنصح مطالعي كتب اللغة ألا يقتصروا
على فهم اللفظ في موضع واحد . بل لا بد
لهم أن يطالعوا المادة من أولها إلى
آخرها لا جرم أن هذا التخليط والتشويش
في ذكر الألفاظ ليذهب بصبر المطالع
ويحرمه من الفوز بالمطلوب فيعود حائرا
بائرا » كما ذكر أن من سلبيات هذه
الفوضى أنها تحوج الباحث إلى قراءة المادة
كلها فيعود نشاطه ملالا . وجده كلالا ،
وربما تصفح المادة كلها وأخطأه الغرض
بخلاف ما إذا كانت الأفعال مرتبة على ترتيب
الصرفيين فإنه ينظر أولا إلى الفعل الثلاثي
ومشتقاته في أول المادة ، وإلى الخماسي
والسداسي ومشتقاتهما في آخرها وإلى
الرباعي ومشتقاته في وسطها ، لا يضيع
له بذلك وقت ولا يكل له عزم ، ولا يخيب
سعي » (الجاسوس ص ١٠ ، ١١) .

واعتبر من هذا النوع كذلك عدم
بدء المادة بالفعل دائما : « ومن ذلك
أنهم يبتدئون المادة باسم الفاعل أو المفعول
او الصفة المشبهة أو اسم المكان والآلة ،
عوضاً عن الابتداء بالفعل أو المصدر
كقول الجوهري في أول مادة جزر :
الجزور من الإبل يقع على الذكر والأنثى
ثم قال بعد أربعة عشر سطرا · وجزرت
الجزور واجتزرتها · إذا نحرتها وجلدتها
فالجَزور على هذا فعول بمعنى مفعول
فما معنى ذكره قبل الفعل ! (الجاسوس
ص ١٤) .

بل رد الشدياق معظم ما فات
اللغويين من ألفاظ صحيحة فصيحة
إلى هذه الفوضى الداخلية فتراه يقول
عن صاحب القاموس : « إن المصنف

أهمل كثيرا من الألفاظ التى ذكرها الجوهرى مبسوطة مشروحة . وأغربه ما كان فى المواد القليلة الاشتقاق نحو (سهد) فإن المصنف أهمل فيها السهاد مع أن الجوهرى ابتدأ المادة به . وأعظم أسباب هذا الإهمال أنه لم ينسق ترتيب الأفعال ومشتقاتها على نسق الصرفيين فمن يخاط فى ترتيب الكلام على هذا المثال فلا بد وأن يفوته منه شىء » (الجاسوس ص ١٠٧ ، ١٠٨) .

٢ - أما بالنسبة لضرورة بدء المعانى بالحسى منها فإن الشدياق يقول :

* ابتدأ الفيروز ابادى مادة عبر بعبرت الرؤيا ، والجوهرى بالعبرة من الاعتبار ، والفيومى بعبرت النهر . وهو الصواب لأن احتياج العرب إلى قطع النهر والوادى أشد من احتياجهم إلى تفسير الأحلام (سر الليال ص٦١).

* « قد أجمعوا على أن المهذب للرجل الكامل مأخوذ من تهذيب الشجرة بناء على أن الأمور المعنوية أو العقلية مأخوذة من الأشياء الحسية ضرورة أن الحواس الظاهرة هى التى تبعث [الحواس الباطنة على التفكير والتخيل وتقرير ذلك أن العقل مأخوذ من عقلت البعير ، والحِكْمة من حكَمة اللجام والذكاء لتوقد الذهن من ذكاء النار . وأصل معنى الإدراك من أدرك الرجل أحدا إذا لحقه . . . » (سر الليال ص ١١)

٣ - ويرى الشدياق كذلك ضرورة بدء المعانى الحسية بأبسطها فيقول :]

« واعلم أنه متى ما اجتمع معنيان فى فعل من الأفعال الكثيرة الوقوع والاستعمال ينبغى تقديم الأبسط منها ، كما فى سبح مثلا ، فإنه يدل على العوم والحفر فنقول إن الحفر أول المعنيين لأنه أدنى إلى الأحوال الطبيعية وألزم إلا أن كثرة الاستعمال غلبت المعنى الأول . وهذا الأمر قلما يعتبره أصحاب اللغة وخصوصاً صاحب القاموس ، فإنه يبدأ بتفرعات معنى المادة ويترك الأصل إلى آخرها » (سر الليال ص ١٣) .

٤ - ومما يراه الشدياق ضروريا لتحقيق الترتيب الداخلى ذكر المعنى

الحقيقى قبل المعنى المجازى ، ولهذا اعتبر من خلل المعاجم العربية « تقديم المجاز على الحقيقة ، أو العدول عن تفسير الألفاظ بحسب أصل وضعها »

ومثل لذلك بمادة « كتب » حيث بدأ « صاحب القاموس بقوله · كتبه كتبا وكتابا خطه ، ومثله صاحب المصباح والزمخشرى ، مع أن أصل الكَتْب فى اللغة للسقاء يقال . كتب السقاء أى خرزه بسيرين ، وهو من معنى الضم والجمع ومنه الكتيبة للجيش ثم نقل هذا المعنى إلى كتب الكتاب ، وحقيقة معناه ضم حرف إلى آخر » (الجاسوس ص ١١) .

ويطرح الشدياق اعتراضا قد يوجه إلى هذا المبدأ ويرد عليه قائلا « فإن قيل إن أئمة اللغة إنما يبتدئون المادة بأشرف ما فيها من المعانى ، قلت كان عليهم بعد الفراغ من المجاز إذا كان أشرف المعانى أن يقولوا مثلا وأصل هذا المعنى من قولهم كذا وكذا . لاجرم أن الابتداء بالأصل لا يخل بالترتيب فإن الجوهرى ابتدأ مادة (خلق) بخلق الأديم وهو تقديره قبل قطعه . وزاد الزمخشرى على أن جعل خلق الله الخليقة مجازا عنه » (الجاسوس ص ١١)

(ح) الربط بين المعانى الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها

يرى الشدياق أن من واجبات المعجمى أن يقوم فى كل مادة بالتماس المعنى العام أو المعانى العامة التى ترد إليها جميع المعانى الجزئية للمادة ، وهو ما يذكرنا بصنيع ابن فارس فى معجمه المقاييس بل قد حاول ما هو أكثر من هذا فى كتابه « سر الليال » ، حين قام بعملية الربط هذه بين المواد التى تختلف فى بعض حروفها وتتفق فى بعضها الآخر أو تختلف فى ترتيبها ، وهو ما يذكرنا من جهة بالاشتقاق الأكبر عند ابن جنى ، وما سماه بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعنى من جهة اخرى (الخصائص ٢ / ١٣٣ ، ١٤٥) .

والأمثلة كثيرة على النوع الثانى ، ونكتفى منها بالمثالين الآتيين .

١ - يقول الشدياق · البحت الصرف ، والخالص من كل شىء

ومثله : المحت والحتم والمحص (سر الليال ص ٤٧) .

٢ - ويقول : « لا بد من التسليم بأن العرب تعمدت معنى من المعانى ثم نسقت عليه الأفعال المتفقة حروف فائها وعينها نسقاً متفننا فيه ، فتارة قصدت نسبته إلى المعقول ، وتارة إلى المحسوس ، مثال ذلك لفظة (كَسَّ) أى دق دقاً شديدا فقد صاغت منه لفظة (الكسيس) للخبز المكسور ، ثم قالت (كسأ) بمعنى ضرب ، و (كسْء) من الليل : قطعة منه ، فأخرت معنى الكسر على شيء غير محسوس ، ثم قالت (كسب) فإذا تأملته وجدته لم ينقطع عن معنى الكسر أو القطع ثم قالوا (كسد) الشيء أى لم ينفق فضمنوه معنى القطع عن البيع ، ثم قالوا (كسر) ومعناه ظاهر ، ثم (الكسط) بمعنى الغبار فبقيت مناسبة الكسر فيه ، ثم (كسعه) بالسيف ورحل (مكسّع) إذا لم يتزوج ، فضمنوه معنى منقطع عن الزواج ، ثم (الكسفة) القطعة من الشيء . (وكسفت) الشمس والقمر . احتجبا فضمن معنى الانقطاع عن النور ، ثم (الكسل) فضمن معنى الانقطاع عن النشاط . وانظر أيضاً إلى عمّ وعمت وعمد وعمر وغمس وغمص وغمض وعمط وعمق وعمل وغمن وعمى فإنها كلها تدل على الستر والتغطية مع اختلاف المعانى » (سر الليال ص ٢٧ ، وانظر ص ٤ ، ٥) .

أما النوع الأول الذى يقوم على ربط معانى المادة الواحدة بمعنى عام يجمعها ، فهو الذى يهمنا هنا ، وهو الذى ينبغى على المعاجم العربية أن تتفطن إليه ، وأمثلته فى كتبه المتعددة كثيرة ، ولذا سنقتصر على النماذج الآتية منه .

١ - تغليط الفيروزابادى فى اشتقاقه السُّرِّية من السر للجماع ، وذهابه فى اشتقاقها إلى أنها من السُّر بمعنى السرور . (السابق ص ١١) .

٢ - اشتقاقه العمامة من عمَّ بمعنى شمل ، لأنها تعم الرأس (السابق ص٢١) .

٣ - رده معنى « العبد » إلى عبد بمعنى غضب لأنه يغضب لمالكه (سر الليال ٥٨) .

٤ ـ قوله إن « حمو الرجل » و « حمو المرأة » مأخوذ من حمو الشمس وحقيقة معناه . من به من حمو للغيرة على المرأة . ومثله لفظ الصهر للقرابة ولزوج بنت الرجل وزوج أخته فإن معناه فى الأصل من الحرارة (السابق ص ٥٨) .

٥ ـ ذكره أن للجبر معنيين أصليين هما ضد الكسر ، والإجبار على الشىء ثم أطلق الجبر على الملك والشجاع ويصح أن يكونا من كلا المعنيين ، ثم على الغلام لأن فيه جبرا لأبيه . ثم قيل من المعنى الأول : جبر العظم ، وجبر الفقير ، والمتجبر : الأسد ، والجبار . الله تعالى لتكبره ، والنخلة الطويلة الفتية ، والجبيرة . الخ (السابق ص ٩٩) .

٦ ـ رده معنى « الفىء » إلى الرجوع ، ومنه سمى الظل فيئا لرجوعه من جانب إلى جانب ، ومن معنى الرجوع أيضاً : الغنيمة والخراج ، وفى الحديث . الفىء على ذى الرحم ، أى العطف عليه والرجوع إليه بالبر (السابق ص ٢٦٣) .

٧ ـ رده معنى « السبت » إلى القطع ومنه جاء السبت بمعنى حلق الرأس ، وضرب العنق ، ويوم من أيام الأسبوع لانقطاع الأيام عنده ويوم الراحة لانقطاع الإنسان عن العمل (السابق ص ٢٦٤) .

(د) وضوح التعاريف وتعدد طرق التفسير :

يشترط الشدياق لصحة التعاريف شروطا ثلاثة هى

أولا : وضوحها ، وعدم إيقاعها فى لبس .

ثانياً : تعدد طرقها .

ثالثا : خلوها من الدور والتسلسل .

أما بالنسبة لوضوح التعاريف فقد ألح عليه فى كتبه وبخاصة فى « الجاسوس » (المقدمة ص ٣) ، وعد من عدم الوضوح إيراد ألفاظ فى التعريف لا ترد فى مظانها مع توقف المعنى عليها كقول الجوهرى فى ربح : ربح فى تجارته أى استشف ، ولم يذكر استشف فى بابها ، وقول ابن سيده فى بلد : البلد : كل قطعة مستحيزة من الأرض . ولم

يذكر استحاز فى حوز ولا فى حيز (الجاسوس ص ١٤ ، وانظر سر الليال ص ٢٦٠) . كما عد منه ذكر اللفظ دون تفسيره كقول الفيروزابادى فى بعر · « والبعـــار الشاة تباعر حالبها ، وككتاب الاسم » ، قال الشدياق : « ولم يفسره . وعبارة المحكم · باعرت الناقة والشاة إلى حالبها · أسرعت ، والاسم البعار » . (الجاسوس ص ٥٧) .

وكقوله فى صيف · « صيفت الأرض كعنى فهى مصيفة ومصيوفة » قال الشدياق : « ولم يفسره ، وعبارة الصحاح . صيفت الأرض فهى مصيفة ومصيوفة إذا أصابها مطر الصيف . وعبارة المحكم : الصيف .مطر الصيف ونباته ، وصيفت الأرض فهى مصيفة إذا أصابها الصيف» (السابق ص ٥٩) .

وعد منه كذلك غموض عبارة الشرح كقول الفيروزابادى · « بخّس وتبخّس نقص ولم يبق إلا فى السلامى والعين » قال الشدياق · « وهى عبارة مبهمة والواضح ما قاله الجوهرى . بخّس المخُ تبخيساً : أى نقص ولم يبق إلا فى السلامى والعين ، وهو آخر ما يبقى » (سر الليال ص ٥٥) . ولهذا قسا على الفيروزابادى فى مقدمة جاسوسه لأنه فى نظره – يبدل عبارة المعاجم الفصيحة إلى عبارة غامضة مبهمة حشوها عجمة قبيحة ومن كان شأنه هكذا قلت به الثقة لأن تعريف الكلام العربى ينبغى أن يكون فصيحاً مبينا ، محكما رصينا ، وإلا مجه السمع ، ونبا عنه الطبع (الجاسوس ص ٥٤) . وفى مكان آخر يعقب على عبارة للفيروزابادى بعد نقدها – يعقب بقوله : « فإن كتب اللغة ليست ألغازا » (ص ٤٩)

وأما بالنسبة لتعدد طرق التفسير ، فقد ذكر منها المرادف ، والمضاد ووضع الكلمة فى سياقاتها المختلفة . وليس له طريقة محددة يفضلها على غيرها فتارة يقنع بالمرادف وتارة يفضل المضاد عليه كتفضيله تفسير الحبس بضد التخلية على تفسيره بالمنع (سر الليال ص ٤٢) كما أنه فى كثير من الأحيان يحذر من التعريف بالمرادف لعدم وجود التطابق التام فى اللغة . (انظر ما سبق

عن رأيه فى الترادف) ، ولأنه ربما تعددت معانى اللفظ المفسِّر فلا يُعلم المراد منه بالتحديد ، ولهذا فهو ينصح بالحذر فى استعماله .

والاقتباسات الآتية تكشف عن صعوبة التفسير بالمرادف فى نظر الشدياق :

١ - وصف الشدياق ابنة أحد الأمراء فقال : « كانت ذات طلعة بهية وشمائل مرضية تامة الظرف ، ناعسة الطرف » . ولكنه استدرك على وصف طرفها بالنعاس فقال : « ولكن ليس المراد من ذلك أنها كانت لا تبصر من يحبها كما يكون من به نعاس ، وإنما المعنى أنها دابلته » . ولكنه عاد فاستدرك قائلا : «حتى ولا هذه العبارة مفصحة عما أريد أن أقوله فإنها توهم أنها كانت ذابلة مع أنها كانت غضة بضة » ، وعقب بمقصوده من الكلمة قائلا . « بل المقصود أن أقول إنها كانت تنظر عن تحشيف » وعاد فاستدرك قائلا : « ولكن مادة حشف لا تعجبنى لأنها تدل على اليبوسة والخساسة والرداءة ، بل المراد أنها كانت تكسر جفنيها عن النظر » ، واستدرك للمرة الرابعة قائلا : « ولا الكسر أيضاً لائق بها ، ولا أدرى كيف ألحن للقارىء ما أردت . ولعل الأوفق أن يقال إنها كانت ترمى بسهام من عينيها ولم يكن صغر سنها مانعا من تتبيل من ينظرها » (السابق ص ٦٢) .

٢ - عد الشدياق من قصور المعاجم أنها حين تعرف لفظة بأُخرى لا تهتم بذكر الفرق بينهما بالنظر إلى تعديتهما بحرف الجر كقول الجوهرى مثلا : الوجل : الخوف ، مع أن وجل يتعدى بمن وخاف يتعدى بنفسه وكقوله أيضاً الجنف . الميل . وهو يوهم أنه يقال جنف عنه وعليه وإليه كما يقال مال عنه وعليه وإليه . (الجاسوس ص ١٢) .

٣ - أخذ الشدياق على القاموس أنه يفسر الكلمة بكلمة أخرى لها معان مختلفة فلا يعلم المتعين منها ، كقوله . الغبس : السواد ، وهو يطلق على اللون المعروف ، وعلى الشخص ، والمال الكثير ، وعلى القرى ، والعدد الكثير ، وغير ذلك وقوله . البند .

العلم الكبير ، وهو يطلق على الجبل والراية ، وسيد القوم ، وغير ذلك (السابق ص ٢٠١) .

أما وضع الكلمة فى سياقاتها اللغويه المختلفة فهو أفضل وسيلة عندالشدياق ، وهو بذلك يتفق مع أصحاب المدرسة السياقية الذين يرون أن معنى الكلمة هو تسييقها ، أو وضعها فى سياقاتها اللغوية المتعددة . والأمثلة كثيرة على حرص الشدياق على توضيح معنى الكلمة بذكر استعمالاتها المتنوعة والنص على مصاحباتها من الألفاظ ، نذكر منها :

١ - عرضه الفعل باع فى تعبيراته السياقية المتعددة ، فيقال · باع زيدا الدار ، وقد يقتصر على المفعول الثانى ، ويجوز الاقتصار على المفعول الأول عند أمن اللبس كقولك : بعت الأمير ، وقد تدخل « من » على المفعول الأول كقولك « بعت من زيد الدار » وربما دخلت اللام مكان « من » كقولك : بعتك الشيء ، وبعته لك (سر الليال ص ٦٤) .

٢ - ذكره لكلمات الألوان التى تأتى وصفاً للفظ الموت مثل :

* الموت الأحمر . وهو أن يتغير بصر الرجل من الهول فيرى الدنيا فى عينيه حمراء وسوداء .

* الموت الأغبر : وهو الموت جوعاً. لأنه يغبّر فى عينيه كل شيء .

* الموت الأسود · وهو الموت فى غمة الماء

* الموت الأبيض : وهو موت العافية ، أو موت الفجاءة ، لأنه يأخذ الإنسان ببياض لونه (السابق ص ٣٣٧) .

٣ - يمدح الشدياق الصحاح ويميزه على القاموس لحرصه على حماة أشياء منها «تعليم المركب من الكلام فضلا عن تعريف المفردات » . ويمثل لذلك بقوله . « ما كنت عَمًّا ، ولقد عممت عمومة ، وبينى وبين فلان عمومة ، كمايقال أبوّة وخؤولة ، وعُمِّم الرجل · سُود لأن العمائم تيجان العرب ، كما قيل فى العجم تُوِّج » ، وقوله : «أية عول أغْول من الغضب » ، وقوله · « دعنى وعلىَّ خطئى وصوبى ،

أى صوابى » ، وقوله · « الإسحاح : حسن العفو ، يقال ملكت فأسحح ، ويقال : إذا سألت فأسحح ، أى سهّل ألفاظك وارفق » .

ويفضل أساس البلاغة على جميع المعاجم لحرصه على عرض الألفاظ فى تراكيبها فيقول « وأشهر من تحرى تعليم المركبات مع السجع الزمخشرى فى أساس البلاغة ، فهذا الأساوب انتهى إليه » (الجاسوس ص ٨١) .

أما بالنسبة للشرط الثالث ، وهو خلو التعاريف من الدور والتسلسل ، فقدتناوله أكثر من مرة فى كتابه «الجاسوس» واعتبر عدم التزامه من خلل القاموس يقول الشدياق فى مقدمة كتابه : « ومن تعريفه الدورى والتسلسلى : باحة الدار : ساحتها ، ثم قال فى فصل السين . ساحة الدار باحتها .. ، تسنيم القبر · خلاف تسطيحه ، وفى سطح · تسطيح القبر : خلاف تسنيمه . ، تسور الحائط تسلقه : وفى سلق : تسلق الحائط تسوره » (ص ٨٦) .

ويقول فى نقده الرابع للقاموس : « فى روح : الروح ما به حياة الأنفس وقال فى تعريف النفس : إنها الروح ، فيكون حاصل المعنى : الروح : ما به حياة الأرواح فلو قال . الروح : ما به حياة الإنسان أو الجسد لسلم من العجمة » (ص ٢١٧) ويقول تعقيباً على قوله . « الضرس . السن » · وقال فى باب النون · السن : الضرس ، وهو تعريف دورى . والضرس غير السن ، وهو المتعارف بين الناس . (ص ٢٢٥) . كما خصص النقد الثالث عشر من نقـوده لتعريفات الفيروزابادى الدورية والتسلسلية وضرب أمثلة كثيرة عليها (ص ٣٠٢ – ٣٠٣)

(هـ) الوقوف عند اختصاص المعجم :

يرى الشدياق أن على المعجمى أن يقصر مادته على ألفاظ اللغة غير القياسية ، ولذلك اعتبر من قبيل التجاوز لوظيفة المعجم أن يهتم المعجمى بما يعد من المعلومات الموسوعية ، أو بما يعتبر من المشتقات القياسية ، أو بما يدخل

فى باب الفضول أو الاستطراد الذى لا فائدة فيه . وقد انصب كثير من نقده للقاموس على هذه النقطة التى اعتبرها من أقبح أنواع الخلل فيه .

وقد اعتبر من باب المعلومات الموسوعية التى يجب أن يتجرد منها المعجم « خواص الأشياء ومضارها ومنافعها مما حرص عليه صاحب القاموس كل الحرص ، فكل يعلم أن موضعها كتب الطب لا كتب اللغة » (سر الليال ص ٦٠٧ وانظر الجاسوس ص ٣١٧) . وكذلك المعلومات الجغرافية التى جعلت القاموس « عبارة عن كتاب فى الجغرافية » (الجاسوس ص ٣٢) وذكر الأعلام « كأسماء المحدّثين والفقهاء وغير ذلك مما لم تكن العرب تعرف له عينا ولا أثرا ، حتى إن المصنف من شدة تهافته على ذكر الأعلام أهمل ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف فى مادة رحم أهمل الرحمن والرحيم واجتزأ عنهما بذكر محمد بن رحمويه . ورحيم كزبير . . ومرحوم العطار » (السابق ص ٨٠ ، ٨١ وانظر ص ٣٠٥ - ٣٠٨) .

وقد اعتبر الشدياق تعرض الفيروزابادى إلى ماليس من اختصاصه السبب فى وقوعه فى الأخطاء والأوهام التى لا تكاد تقع تحت حصر : « إن حق اللغة اقتصّ من مصنفه فإنه ربكه فى أغلاط كثيرة فى ذكر تلك الأعلام التى فضلها على كلام العرب . حيث جعل الابن أبا ، والأب ابنا ، والرجل امرأة ، والمرأة رجلا ، والمدينة جبلا ، والجبل مدينة والغرب شرقاً ، والشرق غرباً » (السابق ص ٨١)

واعتبر الشدياق كذلك من باب الفضول واللغو ذكر ما يمكن الاستغناء عنه من المشتقات لقياسيته ، ولضرورة العلم به كإيراد الفعل المبنى للمجهول بعد الفعل المبنى للمعلوم ، وكذكر مصدر غير الثلاثى ، وكالنص على اسم المرة أو الهيئة أو الزمان أو المكان . ومن الأمثلة الكثيرة التى ذكرها نلتقط ما يأتى :

١ - قال الجوهرى : حابيته البيع محاباة . ولو حذف المصدر وأتى

بلفظة تفسر الفعل لكان أولى لأن المصدر قياسى لا يلزم ذكره (سر الليال ص ٤٦).

٢ — أهل اللغة لا يستوفون من كل فعل ثلاثى مشتقاته ومزيداته ، إذ لم أر فى القاموس والصحاح : استبخله عده بخيلا ، ولا باخله : غالبه بالبخل ، ولا تباخل . كما تقول تمارض وتباله (السابق ص ٥٧)

٣ — إيراد الفعل المجهول بعد الفعل المعلوم لغو لأنه حيثما وجد المعلوم المتعدى وجد المجهول . نعم إذا ثبت أن العرب لم تنطق بفعل إلا مبنياً للمجهول فحينئذ يتعين ذكره (الجاسوس ص ٢٤١) .

٤ — عقد الشدياق فصلا سماه « فيما ذكره من قبيل الفضول والحشو والمبالغة واللغو » ضمنه كثيرا من الصيغ القياسية التى لم يكن هناك داع لذكرها (الجاسوس ص ٣٠٣ وما بعدها).

أما ما يدخل فى باب الفضول والاستطراد ، ولا يعد من باب اللغة فى شىء ، ولذا لا يصح للمعجمى أن يذكره فقد استقى الشدياق أمثلته من القاموس الذى بلغ فى العناية فى ذلك حتى تجاوز كل حد ومن ذلك .

١ — يقول الشدياق : لم يزد القاموس شيئاً على العباب والمحكم إلا ما كان من قبيل الخرافات ، التى لا يتلفت إليها الثقات الأثبات ، وذلك كخرافة القفنس واللوف والربحرى والرخ والجزائر الخالدات ، وغير ذلك من المحالات (الجاسوس ص ٥٤) .

٢ — وقال الشدياق : ومما تصدى له من من الحكايات التى لا تعلق لها باللغة أصلا حكاية ثلاث بنات كن لهمام بن مره وكان أبى أن يزوجهن فأنشدت كل واحدة منهن بمسمعه بيتا ينبىء عن اغتلامها . وهى حكاية سخيفة تسو عنها كتب المجون . ذكر ذلك فى قنف ومثله ماذكره فى زول (السابق ص ٣١١ وما بعدها)

٣ — ومن ذلك ذكره أسماء أصحاب الكهف (ص ٣٠٥) وأسماء جماعة من المخنثين (ص ٣٠٧)

٤ - وكذلك قول الفيروزابادى : شحيثا كلمة سريانية تستفتح بها الأغاليق وقد عقب الشدياق قائلا . « قال المحشى . أى مناسبة بين هذا وبين كلام العرب، ولغاتهم . على أنه لغو من الكلام وباطل فلا تفتح به الأغاليق ولا ينبغى ذكره من المصنف لو كان صحيحاً ولا يليق » (ص ٣٠٩) .

وقد أوقع تعرض الفيروزابادى لما ليس من اللغة فى معجمه - أوقعه فى الوهم والتخليط مما فتح الباب أمام الشدياق ليخصص نقده الثانى والعشرين لأوهام الفيروزابادى فيما خرج عن اللغة ، وعد منه حديثه عن النسطورية والبطريق ، وشمعون الصفا ، والذبيح ، والسقالبة ، والإسكندر وغيرها ، وكشف عن خلطه فيها واتخذه مادة للسخرية (الجاسوس ص ٣٩٦ - ٤٠٣) .

(و) وضع اللفظ المشتبه أصله فى مظانه المختلفة :

هناك كلمات كثيرة فى اللغة العربية يشتبه أصلها ومعرفة جذرها على اللغوى المتخصص فضلا عن ابن اللغة العادى .

وقد كان هذا النوع من الكلمات محل خلاف بين المعجميين، ولذا اختلفت مواضعه فى المعاجم .

وكان رأى الشدياق وضع أمثال هذه الكلمات حسب احتمالاتها المختلفة فى مظانها المختلفة مع الربط بين هذه المظان ، واعتبر من الخطأ الاقتصار على احتمال واحد . ومن أمثلة ما رأى وضعه فى أكثر من موضع الكلمات الآتية :

١ - كلمة « أثفية » التى وضعها الفيروزابادى فى (أثف) و (ثفى) وله وجه . لأنه يقال : أثف القدر وآثفها وأثفاها وثفاها وجاء من الأول . أثفه . تبعه وطرده وطلبه . وجاء من الثانى . ثفاه يثفيه ويثفوه . غير أن وزن الأثفية من أثف فعلولة ، وجمعها على فعاليل ومن ثفى أفعولة وجمعها على أفاعيل (الجاسوس ص ٣٢) .

٢ - كلمة مكان التى أوردتها المعاجم فى (مكن) و (كون) ، وفسر ابن منظور وضعها فى المكانين بقوله : « المكان . الموضع والجمع أمكنة وأماكن

توهموا الميم أصلا . . » (كون) ، وقوله « وقيل الميم فى المكان أصل كأنه من التمكن دون الكون » (مكن) (السابق ص ٣٢ ، ٣٣) .

٣ - كلمة « ترجمان » التى أوددها اللسان فى (ترجم) و (رجم) على اعتبار أصالة التاء أو زيادتها (السابق ص ٢٩) .

واعتبر الشدياق من التعنت الاقتصار على احتمال واحد أو تخطئة من اختار الاحتمال الآخر ولهذا يقول عن كلمة كبريت ونحوها : « ذكر الكبريت فى باب التاء . . بناء على أصالة التاء لقولهم : كبرت بعيره · إذا طلاه بالكبريت والجوهرى أورده فى (كبر) فعامله معاملة العفريت . والمصنف تابعه على ذكر العفريت فى (عفر) . . مع أنه ذكر له فعلا وهو تعفرت . فكان ينبغى له أن يذكره فى التاء أيضاً وينبه على أن أصله (عفر). كما قال فى (رعش) : الرعشن فى النون وإن كانت النون زائدة ، لكنى ذكرتها على اللفظ وبينت الزيادة .

ولكنه لم يبين زيادة النون فى الضيفن وهما من باب واحد » (السابق ص ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

ويقول عن كلمة «توأم » التى وضعها الجوهرى فى فصل التاء : « ذكر (الفيروز ابادى) التوأم فى مادة على حدتها بقوله : التوأم من جميع الحيوان المولود مع غيره فى بطن ثم أعاده فى (وأم). إلى أن قال . ووهم الجوهرى فى ذكر التوأم فى فصل التاء فانظر كيف يخطىء الجوهرى وهو متابع له » (السابق ص ٣٩٣) .

ويقول عن كلمة «مرهم » التى وضعها الجوهرى فى (رهم) . « ذكر (الفيروزابادى) فى (رهم) المرهم · طلاء لين يطلى به الجرح . ثم قال فى تركيب (مرهم) : المرهم دواء مركب للجراحات ، وذكر الجوهرى له فى رهم وهم والميم أصلية لقولهم مرهمت الجرح. قلت · قوله · «لقولهم مرهمت الجرح قد يقال إن ذلك على توهم أن الميم أصلية وهو من أساليبهم كقولهم تمكحل وتمذهب » . (السابق ص ٣٩٤ - ٣٩٥) .

ويرى الشدياق أن ضرورة وضع الكلمة فى مطانها المختلفة لايستلزم التكلف فى التحليل ، ولهـذا فهو ينتقد من وضع كلمة « استكان » فى « سكن » ويرى أنها من الأجوف وأن مكانها (كين) يقول الشدياق : « ذكر استكان بمعنى ذل وخضع فى (سكن) ، افتعل من المسكنة أشبعت حركة عينه مع أنه ذكر كان يكين بمعنى ذل وخضع فالأوجه أن يكون استكان : استفعل منه . والإشباع إنما يرتكب لضرورة الشعر . والبيضاوى جعل اشتقاق استكانوا من (سكن) أصله استكن ، أو من استكون من الكون لأنه يطلب من نفسه أن تكون لمن تخضع له . وفيه من التكلف مالا يخفى . والراغب ذكرها فى كان الواوى » (السابق ص ٢٩١) .

ويرى الشدياق أنه فى حالة تعدد المظان يجب على المعجمى الربط بين المظان المختلفة والإشارة إلى كل منها فى الموضع الآخر ، ولذلك عقد فصلا فى كتابه « الجاسوس » بعنوان : « النقد الحادى والعشرون : فيما ذكره فى موضعين غير منبه عليه ، وربما اختلفت روايته فيه » ، ذكر فيه كلمات مثل : أول ، واست ، وآنق ، وذرية ، والبذىء ، ودكان ، وبستان ، ورُبّان ، واللات ، وهات ، ولِدة ، وحاش (لله) وغيرها (ص ٣٧٢ ومابعدها) .

ويحدد الشدياق أصولا معينة يكثر الخلط فيها ، وهى المشتملة على علة يصعب ردها إلى الواو أو الياء مثل جبى / جبا مما يؤدى كثيرا إلى الخلط بين الواوى واليائى (وانظر : أبى ، وذرى ، وروح ، ورنا ، وشكا) .

وكذلك يكثر الخلط بين المعتل والمهموز مثل ذرية التى يشتبه وضعها فى ذرأ أو ذرى ، وفئة التى يشتبه وضعها فى فيأ أو فأو . ويكثر الخلط أيضا فى الهمزة والنون : « وأكثر مايزلق فيه أئمة اللغة من حيث إيراد الألفاظ هو ما كان فيه الهمزة والنون . فمزلقة الهمزة أن بعضهم يراها أصلية وبعضهم يراها منقلبة عن حرف علة » ، « ومزلقة النون أطمّ وأعم فإنها تلتبس فى أوائل الألفاظ وأواسطها وأواخرها ، مثال الأول لفظة نرجس . ومثال الثانى لفظة الحنزاب أى الديك . وقس عليه

العنصر والعندل والعنصل ، ومثال الثالث الرداں والدكان والسرهـان والبستان والعنوان ومالايحصى مں نظائرها » (انظر الجاسوس ص ٣٣ ، ٣٨ ، ٢٨٦ ومابعدها و ٣٧٢ ومابعدها) .

(ز) وضع المعرب تحت لفطه .

سبق أن عرصنا رأى الشدياق ضرورة التثبت قبل ادعاء تعريب الكلمة فإذا ثبت لدى المعجمى أن الكلمة معربة وحب عليه أن يعامل حروفها كلها على أنها أصلية ويضعها تحت لفظها دون ادعاء بوجود روائد فيهـا . يقول الشدياق منتقدا الفيروزابادى لوضعه كلمة إستبرق فى (برق) والأرحوان فى (رجو) : «ومن أمثلة الإجحاف : إيراد المصنف لفظة الإستبرق فى برق فأنزل الألف والسين والتاء فيها وهى نصف الحروف منزلة استخرج . وكذلك أورد الأرجوان فى رجو فأنرلها منرلة الأفعوان والأقحوان مع أنها عجمية فكان ينبغى أن تعامل معاملة العنفوان. وبهذا الاعتبار أبعدها عن أصل وضعها ، وحجبها عن طالبها ، لأن الطالب يعتقد إن الهمرة والواو والنون فيها أصلية ، وأن حكم (سألتمونيها) لايجرى على الألفاظ العجمية وفى المطالع السعيرية أن الألف أصلية عير مبدلة من شىء فى الحروف والأسماء المبنية والأسماء العجمية ، لأنها عير مشتقة ولا متصرفة فلا يعرف لهـا أصل عير هذا الطاهر فلا يعدل عنه من عير دليل » ، ثم يقول : «وفى الواقع فإن اعتبار زيادة الحروف فى الألفاظ العجمية أمر عريب لأن شأن المريد أن يستغنى عنه بالأصل الذى ريد عليه ، وهنا ليس كذلك إذ لاشئ من الهمزة والألف والنون فى أرجوان زائد » (الجاسوس ص ٢٧ ، ٢٨) .

ويقول منتقدا بعض اللغويين الذين يبحثون عن اشتقاقات عربية لكلمات أعجمية . « ثم إن اعتبار هذه الزيادات أغرى الإمام ابن سيده والإمام النواوى باشتقاق الأندلس من مادة الدلس وهو الظلام ، واعتبار النون لامحالة زائدة » ثم يمضى قائلا : «فما معنى كون النون لامحالة زائدة واللفظة عجمية فهل يقال إذن إن النون والهمزة فى إسرافين رائدتان حتى يرجع أصلها إلى السرف أو إن الهمزة فى إسحاق زائدة حتى

يرجع إلى السحق ؟ » (السابق ص ٢٩ ، ٣٠) .

(ح) بيان درجة اللفظ فى الاستعمال .

اعتبر الشدياق من وظيفة المعجم النص على درجة اللفظ فى الاستعمال فقال . «من عادة المحققين من اللغويين أن ينبهوا على الفصيح من الكلام ، وعلى غير الفصيح ، وعلى الغريب ، والحوشى ، والمتروك ، والمهمل ، والمذموم ، واللثغة ، ونحو ذلك » ولذلك عاب على صاحب القاموس «إيراده الألفاظ إيرادا مطلقا من دون أن ينبه عليها » فى حين أن غيره نبه على درجتها .

* فمما أطلقه صاحب القاموس ونبه عليه بعضهم بقوله : ليس بثبت ، أو لا أدرى صحته ، أو لا أحقه · الإردب القناة التى يجرى فيها الماء فى باطن الأرض (الجاسوس ص ١٣٠) .

* ومما أطلقه ونبه غيره على أنه مختص ببعض القبائل العربية : الهَبَيَّخة الجارية الناعمة وهى بلغة حمير (السابق ص١٣١).

* ومما ذكره من لغة العوام : «أعطنى شحتلة من كذا أى نتفة » مع أن الصاغانى نبه على أن هذه الكلمة ليست من كلام العرب وأنها من كلام أهل بغداد وقد تساءل الشدياق قائلا : «فإذا ساغ أن يروى عنهم الشحتلة ساغ أيضا أن يروى عن أهل الشام الشحتوت والمشحتل بمعنى الصعلوك وساغ أيضا أن يروى عن غيرهم إلى مالا نهاية (السابق ص ١٣٢ ، ١٣٣) .

* ومما ذكره مطلقا مع نص غيره على أنه لثغة أو لهجة غير فصيحة قوله : «الثات : الناس » ، وقوله · « الديش : الديك » ، وقوله . «الثلطان : السلطان » ، وقوله . «الثابّة : الشابة »وقوله . « اعتثم به بمعنى اعتصم » (السابق ص ١٣٤ ، ١٣٥) .

* ومما ذكره مطلقا وهو نادر أو ضعيف جمع حدأة على حِداء بالمد ، وإثبات رقأ فى الدرجة · صعد فيها ، والمعروف · رقى ، وإثبات اسم المفعول من قرأ : مقرىّ .. (السابق ص ٣٢١ ومابعدها) وإثبات كلمة

« الأعصج » بمعنى الأصلع مع قول ابن سيده في المحكم : « رجل أعصج : أصلع ، لغة شنعاء لقوم من أطراف اليمن لا يؤمن بها » (السابق ص ١٣٢) .

٣ ـ **مواصفات المعجمي الناجح :**

اشترط الشدياق فيمن يتقدم للعمل المعجمي جملة شروط رآها ضرورية لتحقيق الدقة المطلوبة . وقد رد إلى فقد هذه الشروط أو بعضها ماشاب العمل المعجمي العربي من هنات . وأهم هذه الشروط :

(١) تفرغه التام وإخلاصه للغته :

يرى الشدياق أن على المعجمي أن يتعامل مع اللغة تعامل المحب مع محبوبه ، فلايشغل باله إلا بها ، ولايصرف همه عنها إلى غيرها ، وهو يصور حبه لغته فيقول : « إن يكن المتقدمون قد اشتغلوا بهذه اللغة الشريفة فإني قد عشقتها عشقا ، وكلفت بها حقا ، حتى صرت لها رقا . فأزهرت لها ذبالي ، وسهرت فيها ليالى . » (سر الليال ص ٢) .

ويرد كثيرا من أخطاء اللغويين إلى عدم تفرغهم لها فيقول : « هذا الخلل فاش في غيره (غير القاموس) أيضا . وسببه توزيع أوقات هؤلاء المؤلفين على مصالح مختلفة . فينبغي لمن تصدى للغة ألا يشتغل بشيء آخر غيرها ، فإن اللغة العربية كالحرة تأبى الضرة » (السابق ص ٢١) ويكرر نفس المعنى في كتابه الجاسوس فيقول : « من يتصدى للتأليف في اللغة العربية ينبغي له أن يقتصر عليها ولايشرك بها شيئا فإنها كالزوج الحرة تأنف من الضرة » (ص ٧٣) .

وينسب كثرة ماوقع فيه الليث من تصحيف إلى أنه « كان غنيا وعائشا بين ضرتين . وهاتان الخطتان تحملان الإنسان على أن يرتكب ماهو أعظم من التصحيف والتحريف (الجاسوس ص ٤١٧) .

كما ينصح من يؤلف في اللغة ألا يوزع فكره بين أكثر من عمل في وقت واحد ، لأن العمل اللغوى يحتاج إلى تروٍّ ومراجعة وحسن تدبر « أعتقد أنه لم يكن لخلل كتابه (القاموس المحيط) من سبب سوى أنه كان رحمه الله في خلال تأليفه له مشتغلا بتأليف كتب أخرى ، فقد ذكر له الشارح في تاج العروس نيفا وأربعين مؤلفا فكان لايراجع مايكتبه

فى القاموس . وأعظم شاهد لذلك أنه لم ينسق الواو والياء فى المعتل وكثيرا مايكرر اللفظة فى مادتها أو يحيل ذكرها فى موضع ولايذكرها فيه ، شأن من تنازعته الأشغال وتجاذبته خوالج البال » (السابق ص٧٣) .

(ب) استنفاد المراجع الممكنة والتزام الأمانة العلمية .

يرى الشدياق أن على المعجمى أن يستنفد كل المراجع الممكنة قبل أن يثبت كلمة فى معجمه ، وأن يذكر اختلاف الأقوال فيما يتعرض له من مسائل ، وألا يخفى شيئا من مصادره أو يحجب أسماء بعضها ، وهو من أجل هذا يقسو على الفيروزابادى الذى كثيرا ما أخل بهذه الشروط فيقول :

« فإن من تصدى للتأليف فى العربية تعين عليه أن يذكر اختلاف الأقوال فيما يحرره من المسائل ولايقول فيها بهوى نفسه . ولايعتمد فيها على حدسه ألا ترى أن شراح الحديث الشريف إذا أوردوا حديثا ذكروا الخلاف فى لفظه ومعناه ، وكذلك المفسرون يذكرون اختلاف القراءات والتأويل فما ضر المصنف لو كان تروى فى (تقيأت) وذكر الخلاف فيها فإن قيل : إنه لم يكن عنده نسخة من التهذيب ولسان العرب وأساس البلاغة قلت هذا من قبيل قولهم عذر أقبح من ذنب أما أولا فلأنه شهد على نفسه بأنه جمع كتابه من المحكم والعباب ، وصاحب العباب لم يذكر هذا الحرف فكان ينبغى له أن يفكر فى سبب ذلك لأن العباب من الكتب الجامعة . والثانى أنه ألف قاموسه فى زبيد بعد أن زار مصر وأخذ عن علمائها . فكيف يحتمل أنه لما كان بمصر لم يسمع بذكر اللسان ، وبالتنويه به ؟ فليس من المحتمل أنه سافر من مصر من دون الحصول على نسخة من اللسان ، فمن ثم أقول إما أنه لم يكن عنده نسخة من اللسان وهو قصور ، وإما أنه كان عنده ولم ينقل منه حسدا فالقصور أعظم . ولكن إذا لم يكن عنده التهذيب واللسان فى جملة كتبه فما معنى قوله فى خطبة القاموس إنه صريح ألفى مصنف من الكتب الفاخرة . وأغرب من ذلك أنه مع شدة حرصه على ذكر أسماء الفقهاء والمحدّثين فى مشارق الأرض ومغاربها لم يذكر الأزهرى وابن منظور فى جملتهم ولا فى جملة المؤلفين . » (الجاسوس ص ٤١٨) . كما كان دائب الانتقاد

لاصيروزابادى لتجاهله هديس العالمين الحليليس وسقول عن الأول · «يتسيس مں كلام الشارح أن المصىف كان عىده التهاديب الأزهرى وكمف فال إذن فى الحطبة (وكىت برهه من الدهر ألتمس كتابا جامعا ىسىطا . ولما أعيانى الطلاب سرعت فى كتابى الموسوم بااللامع المعلم العجاب الجامع بيں المحكم والعباب ؟) (الجاسوس ص ٤٤١) ويقول عں التانى فأحادر عن رأى هدا الإسهاب لغير طائل أن يدكر ابن مىظور الذى شرف أمة الإسلام بلسانه ، وأوضح مشكلات اللغة ببيانه وإنما هو الحسد . كم أضى من حسد . وأذكى من كمد ، وأوهى من جلد ، وألقى فى كبد » (السابق ص ٤١٩)

(ح) تمكنه من قواعد الصرف ·

لما كان أساس ترتيب الكلمات فى المعجم تجريدها من الزوائد وردها إلى أصولها فإن على المعجمى أن يكون على درايه كافية بقواعد تصريف الكلمات . وتمييز مجردها من مزيدها ، وتحديد أحرف الزيادة من بين حروفها ، وعلى معرفة بالأصول الواوية واليائية ، وعلى مقدرة فى تمييز المعتل من المهموز وقديما عيب على ابن دريد كثرة أخطائه الصرفية فى معجمه الجمهرة حتى قال عنه ابن جنى · «فيه أيضا من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ولما كتبته وقّعت فى متونه وحواشيه جميعا من التنبيه على هــذه المواضع ما استحييت من كثرته » (الخصائص ٣ / ٢٨٨)

وقد مرت أمثلة كثيرة للكلمات التى تشتبه أصولها . ونضيف الآن أمثلة للكلمات التى أخطأ المعجميون فى معرفة أصولها ، كما ذكر الشدياق .

١ ـ وضع آنفنى الشيء ، أى أعجبنى فى «أنف » و « سبق » والصواب أن يذكر فى أنق فقط . فإن أصله أأنقنى فقلبت الهمزة الثانية ألفا كما قلبت فى آمن . ولو كان من سبق لقلت آناقى ، كما تقول أصارنى وعلى الأصل أنبقى .

٢ ـ وضع الفيروزابادى حرف (ى) مقابل مادة رنا ، وهى واوية .

٣ ـ ذكر الفيروزابادى «الحارة» فى «حبر» وموضعها فى الواو .

٤ ـ وضع «التميمة» فى «تمم» و«تيم» والصواب ذكرها فى تمم فقط لأنها تفاؤل بتمام عمره .

٥ ـ التخلط فى إيراد مضعف الرباعى فهم يوردونه تارة فى مضعف الثلاثى على مذهب الكوفيين . كما فعل الفيروزابادى فى «شلشل» وتارة يفردونه بمادة على حدتها كما فعل الفيروزابادى فى «سلسل» .

(الجاسوس ص ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٥٠٠ وانظر سر الليال ص ٣٢) .

ويدخل كذلك فى التمكن من قواعد الصرف المعرفة بأجناس الكلام كاسم الفاعل والمفعول وصيغة المبالغة والمصادر واسم المصدر وقد عاب الشدياق على الفيروزابادى خلطه بعض الأجناس ببعض كخلطه المصدر باسم المصدر (انظر الجاسوس ص ١٩٦ ، ١٩٨) ويدخل كذلك توزيع الجموع على مفرداتها فلا يقع فيما وقع فيه الفيروزابادى حين قال : «الرزيئة : المصيبة كالرزء . . ج أرزاء ورزايا» فالأول جمع الرزء ، والثانى جمع الرزيئة » (السابق ص ٢٠٥) .

(د) معرفته بعدد من اللغات الأجنبية وبخاصة السامية .

يجب على اللغوى أن يعرف عدداً من اللغات الأجنبية لأنه يحتاج إليها فى

١ ـ الحكم بتعريب كلمة أو عربيتها .

٢ ـ الاستعانة بالأصل السامى فى تفسير الكلمة أو ردها إلى أصلها .

٣ ـ الوصول إلى جذر الكلمة بناء على الحكم بعربيتها أو عجمتها .

٤ ـ نسبة الكلمات المعرّبة إلى لغاتها الأصلية .

والاقتباسات الآتية من نص كلام الشدياق تدل على ما ذكرنا :

« ذكر صاحب المصباح . . النرجس فى رجس ، وقال إن النرجس معرب ، ونونه زائدة باتفاق . قال الشدياق . « والغرابة هنا . . أنه أقر أولا بأنه معرب ، ثم قال إن نونه زائدة ، وهو عندى تناقض محض ، لأن نونه فى أصله أصلية لأنه

ومعرب نركس كما فى العباب ، فهل يقال إنه بعد التعريب صارت نونه زائدة ؟ » (الجاسوس ص ٢٨)

* أورد الفيروزابادى الكروبيين مخففة الراء فى « كرب » وفسرها بسادة الملائكة . قال الشدياق . « وهى لفظه عبرانية أصلها كروبيم ومفردها كروب فإن الياء والميم فى هذه اللغة علامة الجمع . وقد ذكرت فى التوراة غير مرة وترجمت إلى سائر اللغات بهذا اللفظ ، واشتقاقها من فعل يدل على القرب » (السابق ص ٢١١) .

* أخطأ الفيروزابادى فى كثير من محاولاته رد المعرّب إلى أصله وقال الشدياق « كقوله فى الترياق إنه من اليونانى . مع أن القاف لاتوجد فى لغة اليونان ولافى غيرها » (السابق والصفحة).

* قال الشدياق · « النعت بالصفا (شمعون الصفا) لقب أحد الحواريين المشهور باسم بطرس . وكان يقال له أولا شمعون فشبهه عيسى عليه السلام بالصخرة وهى فى اللغة اللاتينية واليونانية بتروس فعرّبها نصارى الشام بطرس ، واستعملوا مرادفها فى العربية وهو صفا ، وهو فى أصل اللغة جمع صفاة وهى الصخرة الملساء ، فليس هو مصدرًا لصفا يصفو كما توهمه المصنف » (السابق ص ٣٩٨ ، ٣٩٩)

* قال الفيروزابادى إن اشتقاق الاسم « موسى » من الماء والشجر ، فمو الماء وسا : الشجر . وقال صاحب الكليات : إنها من السريانيه . وقال صاحب اللسان : هى بالعبرانية موشى ، ومعناه الجذب ، لأنه جذب من الماء . وعقب الشدياق على هذه الآراء قائلا .

١ – لا دخل للسريانية هنا .

٢ – الأحرى أنه من لسان القبط القديم وإن ابنة فرعون لم تكن يهودية حتى يكون اللفظ عبرياً .

٣ – عبارة التوراة · ولما كبر الصبى جاءت به أمه إلى ابنة فرعون فاتخذته ابناً لها وسمته موسى ، قالت لأنى انتشلته من الماء .

٤ – اسم موسى فى التوراة : موسى بغير إشباع ومعناه منتشل .

٥ – لفظ موسى يدل على الماء وإنما تدل عليه قرينة الحال (السابق ص٣٩٩)

(هـ) تسهه لاحتمالات التصحيف

من أهم مواصفات المعجمى العربى يقظته الشديدة ، وحساسيته المرهفة وتنبهه لاحتمالات التصحيف أو التحريف حين يبدو أحد المعانى نافرًا عن القواعد الصوتية أو الاشتقاقية ، أو عن المعنى العام للمادة.

وقد سبق التمثيل لذلك أثناء الحديث عن منهجيته المعجمية ، ونضيف هنا تشبيها طريفا استعمله الشدياق وهو تشبيه من يروى الكلمات محرفة أو مصحفة « بتاجر يبيع الخرز على أنه ياقوت » (الجاسوس ص ١٣١).

(و) غوصه على المعانى ودقته فى ربط مايبدو منها متنافرًا

من أهم مواصفات المعجمى العربى كذلك قدرته على التجريد ، والربط بين المعانى الجزئية أو المتنافرة وقد سبق التمثيل للمعانى الجزئية أثناء الحديث عن منهجيته المعجمية .

أما ربط المعانى المتنافرة فيتمثل بوضوح فى الكلمات ذات المعانى المتضادة وقد أجاد الشدياق التمثيل لهذا النوع من الكلمات والتماس الأسباب التى أدت إلى وجوده ، ومن ذلك تفسيره التضاد على أنه من باب حمل النقيض على النقيض ، وقوله « والعالب فى هذا الأسلوب أن يكون المعنى المنفور منه هو الأصل ، ثم تستعمله العرب بنقيض معناه جبرًا له عما فاته ، وهو على حد قولنا للأعمى بصير . والسبب الثانى . اختــلاف الرأى والنظر فى موصوف ما . والسبب الثالث كون صيغة الفعل من أصله تحتمله كما فى باع الشيء بمعنى باعه وبمعنى اشتراه فإن أصله من مد اليد . » (سر الليال ص ٣٣) .

وتفسيره إطلاق الأسد على الولد الذى أتت عليه سنة بأنه من قبيل التفاؤل بأنه يعيش أبدًا (السابق ص ٣٤) .

وتفسيره التضعيف بمعنى الزيادة على الشيء والنقص منه بأن « بناء الزيادة من الضِّعف بمعنى المثل ، وبناء النقص من الضَّعف الذى هو ضد القوة » (الجاسوس ص ٢٩٨)

مراجع البحث

١ ـ احمد فارس الشدياق ـ د محمد يوسف نجم ـ رسالة دكتوراه من الجامعة الأمريكية ببيروت ١٩٤٨

٢ ـ أحمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية والأدبية ـ د محمد أحمد خلف الله معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥ .

٣ ـ الجاسوس على القاموس ـ أحمد فارس الشدياق ـ القسطنطينية ـ طبع الجوائب ١٢٩٩ هـ

٤ ـ الخصائص ـ ابن جني .
دار الهدى ـ بيروت ـ ط ثانية .

٥ الساق على الساق فيما هو الفارياق ـ أحمد فارس الشدياق باريس ١٨٥٥ .

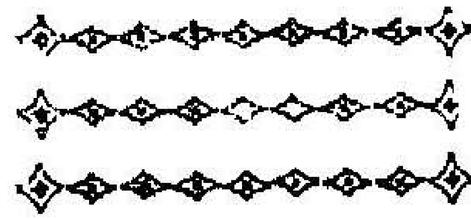
٦ ـ سر الليال في القلب والإبدال ـ أحمد فارس الشدياق الآستانة ١٢٨٤ هـ

٧ ـ علم الدلالة ـ د . أحمد مختار عمر . دار العروبة بالكويت ـ ١٩٨٢

٨ ـ القاموس المحيط للفيروزابادى

٩ ـ كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ـ مجموعة مقالات كتبها أحمد فارس الشدياق وجمعها ابنه سليم ـ الآستانة سنة ١٢٨٨ هـ وما بعدها .

أحمد مختار عمر
استاذ علم اللغة بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة



ظواهر صرفية مشتركة بين اللغة العربية والهوسا

للدكتور مصطفى حجازي السيد

اختلط العرب بسكان غرب أفريقيا منذ فترة طويلة ونشروا الإسلام في هذه الجهات ولما كانت اللغة العربية لغة الدين الإسلامي الحنيف وبها نزل القرآن الكريم ورُوى الحديث النبوي الشريف وتؤدى الصلاة وسائر العبادات كانت تالية للدين الإسلامي في الإنتشار بهذه البلاد

وقد ظهر في غرب أفريقيا الكثير من العلماء والمؤرخين والأدباء الذين دونوا علومهم وكتبوا تاريخهم ونظموا أشعارهم باللغة العربية وقد أدى الإحتكاك الثقافي بين اللغة العربية واللغات المحلية إلى تسرب الكثير من الكلمات العربية إلى هذه اللغات ولاسيما ألفاظ الحضارة والدين الإسلامي ونظراً لإختلاف بنية الكلمة من لغة لأخرى فقد طرأ على هذه الكلمات المقترضة كثير من التغير مثل الحذف والإضافة والإبدال لبعض الأصوات .

ولم يقف الأمر عند حدود الكلمة المقترضة بل تجاوزها إلى اللواحق الصرفية فقد لاحظت كثيرا منها مشترك بين العربية والهوسا فقمت باثباته في هذه الدراسة

وقد التزمت في هذا البحث بذكر الظاهرة الصرفية المشتركة بين اللغتين وأمثلة لها من كل لغة وعقد مقارنة بينهما

وقد اعتمدت في ذلك على كتاب شذا العرف في فن الصرف للشيخ الحملاوى وما جمعت من مادة علمية أثناء قراءتي للأدب الهوساوى .

١ — الفعل المضارع

المضارع في اللغة العربية هو ما دل على حدوث شيء في زمن المتكلم أو بعده ويعينه للحال ما يلي (١)

لام الإبتداء نحو «إني ليحزنني أن تذهبوا به».

(١) بخصوص هذه الظواهر انظر مجلة مجمع اللغة العربية الأعداد ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ومجلة الدراسات الأفريقية الأعداد ٧ ، ٨ ، ٩ للباحث .

ولا الناهية نحو «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول» .

وما النافية نحو « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا » .

ويعينه للاستقبال ما يلى :

« السين » نحو « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » .

«سوف» نحو « ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

« لن » نحو « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »

« أن » نحو « وأن تصوموا خير لكم »

« إن » إن ينصركم الله فلا غالب لكم »

وعلامة أن يصح وقوعه بعد « لم » نحو «لم يلدولم يولد» ولا بدأن يكون مبدوءا بحرف من حروف أنيت » وتسمى أحرف المضارعة فالهمزة للمتكلم وحده أنا أقرأ ، وألعب والنون له مع غيره نحو « نقرأ ونلعب ».

والياء للغائب المذكر وجمع الغائبة نحو « محمد يقرأ ويلعب والنسوة يقرأن ويأكلن ».

والتاء للمخاطب مطلقا ومفرد الغائبة ومثناها نحو « أنت تقرأ يا محمد ، وأنتما تقرأن ، وأنتم تقرؤون، وأنت يا هند تقرئين وفاطمة تقرأ ، والهندان تقرآن » .

والمضارع أو الحاضر فى لغة الهوسا ، هو ما دل على الحال والإستمرار والمستقبل

ويعبر عنه باستعمال إسم الحدث مسبوقا بلا صفة الزمن الداله على الإستمرار على النحو التالى .المتكلم وحده :

inā gudu أجرى ، ına wasa ألعب

المتكلم مع غيره :

munà gudu نجرى ، munà wasa نلعب

الغائب المذكر :

yanà gudu يجرى ، Yanà wasa يلعب

الغائبه المؤنثة .

tanà gudu تجرى ، tanà wasa تلعب

جمع الغائب والغائبه :

sunà gudu يجرون أو يجرين sunà wasa يلعبون أو يلعبن .

المخاطب المذكر :

kanà gudu أنت تجرى . kanà wasa أنت تلعب .

المخاطبة المؤنثة :

kına gasa أنت تجرين kına wudu أنت تلعبين

جمع المخاطب والمخاطبة :

kunà gudu تجرون ، kanà wasa تلعبون تلعبن

٢ — المستقبل :

يتكون المستقبل من لا صفة الزمن متبوعه باسم الحدث وهو يدل على وقوع الحدث فى المستقبل على النحو التالى .

zan gudu سأجرى ، zan wasa سألعب

المتكلم مع غيره :

zàmu gudu سنجرى ، zàmu wasa سنلعب

الغائب المذكر :

zay gudu سيجرى ، zay wasa سيلعب

الغائبه المؤنثه :

zàta gudu ستجرى ، zàta wasa ستلعب

جمع الغائب والغائبة :

zasa gudu سيجرون سيجرين zàsu wasa

سيلعبون سيلعبن

المخاطب المذكر :

zàka gudu أنت ستجرى ، zàka wasa أنت

ستلعب .

المخاطبة المؤنثة :

zàkı gudu أنت ستجرين zàkı wasa أنت

ستلعبين

جمع المخاطب والمخاطبة :

zàku gudu ستجرون ، ستجرين zàku

wasa ستلعبون ستلعبن .

وهكذا يلاحظ إتفاق اللغة العربية والهوسا فى ظواهر واختلافهما فى ظواهر أخرى ، فمن ظواهر الاتفاق اللواصق الدالة على بعض الضمائر ، فلاصقة المتكلم فى العربية هى الهمزة وهى نفسها لاصقة المتكلم فى الهوسا ، حيث نجد لاصقة المضارع nā تتكون من جزئين الأول هو الهمزة وهو يدل على المتكلم والجزء الثانى هو na وهو يدل على المضارع .

ولاصقة المتكلم وهى munà وهى تتكون من mu وهى لاصقة المتكلمين ويحتمل أنها منقلبة عن النون — وهى بذلك تتفق مع لاصقة المضارع الدالة على المتكلمين فى اللغة العربية فى نحو نلعب .

ولاصقة الغائب وهى yanà وتتكون من جزئين الأول هو ya وهو اللاصقه الداله على الغائب ، وهى نفسها ياء المضارعة بالنسبة للغائب فى اللغة العربية والجزء الثانى هو nā وهو اللاصقة الدالة على الزمن .

ولاصقه الغائبة وهى tanà وتتكون كذلك من جزئين ، الأول اللاصقه ta وهى الدالة على على الغائبة ، وهى نفسها التاء الدالة على الغائبة فى اللغة العربية ، والجزء الثانى هو اللاصقة الدالة على الزمن .

وإذا كانت اللغتان تتفقان فى ضمائر المتكلم والغائب فهما تختلفان بالنسبة للمخاطب ، حيث تستعمل لغة الهوسا الكاف الداله على الخطاب فى اللغة العربية للدلالة على الشخص فى الهوسا ، فتستعمل kanà للدلالة على المخاطب حيث تدل ka على الشخص و nà على الزمن .

وكذلك kına تستعمل للدلالة على المخاطبة حيث تدل kı على المخاطبة nà على الزمن .

و kuna للدلالة على المخاطبين والمخاطبات حيث تدل ku على الأشخاص و na على الزمن .

وهكذا تستعمل لغة الهوسا ضمائر الخطاب العربيه بحركاتها للدلالة على الشخص المخاطب في الزمن الحاضر .

أما المستقبل في لغة الهوسا فتستعمل لاصقة المستقبل العربية وهو السين ولكن بعد أن انقلب الهمس فيها إلى الجهر فصارت زاياً ويايها اللاصقه الداله على الشخص .

فالسين مع الهمزه الدالة على المتكلم في اللغه العربية صارت zan في الهوسا ، حيث يدل الجزء الأول za على المستقبل و n على المتكلم

والسين مع النون الداله على المتكلمين في اللغه العربية صارت zámu حيث يدل المقطع الأول za على المستقبل mn على المتكلمين والمتكلمات

والسين مع الياء الداله على الغائب تحولت إلى zay حيث تدل اللاصقه za على المستقبل والياء على الغائب .

والسين مع التاء الدالة على الغائبة تحولت إلى zàta ، حيث تدل اللاصقة zà على المستقبل ، و ta على الغائبة

وتختلف اللغة العربيه عن الهوسا في ضمائر المخاطب حيث تستعمل الهوسا الزاي المنقلبة عن السين متبوعة بضمائر المخاطب وهي ku في حالة المخاطب ، و ki في حالة المخاطبة ، و ku في حالة المخاطبين والمخاطبات .

وهكذا يلاحظ التشابه الكبير بين اللواصق الداله على المضارع والمستقبل في كل من العربية والهوسا

٢ — صيغة فعّل ·

يكثر إستعمال صيغة فعّل في اللغة العربية في ثماني معان تشارك أفعل في اثنين منها وهي التعديه كقومت زيدا والإزالة كقشرت الفاكهة أي أزلت قشرها وتنفرد بسته وهي

أولا . التكثير في الفعل كجوّل وطوّف أي الكثر الجولان والطوفان ، أو في المفعول كغلّقت الأبواب ، أو في الفاعل كموّتت الإبل .

ثانيا · صيرورة شيء شبه شيء كقوّس زيد ، أي صار شبه القوس

ثالثا : نسبة الشيء إلى أصل الفعل كفسّقت زيدا أو كفرّته نسبة إلى الفسق والكفر .

رابعا · التوجه إلى الشيء كشرّقت وغرّبت أي توجهت إلى الشرق أو الغرب

خامسا · اختصارا حكاية الشيء كهلّل وسبّح لبىّ إذا قال لا إله إلا الله وسبحانه الله ولبيك .

سادسا: قبول الشيء كشفّعت زيدا أي قبلت شفاعته .

والذي يهمنا في هـذا المجال من هذه الإستعمالات الستة الأخيرة هو الإستعمال الأول الذي يفيد التكثير فهذا الإستعمال هو نفسه ما يفيده تضعيف الصوت الثاني في لغة الهوسا في إسم الحدث ليدل على تكرار وقوع الحدث من شخص واحد أو وقوعه في وقت واحد من أكثر من شخص ، ويتم هذا بتضعيف الصوت الأول من إسم الحدث وتكراره بحركته في البداية على النحو التالي[1] :

C V > C V C C V

yà dafa طهى الطعام .

yà daddafa كرر الطهي شخص واحد أو وقع الطهي من أكثر من شخص في وقت واحد.

yà duka ضرب .

yà dadduka كرر الضرب شخص واحد أو وقع الحدث من أكثر من شخص في وقت واحد .

yà raba قسم

yà rarraba قسّم :

٤ - المذكر والمؤنث :

ينقسم الإسم في اللغة العربية من حيث نوعه إلى قسمين مذكر ومؤنث .

والمذكّر كرجل وكتاب وكرسي ولكون المذكر هو الأصل لم يحتج فيه إلى علامة .

والمؤنث نوعان ، حقيقي ، وهو ما دل على ذات حر كفاطمة وهند وجاري وهو ما ليس كذلك كأذن وشمس ومنارة .

وينقسم المؤنث إلى لفظي ، وهو ما وضع لمذكر وفيه علامة من علامات التأنيث كطلحة وزكرياء .

وإلى معنوي وهو ما كان عَلَماً

وليس فيه علامة كريم وهند وزينب .

وإلى لفظي ومعنوي وهو ما كان علَماً لمؤنث وفيه عـلامة كفاطمة وسلمى وعاشوراء .

وللمؤنث علامتان الأولى التاء وتكون ساكنة في الفعل نحو « قامت هند » ومتحركة فيه نحو « هي تقوم » .

وفي الإسم نحو صائمة وظريفة وأصل وضع التاء في الإسم للفرق بين المذكر والمؤنث في الأوصاف المشتقة المشتركة بينهما فلا تدخل في الوصف المختص بالنساء كحائض وحامل أما دخولها على الجامد المشترك معناه بينهما فسماعي كرجل ورجلة وفتى وفتاة ؛

---

(١) C ترمز إلى أي صوت صامت ، V ترمز إلى أي صوت متحرك .

ويستثنى من دخولها فى الوصف المشترك خمسة ألفاظ فلا تدخل فيها وهى ماكان على وزن :

١ — فَعول : بمعنى فاعل كرجل صبور وامرأة صبور ورجل عجوز وامرأة عجور

٢ — فعيل بمعنى مفعول إن تبع موصوفه كرجل جريح وامرأة جريح ، فإن كان بمعنى فاعل أولم يتبع موصوفه لحقته كامرأة رحيمة ، ورأيت قتيلة .

٣ — مِفْعال كمهذار ، وشذ ميتقانة .

٤ — مِفْعيل كمعطير ، وشذ سكينة وقد سمع حذفها على القياس .

٥ — مِفْعل كمِغْشم .

العلامة الثانية : هى الألف وهى نوعان مقصورة وممدوده

١ — ألف التأنيث المقصورة :

تكون الألف المقصوره علامة للتأنيث فى الحالات الآتية .

(أ) مؤنث الصفات التى مذكرها على وزن فعلان . ومؤنثها فَعلى كعطشان عطشى ، وجوعان جوعى .

(ب) مؤنث اسم التفضيل الذى مذكره على وزن أفْعل ومؤنثه فُعْلى كأكبر وكُبرى وأعظم وعُظمى .

(ح) المصادر المنتهية بألف مقصورة مثل دعوى ، نجوى بشرى

(د) الأسماء أو الصفات المنتهيه بألف التأنيث المقصورة بطبيعة تركيبها كأنثى وحُبلى

٢ — ألف التأنيث الممدودة :

تكون الألف الممدودة علامة للتأنيث فى الحالات الآتيه .

(أ) مؤنث الصفات التى مذكرها على وزن أفعل ومؤنثها فعلاء كأحمر حمراء وأعرج عرجاء .

(ب) الأسماء أو الصفات المنتهية بألف التأنيث الممدوده بطبيعة تركيبها مثل صحراء ، حسناء ، عاشوراء .

وهذا كلام موجز عن علامات التأنيث فى اللغة العربيه أوجزته بقدر الحاجه إليه فى هذه الدراسه

أما الأسماء فى لغة الهوسا فتنقسم من حيث التذكير والتأنيث إلى نوعين :

١ — أسماء جذورها مذكرة بطبيعتها وذلك ثابت فيها لاحظته على إختبارها لصفاتها وأشكال أفعالها فى أحاديث المتكلمين وكتابات الكاتبين مثل :

kare كلب
buzu فروة
gari مدينة
zomo أرنب

٢ ـ أسماء حدودها مؤنثة بطبيعتها وهى أنواع :

(أ) أسماء المدن والأنهار مثل :

kano مدينة كانو

kwara نهر كوارا

(ب) أسماء الأعداد كلها .

(ح) ظروف الزمان ما عدا كلمة wata شهر .

(د) الجهات الأربعة الأصلية .

kudu الجنوب

àrewa الشمال

gabas الشرق

yamma الغرب

(هـ) الأسماء المنتهيه بعلامه التأنيث[1] وهى الفتحة القصيرة أو الفتحة الطويله ويبدو أن هذه الفتحه كانت يليها التاء كعلامة للتأنيث إلا أنها حذفت وبقيت الفتحة قبلها ، وإذا كانت هذه التاء قد حذفت من الاسم توفيرا للجهد فى النطق فإنها قد بقيت كعلامه للتأنيث فى الأفعال ففى الفعل الماضى يقال tà tafi ذهبت

وفى المضارع يقال tanà zuwa تأتى

وفى المستقبل يقال zàta wasa ستلعب

ولاحقة التانيث ، وهى تودى إلى تحويل الاسم من مذكر إلى مؤنث وذلك بحذف الحركه الأخيره منه وإضافة كسرة قصيرة يليها ياء و فتحة طويلة مثل .

mahayfi والد ، mahayfiya والدة

Kare كلب ، kariya كلبة

وهكذا نلاحظ بعض الإتفاق والإختلاف بين اللغة العربية والهوسا ، فكلتاهما تستعمل التاء كعلامة للتأنيث فى الأسماء والأفعال إلا أنها حذفت فى لغة الهوسا من الأسماء توفيرا للجهد فى النطق ، وبقى الأثر الذى يدل عليها وهو حركة الفتحة السابقه عليها ، وإن كان يشذ عن ذلك بعض الأسماء التى تنتهى بالفتحة ولكنها مذكرة بطبيعتها وهذه الأسماء لا تزيد عن ثمانية وثلاثين إسما

ويمكن القول أن ألف التأنيث المقصورة التى تميز المؤنث فى اللغة العربية هى نفسها التى تميز المؤنث فى لغه الهوسا إلا أن الألف العربية تحولت إلى فتحة قصيرة فى الهوسا

كما أن فى كل من اللغتين أسماء مذكره بطبيعتها وتنتهى بأداة التأنيث ، ففى اللغه العربية نجد الأسماء معاوية وطلحه وحذيفه تنتهى بتاء التأنيث ، وكذلك زكرياء وأصدقاء تنتهى بألف التأنيث الممدوده ، ومع ذلك فهى مذكرة بطبيعتها .

وكذلك نجد فى الهوسا أسماء تنتهى بالفتحة وهى علامة التأنيث ومع ذلك فهى مذكره بطبيعتها مثل :

dà ابن

uba أب

sa ثور .

zakara ديك .

وتختلف اللغة العربيه عن الهوسا فى وجود ألف التأنيث الممدودة فى الأولى وعدم وجودها فى الثانيه .

(١) توجد ٣٨ اسم فى الهوسا تنتهى بالفتحة القصيرة أو الطويلة وتعتبر مذكرا .

٥ — اسم الفاعل :

اسم الفاعل هو اسم مشتق للدلالة على من وقع منه الفعل أو تعلق به ، ويشتق فى اللغة العربية من الفعل الثلاثى على وزن فاعل غالباً فيكون من شرب شارب ، ومن ضرب ضارب ، ومن أكل آكل ، ومن غير الثلاثى على زنة مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر فيكون من دحرج مدحرج ، ومن قاتل مقاتل ، ومن نازع منازع .

ويشتق فى لغة الهوسا من إسم الحدث بإضافة ميم مفتوحة إلى أوله ، وقلب الحركة الأخيرة إلى كسرة طويلة فى حالة المفرد وكسرة قصيرة وياء وفتحة طويلة iya فى حالة المفردة وفتحة طويلة فى حالة الجمع بنوعيه على النحو التالى :

المفرد ma + un + i

المفردة ma + un + iyà

الجمع بنوعيه ma + un + à

فيقال fada القول

قائل ma fadı ، قائلة mafadıyà

قائلون ، قائلات mafadà

المنع hana

مانع mahanı ، مانعة mahaniyà

مانعون ، مانعات mahana

خياطة dınka

خياط madınkı ، خياطة madınkıya

خياطون ، خياطات madınkà

الربط daura

الرابط madaurı ، الرابطة madaurıyà

الرابطون ، الرابطات madaura

وهكذا تتفق اسم الفاعل المشتق من غير الثلاثى فى اللغة العربية مع اسم الفاعل فى الهوسا فى أن لاصقة اسم الفاعل فى كليهما هى الميم ، وتقع فى أول الكلمة إلا أنها تكون مضمومة فى العربية ومفتوحة فى الهوسا وأن حركة الكسرة تكون قصيرة فى اللغة العربية وتقع بعد الصوت الصامت قبل الأخير ، وتكون طويلة فى الهوسا وتقع بعد الصوت الصامت الأخير . وتقصر فى حالة المؤنث ويضاف إليها علامة التأنيث وهى ya . وتكون الحركة الأخيرة فى اسم الفاعل فى اللغة العربية الضمة أو الفتحة أو الكسرة حسب موقع الاسم فى الجملة وتكون فى لغة الهوسا ثابتة لا تتغير صورتها .

---

(١) un = اسم الحدث .

٦ ـ اسم المكان :

اسم المكان اسم مشتق للدلالة على مكان وقوع الفعل ، يصاغ فى اللغة العربية من الفعل الثلاثى على وزنين .

(أ) على وزن مَفْعَل بفتح العين

إذا كان الفعل معتل الآخر مثل : مجرى مسعى ، ملهى

إذا كان المضارع مفتوح العين أو مضمومها مثل : ملعب ، مكتب .

(ب) على وزن مَفْعِل بكسر العين

إذا كان صحيح الآخر ومضارعه مكسور العين مثل . مرجع ، منزل .

إذا كان الفعل صحيح الآخر وأوله حرف علة مثل . مورد ، مولد .

ومن الفعل غير الثلاثى على زنة اسم مفعوله مثل

مستودع ، مستشفى ، مستخرج .

ويكون اسم المكان فى لغة الهوسا باضافة ميم مفتوحة إلى أول اسم الحدث وقلب الحركة الأخيرة إلى كسرة طويلة ، أو فتحة طويلة فى حالة الإفراد وفتحة قصيرة وياء ساكنة فى حالة الجمع على النحو التالى :

فى حالة الإفراد ma | vn |-i

أو ma -| vn |- à

فى حالة الجمع بنوعيه ma + vn + ay

sawka النزول

منزل	masawki
منازل	masawkay
الجلوس	zawna
مجلس	mazauni
مجالس	mazawnay
الصعود	hawa
مصعد	mahawa
مصاعد	mahaway
الصباغة	rina
مصبغة	marina
مصابغ	marinay

وتتفق اللغة العربية والهوسا فى أن الميم فى أول اسم المكان كليهما مفتوحة إلا أنهما تختلفان فى الحركة الأخيرة من الاسم ، ففى اللغة العربية تتغير حسب موقع الاسم فى الجملة ، وفى لغة الهوسا ينتهى الاسم بحركة واحدة وهى الكسرة الطويلة أو الفتحة الطويلة فى حالة الإفراد ، والفتحة القصيرة والياء الساكنة فى حالة الجمع

٧ ـ اسم الآلة :

اسم الآلة مصوغ فى اللغة العربية من مصدر الثلاثى لما وقع الفعل بواسطته ، وله ثلاثة أوزان مِفْعَال ، ومِفْعَل ، ومِفْعَلة بكسر الميم فيها نحو

مفعال مثل : مفتاح ومنشار .

ملحوظة : vn = اسم الحدث .

مفعل مثل : مبرد . مفعول .

مفعله مثل : مكنسة ، ومطرقة .

ويصاغ فى لغة الهوسا باضافة ميم مفتوحة إلى أول اسم الحدث بعد قلب الحركة الأخيرة إلى كسرة قصيرة فى حالة الإفراد ، وفتحة قصيرة وياء ساكنة فى حالة الجمع ، وإذا كان الصوت الصامت الأخير فى اسم الحدث ياء قلبت الحركة الأخيرة ضمة قصيرة على النحو التالى .

فى حالة الإفراد ma + vn + ı

فى حالة الجمع ma + vn + ay

أو ma + vn + u

فيقال ketare العبور

معبر maketarı

معابر maketaray

الفتح buḍa

مفتاح mabudı

مفاتيح mabuḍay

الرؤية duba

مرآة madubı

مرايا mudubay

التعليق rataya

علاقة maı atayı

علاقات maratayu

وتتفق اللغة العربية مع الهوسا فى أن لاصقة اسم الآلة هى الميم ، وتقع فى أول الاسم إلا أنها تكون فى اللغة العربية مكسورة وفى الهوسا مفتوحة ، وتتغير الحركة الأخيرة فى اسم الآلة فى اللغة العربية حسب الموقع فى الجملة ، ولكنها تتغير فى لغة الهوسا حسب الإفراد والجمع .

٨ — النسبة .

النسبة فى اللغة العربية هى زيادة ياء مشددة فى آخر الاسم مكسور ما قبلها لتدل على نسبته إلى المجرد منها نحو :

مصرى لتدل بذلك على نسبته إلى مصر

وطنى نسبة إلى وطن

علمى نسبة إلى علم وهكذا .

وتسمى الياء المشددة ياء النسب والاسم المتصل بها منسوباً ، والاسم قبل إتصاله بها منسوبا إليه . ولا يهمنا فى هذا المجال أقسام الأسماء المنسوب إليها فى اللغة العربية بقدر ما يهمنا وجود الياء المشددة فى آخر الاسم المنسوب إليه .

ويتم النسب فى لغة الهوسا باضافة باء مفتوحة إلى أول الاسم المنسوب إليه ، وحذف الحركة الأخيرة وإضافة حركة الكسرة الممالة / e / أو الكسرة الطويلة / ı / فى حالة المفرد المذكر ، والفتحة الطويلة/ à / أو الكسرة القصيرة وياء وفتحة طويلة فى حالة المفردة المؤنثة أما فى حالة الجمع فيكتفى بقلب الحركة الأخيرة من الاسم المنسوب

إليه إلى فتحه طويلة يليها واو وفتحة طويلة على النحو التالى

فى حالة المذكر[1]	ba + n + e
أو	ba + n + ı
فى حالة المؤنث	ba + n + ıyà
أو	ba + n + à
فى حالة الجمع بنوعيه	n + àwà

الأمثلة :

kazawıe مدينة كزورى

bakazawre كزورى

bakazawrıyà كزورية

kazawrāwà كزوريون كزوريات

Larab عرب

balarabe عربى

balaıabiyà عربية

larabàwf عرب أو عربيات

fada القصر

bafadı رجل من رجال قصر الأمير

bafadiyà امرأة من نساء قصر الأمير

fadàwà رجال أو نساء من قصر الأمير

gwarı اسم قبيلة

bagwarı جوارى

bagwarıyà جوارية

gwaràwà جواريون أو جواريات

ويلاحظ أن اللغة العربية تتفق مع الهوسا فى ياء النسب إلا أنها فى اللغة العربية تكون ياء مشددة وفى الهوسا صوت لين أو كسرة ممالة وقد يكون الميل إلى السهولة فى النطق حول الياء المشددة إلى صوت لين .

وتختلف الهوسا عن العربية فى وجود الباء المفتوحة فى صدر الاسم المنسوب إليه فى حالة الإفراد واختلاف لاصقة الجمع بنوعيه

٩ — الضمائر

تتشابه اللغة العربية والهوسا فى بعض الضمائر وتختلف فى بعضها الآخر ، فهى تختلف فى ضمائر الغائب ، وتتشابه فى بعض الحالات مع ضمائر المخاطب والمتكلم .

فياء المتكلم فى اللغة العربية المتصلة بنون الوقاية فى نحو قولنا ، « ضربنى » تشبه ضمير المتكلم المتصل والمنفصل فى لغة الهوسا فى حالة الفاعل يقال :

nı zan tafı أنا سأذهب

ni' ınā zuwa أنا قادم .

وفى حالة المفعول يقال :

yà buge ni ضربنى

(١) الاسم المنسوب إليه .

ساعدتنى tà taymake nı

وفى حالة الجر يقال

قال لى yà gaya minı

والضمير « نا » الدال على المتكلمين فى اللغة العربية فى حالة النصب فى نحو قولنا « ضربنا » والمستعملة فى حالة الإضافة فى نحو قولنا « رئيسنا » تستعمل للدلالة على المتكلم فى لغة الهوسا فى حالة الإضافة فيقال

أبى ubànà أب uba

كتابى lıttafına كتاب lıttafi

وتستعمل للدلالة على ضمير المتكلمين فى حالة الجر بلام الجر / ma / فيقال .

قال لى yà gaya mını .

وتتشابه اللغة العربية والهوسا فى استعمال كاف الخطاب ، ولكن الهوسا توسعت فى استعمالها فاستعملتها للدلالة على الشخص فى لاصقة الزمن ، وكضمير لفاعل والمفعول وضمير يلى حروف الجر ، وفى حالة الإضافة على النحو التالى

١ — استعمال كاف الخطاب فى لاصقة الزمن .

(ا) المضارع .

أنت تجرى kanà gudu

أنت تجرين kınà gudu

أنتم تجرون أو أنتن تجرين kunà gudu

(ب) الماضى :

جريت « أنت » à gudu

جريت (أنت) kın gudu

جريتم أو جريتن kun gudu

(ح) المستقبل

ستجرى zaka gudu

ستجرين zàkı gudu

ستجرون أو ستجرين zàku gudu

٢ — كضمير فاعل .

أنت ستجرى kay zāka gudu

أنت ستجرين ke zākı gudu

أنتم ستجرون أو أنتن ستجرين ku zāku gudu

٣ — فى حالة المفعول .

ضربك yà buge ka

ضربك yà buge kı

ضربكم أو ضربكن yà buge ku

٤ — مسبوقة بحرف جر .

لك maka عندك gare ka

لك mıkı عندك gare kı

لكم ، لكُنّ muku عندكم أو عندكن gaıe ku

٥ — فى موقع المضاف اليه بعد ربطه بالرابطه n

كتاب lıttafi

lıttafinka	كتابك .
lıttafinkı	كتابك
lıttafinku	كتابكم أو كتابكن

١٠ — الأدوات :

تتفق اللغة العربية والهوسا فى استعمال الكثير من الأدوات مثل الشرط ، الاستفهام ، والقسم ، والنداء والاستدراك ، والإشارة والاستثناء

١ — الشرط ·

تستعمل فى لغة الهوسا أداة الشرط ın وهى نفسها المستعملة فى اللغة العربية فيقال

ın Saıkı yanà so ، ya ganı

إن أراد الأمير ، يرى .

ına so ، ın ka yarda.

أريد ، إن وافقت

٢ — الاستفهام .

للسؤال عن الشئ تستعمل أداة الاستفهام me وهى نفسها كلمة «ما» المستعملة فى اللغة العربية إلا أن الهوسا استعملت الكسرة الممالة بدلا من الفتحة فيقال :

mè kake so ?

ماذا تريد ؟

me zàka yı da kyanwan nan ?

ماذا ستفعل بهذه القطة ؟

وتسبقها أداة التعليل don للسؤال عن السبب فتصير don me لم أو لماذا .

don me ka ce ، ba ka son labarın nan ?

لم قلت ، أنك لا تريد هذه القصة ؟

وللسؤال عن المكان تستعمل الهوسا كلمة ına أين وهى نفسها الكلمة العربية مع تغير الحركات فيقال :

'ına ka gangamu da wannan yarınya ?

أين التقيت بهذه الفتاة ؟

daga 'ına ka fito ?

من أين جئت ؟

٣ — القسم

يستعمل للقسم فى لغة الهوسا لفظ الجلالة مسبوقا بالتاء أو الواو وهو نفس الاستعمال فى العربية فيقال .

tallahı	تالله
wallahı	والله

٤ — النداء .

كما تستعمل الهوسا كذلك ياء النداء المستعملة فى اللغة العربية وهى تأتى غالبا للتوسل إلى الله فيقال .

ya Allah Ka yı mana gafara

يا الله اغفر لنا

ya allah ka kyashe mu daga shaırın mace

يا الله احفظنا من شر النساء .

ya rabbı ka dawwami sarıkmmu.

يارب احفظ أميرنا .

٥ـ الاستدراك .

تستعمل كلمة « أمّا » فى اللغة العربية للدلالة على الاستدراك وتجدها نفس الاستعمال فى لغة الهوسا فيقال

ka hana zalunci 'amma ba su barı ba

منعت الطعام ، أما هم فلم يتركوه

zan bıya. 'amma ka yı mını ajalı watannı

سأدفع ولكن أجل لى الدفع — عدة أشهر

٦ ـ الاشارة ·

تستعمل كلمة haka للدلالة على الإشارة فى لغة الهوسا ، وهى نفس المقطع الذى يستعمل للتشبيه فى اللغة العربيه فى قولنا هكذا » يقال :

haka allah ya kaddara

هكذا قدر الله

matarsa tana fama da shı a l an haka

روجته تعانى معه من دلك .

da ma 'ına shakkaı haka.

لقد كنت أشك فى ذاك .

٧ ـ الاستثناء

تستعمل أداة الاستثناء « إلا » لنفس الغرض فى لغة الهوسا وتسبقها عادة أداة النفى ba فيقال

ba 'abın da ya fi kı 'ılla 'a yı masa 'abıncı 'ya cı shı kadaı

لاشئ يكره إلا أن يعمل له الطعام — فيأكله وحده .

ba 'abın da nake so 'ılla 'ın samu shga masallaeı.

لا شئ أريده إلا أن أجد وسيلة لدخول المصلى .

ba 'abin da Ke ransa 'ılla ya samı Kudı

لا شئ فى نفسه إلا العثور على المال .

١١ ـ الأعداد .

تتفق لغة الهوسا مع اللغة العربية فى أسماء العقود من عشرين إلى تسعين وتأتى دائمة فى حاله النصب فيقال :

عشرون	'ashirın
ثلاثون	talatın
أربعون	arba'ın
خمسون	hamsın
ستون	sıttin
سبعون	saba'ın
ثمانون	tamanın
تسعون	tasa'in أو casa'ın

ويتم ربط الآحاد بالعشرات بوضع حرف العطف da بينهما فيقال .

واحد وعشرون	'ashırın da daya
اثنان وثلاثون	talatin da bıyu

(*) ربما كان الأوضح هو أن ها فى العربية اسم إشارة أصيل غير مخصص بالبعيد المحرير

ثلاثوثة وأربعون 'arba'ın da 'uku

أما الأعداد من مائة إلى تسعمائة فتستعمل كلمة dari مائة ويليها الآحاد ما عدا مائتين وأربعمائة فيقال :

مائة	darı
ثلاثمائة	dari 'uku
خمسمائة	ḍari bıyar
ستمائة	ḍari shıda
سبعمائة	daır bakwaı
ثمانمائة	durı takwas
تسعمائة	darıa tara
ألف	dubu

أما بالنسبة لمائتين وأربعمائة فتستعمل الكلمات العربية فيقال :

مائتان	metan
أربعمائة	'arbaminya

ويسبق العدد المعدود ، وقد يأتي التمييز مفردا أو جمعاً بتغير غير مشروط فيقال :

shekaru 'uku أو shekara 'uku

ثلاثة أعوام (عام shekara، أعوام shekaru)

yaro goma أو yara goma

عشره أولاد (ولد yaıo أولاد yaıa)

ويبدو أن الأسماء العربية للأعداد كانت قديما أكثر استعمالا مما هي عليه الآن فيذكر أبرهام في معجمه Dictionary of Husa Language لبعض الأعداد المئويه التي يطلق عليها أسماء الآحاد العربية مثل

تلاثمائة	talata
ستمائة	sitta
سبعمائه	saba'a
ثمانمائة	tamanya

كما أنه يذكر أمثلة يستعمل فيها واو العطف العربيا لربط الآلاف بالمئات فيقول

ألف ومائة	'alıf wa mınıya
ألف ومائتان	'alıf wa metan
ألف وأربعمائه	'alıf wa 'arbamınya
ألف خمسمائة	'alıf wa hamsamınya

وتستعمل الكسور العربية وخاصة بين بين المثقفين ثقافة عربية مثل

نصف	nusufi
ربع	rubu'ı
سدس	sudusı
سبع	subu'ı
ثمن	sumunı
عشر	'ushıra

وإن كان أبرهام يعتبرها من الكلمات البائدة

مصطفى حجازى السيد حجازى
استاذ لغة الهوسا وآدابها
معهد البحوث والدراسات الأفريقية

ظاهرة دخول حروف الجر بعضها مكان بعض

عرض - تحليل - نتائج

(الجزء الثاني)

للدكتور حسين شرف

« اللام »[1]

اللام الجارة تدل أصلا على الملك[2] مثل : الكتاب لخالد ، والسيارة لعمرو ، وجعل بعضهم أصل معانيها الاختصاص[3] مثل : الجنة للمؤمنين ، وجعل بعضهم الاستحقاق معناها الذى لايفارقها مثل « النار للكافرين » وواقع استعمالها فى العربية يبين أنها من حروف الجر التى كثرت معانيها .

ومما قيل فيه بدخول « اللام » مكان حرف آخر من حروف الجر

(أ) دخول « اللام » مكان « إلى »[4]

١٣٧ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : « رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ »[5] .

أى : « إِلَى الإِيمَانِ » .

١٣٨ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ .

« وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ »[6] .

أى . « إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ » .

١٣٩ ـ وقال الله ـ جَلَّ ثناؤه ـ

« إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ »[7]

أى . « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ إِلَى الَّذِي » .

١٤٠ ـ وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

« وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا »[8]

أى . « هَدَانَا إِلَى هَذَا »

١٤١ ـ وقال الله ـ جل وعلا ـ : « حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ »[9]

أى : « سُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ » .

---

(١) سيبويه ٤ / ٢١٧ ـ معانى القرآن ١ / ٢١٢ ـ ٢١٣ ـ تأويل مشكل القرآن ٥٦٩ ـ المقتضب ١ / ١٧٧ ـ معانى الحروف ٥٥ ، ٥٦ ـ شرح المفصل لابن يعيش ٨/٢٥،٢٦ شرح الرضى على الكافية ٢/٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ـ الجنى الدانى ١٤٣ ـ المغنى ١ / ١٧٥ الهمع ٤ / ٢٠٠

(٢) سيبويه ٤ ـ ٢١٧ ، المقتضب ١ / ١٧٧

(٣) شرح المفصل ٨ / ٢٥

(٤) تهذيب اللغة ١٥ / ٤١٣ ـ الأزهية ٢٨٧ ـ المخصص ١٤ / ٦٨ ـ أمالى الشجرى ٢ / ٢٧١ الرضى ٢ ـ ٣٢٩ ـ البرهان ٤ / ٣٤٠ ـ الجنى الدانى ١٤٥ ـ المغنى ١ / ١٧٧ ـ الهمع ٤ / ٢٠٢ ـ الإتقان ١/٢٢٢

(٥) من الآية ١٩٣ سورة آل عمران

(٦) من الآية ٢٨ سورة الأنعام

(٧) من الآية ٧٩ سورة الأنعام

(٨) من الآية ٤٣ سورة الأعراف

(٩) من الآية ٥٧ سورة الأعراف

١٤٢ – وقال الله – عز وجل – . « قُلِ اللهُ يَهدِى لِلحَقِّ أفَمَن يَهدِى إلَى الحَقِّ أحَقُّ أن يُتَّبَعَ . »(١)

أى . « قُلِ اللهُ يَهدِى إلَى الحَقِّ » .

١٤٣ – وقال الله – تبارك وتعالى – « وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجرِى لِأجَلٍ مُسَمًّى »(٢) .

أى : « يجرى إلَى أجل » .

١٤٤ – وقال الله – جل وعز – . « أُولَئِكَ يُسَارِعونَ فِى الخَيراتِ وَهُم لَهَا سَابِقُونَ »(٣) .

أى : « وَهُم إلَيهَا سابقونَ » .

١٤٥ – وقال الله – سبحانه وتعالى – . « وَالشَّمسُ تَجرِى لِمُستَقَرٍّ لَهَا »(٤) .

أى « إلى مستقر »

١٤٦ – وقال الله – جل ثناؤه – « فَلِذَلِكَ فَادعُ وَاستَقِم كَمَا أُمِرتَ »(٥)

أى : « فإلى ذلك . . . »

١٤٧ – وقال الله – تبارك وتعالى – : « بِأنَّ رَبَّكَ أوحَى لَهَا »(٦) .

أى . « أوحى إليها » .

١٤٨ – وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . « سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَه »(٧)

أى . « استمع إلى من حمده » .

(ب) دخول « اللام » مكان « على »(٨) .

١٤٩ – قال الله – عز وجل – . « ذَلِكَ لِمَن لَّم يَكُن أهلُهُ حَاضِرِى المَسجِدِ الحَرَام »(٩) .

---

(١) من الآية ٣٥ سورة يونس

(٢) من الآية ٢ سورة الرعد – ١٣ سورة فاطر – ٥ سورة الزمر .

(٣) المؤمنون آية ٦١ .

(٤) من الآية ٣٨ سورة يس .

(٥) من الآية ١٥ سورة الشورى .

(٦) الزلزلة آية ٥

(٧) صحيح البخارى كتاب الأذان باب متى سجد من خلف الإمام ١ – ١٧٢ – صحيح مسلم كتاب الصلاة باب متابعة الإمام والعمل بعده الحديث ١٩٩ ج ١ / ٣٤٥ – سنن أبى داود كتاب الصلاة باب الإمام يصلى من قعود الحديث ٦٠١ ح – ١ / ٤٠١ مسند أحمد ١/ ٦٥ ، ١٠٢ ، ٢٧٠

(٨) تأويل مشكل القرآن ٥٦٩ – الأزهية ٢٨٧ – المخصص ١٤ / ٦٦ – أمالى الشجرى ٢ / ٢٧٢ – الرضى ٢ / ٣٢٩ – البرهان ٤ / ٣٤١ – الجنى الدانى ١٤٦ – المغنى ١ / ١٧٧ الهمع ٤ / ٢١٢ – الإتقان ١ / ٢٢٢

(٩) من الآية ١٩٦ سورة البقرة .

أى « ذلك على من لم يكن » .

١٥٠ – وقال الله – تبارك وتعالى – :
« وَإِذَا مَسَّ الإِنسانَ الضُّرُّ دَعانَا لِجَنبِهِ »[1]

أى : « دَعانَا عَلَى جنبه »

١٥١ – وقال الله – سبحانه وتعالى –
« أُولَئِكَ لَهُم اللَّعْنَةُ وَلَهُم سُوءِ الدَّار »[2]

أى · « أُولئك عَلَيهم اللعنة »

١٥٢ – وقال الله جل وعلا – « إِنْ أَحسَنْتُم أَحسَنْتُم لأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُم فَلَهَا »[3]

أى : « وإن أسأتم فعليها »

١٥٣ – وقال الله – سبحانه وتعالى –
« إِذَا يُتلَى عَلَيهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذقانِ سُجَّدًا »[4]

أى « يخرون على الأذقان »

١٥٤ – وقال الله – جل ثناؤه –
« ويَخِرُّونَ لِلأَذقان يَبكُونَ وَيَزِيدُهُم خُشوعاً »[5] .

أى « ويخرون على الأذقان » .

١٥٥ – وقال الله – جل وعلا –
« فَلَمَّا أَسلَمَا وَتَلَّهُ لِلجَبِينِ »[6]

أى · « على الجبين » .

١٥٦ – وقال الله – عز وجل – : « يَوم لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُم وَلَهُم اللَّعنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار »[7] .

أى · « وعليهم اللعنة »

١٥٧ – وقال الله – سبحانه وتعالى .
« وَلَا تَجهَرُوا لَهُ بالقَول كَجَهر بَعضِكُم لِبَعضٍ »[8] .

أى : « لا تجهروا عليه . . » .

---

(١) من الآية ١٢ سورة يونس
(٢) من الآية ٢٥ سورة الرعد
(٣) من الآية ٧ سورة الإسراء .
(٤) من الآية ١٠٧ سورة الإسراء .
(٥) الإسراء آية ١٠٩
(٦) الصافات آية ١٠٣
(٧) من الآية ٥٢ سورة غافر .
(٨) من الآية ٢ سورة الحجرات .

١٥٨ ـ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعائشة ـ رضى الله عنها : « اشْتَرطى لَهُم الوَلَاءَ »[1].

أى : « عليهم » .

١٥٩ ـ وقال « الأَشعث بن قيس الكندى وينسب لغيره .

تَناوَلتُ بالرُّمحِ الطَّويلِ ثِيابهُ
فخرَّ صَريعًا لِليَدَين وَلِلفمِ[2]

أى . « على اليدين وعلى الفم »

١٦٠ ـ وقال الآخر :

كَأن مُخَوَّاها عَلَى ثَفِناتِهَا
مُعَرَّسُ خَمسٍ وَقَّعتْ لِلجَناجِنِ[3]

أى : « وقَّعت على الجناجن الثفنات . ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ واحدتها ثفنة ، والجناجن : عظام الصدر ، وقيل أطراف الأضلاع مما يلى الصدر ، واحدها جَنجَن وجِنْجِنَة ؛

وحُكِيَ عن العرب ؛

١٦١ ـ « سقط لوجهه »

ويريدون : على وجهه[4] »

١٦٢ ـ « سقط فلان لفيه »

ويريدون : على فيه[5] »

(ح) دخول « اللام » مكان « عن »[6]

١٦٣ ـ قال الله ـ عز وجل ـ « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَو كانَ خَيرًا ما سَبَقُونا إِلَيهِ »[7] .

أى : عن الذين آمنوا » :

١٦٤ ـ وقال الشاعر :

كَضَرائرِ الحَسناءِ قُلنَ لِوَجهِهَا
حَسدًا وَبُغضًا إِنَّهُ لَدَمِيمُ[8]

أى : « قلن عن وجهها » .

(١) صحيح البخارى كتاب المكاتب باب استعانة المكاتب ٣ / ١٢٧ ـ صحيح مسلم كتاب العتق باب إنما الولا لمن أعتق، الحديث ١٥٠٤ ج ٢ / ١١٤٣ ـ تنوير الحوالك على موطأ مالك كتاب العتق باب مصير الولاء لمن أعتق ٣-٨

(٢) الأزهية ٢٨٨ ـ المخصص ١٤ / ٦٦ ـ أمالى الشجرى ٢ / ٢٧١ ـ المغنى ١ / ١٧٧

(٣) المخصص ١٤ / ٦٦ .

(٤) الأزهية ٢٨٧ ـ أمالى الشجرى ٢ / ٢٧١ .

(٥) تأويل مشكل القرآن ٥٦٩ .

(٦) الرضى على الكافية ٢ / ٣٢٩ ـ البرهان ٤ / ٣٤٢ ـ الجنى الدانى ١٤٦ ـ المغنى ١ / ١٧٨ ـ الهمع ٤ / ٢٠٣ ـ الإتقان ١ / ٢٢٢ .

(٧) من الآية ١١ سورة الأحقاف

(٨) الجنى الدانى ١٤٦ ـ المغنى ١ / ١٧٩ ـ الهمع ٤ / ٢٠٤ ـ وقال محقق الهمع « نسب لأبى الأسود الدؤلى ـ ديوانه ٢٣٢

(د) دخول «اللام» مكان «فى»[1] :

١٦٥ ـ قال الله ـ جل وعلا ـ : «رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ»[2]

أى : «فى يوم».

١٦٦ ـ وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : «فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ»[3].

أى : «إذا جمعناهم فى يوم . . .».

١٦٧ ـ وقال الله ـ جل وعلا ـ : «قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ»[4].

أى : «لا يجليها فى وقتها إلا هو».

١٦٨ ـ وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً»[5].

أى . «فى يوم القيامة . . .».

١٦٩ ـ وقال الله ـ عزوجلّ ـ : «هُوَ الَّذِى أَخرجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتَابِ مِن دِيَارِهِم لِأَوَّلِ الْحَشْرِ»[6]

أى «فى أول الحشر».

١٧٠ ـ وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : «يَقُولُ يَالَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى»[7].

أى : «فى حياتى الدنيا».

وحُكى عن العرب .

---

(١) معانى القرآن ١/ ٢٠٢ ـ الصاحبى ١٤٨ ـ الأزهية ٢٨٨ ـ أمالى الشجرى ٢/ ٢٧٢ ـ الرضى على الكافية ٢/ ٣٢٩ ـ البرهان ٤/ ٢٤١ ، ٢٤٢ ـ الجنى الدانى ١٤٥ ـ المغنى ١/ ١٧٨ ـ الهمع ٤/ ٢٠٣ ـ الإتقان ١/ ٢٢٢.

(٢) من الآية ٩٥ سورة آل عمران.

(٣) من الآية ٢٥ سورة آل عمران.

(٤) من الآية ١٨٧ سورة الأعراف.

(٥) من الآية ٤٧ سورة الأنبياء

(٦) من الآية ٢ سورة الحشر.

(٧) الفجر آية ٢٤

١٧١ ـ « مضى لسبيله »

يريدون : « فى سبيله »[١].

ـ دخول « اللام » مكان « من »[٢]

١٧٢ ـ قال « جرير بن عطية الخطفى »

لَنَا الفَضْلُ فى الدنْيَا وَأَنفُكَ رَاغِمٌ
وَنَحنُ لَكُم يَومَ القِيامَةِ أَفضَلُ[٣]

أى . « ونحن أفضل منكم يوم القيامة »

وحُكِى عنهم :

١٧٣ ـ « سمعت لزيد صياحاً ».

يريدون : من زيد صياحاً »[٤]

---

(١) المغنى ١ / ١٧٨

(٢) الأزهية ٢٨٨ ـ منهج السالك ٢٤٥ ـ الجنى الدانى ١٤٧ ـ المغنى ١ ١٧٨ ـ الهمع ٤ / ٢٠٣

(٣) الجنى الدانى ١٤٨ ـ المغنى ١ / ١٧٨ ـ الهمع ٤ / ٢٥٣ ـ الديوان ٤٥٧ ط القاهرة ـ ١٣٥٣ هـ.

(٤) الأزهية ٢٨٨ ـ المغنى ١ / ١٧٨ ـ الهمع ٤ / ٢٠٣ وفى الأخيرين : « سمعت له صراخاً » .

« من »[1]

من الجارة حرف يدل أصلا على ابتداء الغاية مكانية باتفاق مثل قول الله – جل وعلا – سبحانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى »[2] وزمانية – على الأرجح – مثل قول الله – عز وجل – لا تَقُمْ فِيه أبدًا لَمَسجدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقوَى مِن أولِ يَومٍ أَحقُّ أَن تَقومَ فِيه »[3] ومايُنزَّلُ منزلة ابتداء الغاية مثل قوله – صلى الله عليه وسلم – : من « محمد » عبد الله ورسوله إلى « هرقل » عظيم الروم[4] .

ومما يتبادر من معانى « من » بغير تناوب : التبعيض « مثل قول الله » – تبارك وتعالى – : « لَن تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون »[5] . و « تبيين الجنس » مثل قول الله – عز وجل – : .

« فَاجتَنِبُوا الرِّجسَ مِنَ الأَوثَانِ »[6]

والبعض يرجع كل معانيها إلى الابتداء كما هو معلوم.

ومما قيل فيه بدخول « من » مكان حرف آخر من حروف الجر

(أ) دخول « من » مكان « إلى »[7] :

١٧٤ – قال « الأعشى » .

أَأَزمَعْتَ من آلِ لَيلى ابتِكارَا
وَشَطَّتْ عَلَى ذِى نَوًى أَن تزَارا ؟[8]

أى : أأزمعت إلى آل ليلى » .

---

(١) سيبويه ٤/٢٢٤ – المقتضب ١ / ١٨٢ – ٤ / ١٣٦ – معانى الحروف ٩٧ – شرح ابن يعيش على المفصل ٨ / ١٠ ١٤ – شرح الرضى على الكافية ٢ / ٣٢٠ ٣٢٢ – الجنى الدانى ٣١٤ – المغنى ٢ / ١٤ ١٨ – الهمع ٤ / ٢١١ : ٢٢١ .

(٢) من الآية ١ سورة الإسراء .

(٣) من الآية ١٠٨ سورة التوبة .

(٤) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى باب ٦ حدثنا أبو اليمان ١ – ٦ وانظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ١٠٩ لمحمد حميد الله ط بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

(٥) من الآية ٩٢ سورة آل عمران .

(٦) من الآية ٣٠ سورة الحج

(٧) سيبويه ٤ / ٢٢٥ – معانى الحروف ٩٨ – وعزاه إلى الإصمعى – ابن يعيش ٨ / ١٣ – الجنى الدانى ٣١٧ – المغنى ٢ / ١٦ – الهمع ٤ / ٢١٤ .

(٨) معانى الحروف ٩٧ – اللسان « زمع » التاج « زمع » .

١٧٥ – وتقول : رأيته من ذلك الموضع . فجعلته غاية رؤيتك[١] .

(ب) دخول « من » مكان « الباء »[٢] .

١٧٦ – قال الله – سبحانه وتعالى – :
« لَهُ مُعَقِّباتٌ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ يَحفَظُونَهُ مِن أَمرِ اللَّهِ »[٣] .

أى . « يحفظونه بأمر الله » .

١٧٧ – وقال الله – عز وجل – . « يُلقِى الرُّوحَ مِن أَمرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبادِهِ »[٤]

أى . « يلقى الروح بأمره » .

١٧٨ – وقال الله – تبارك وتعالى –
« وَتَراهُم يُعرَضُونَ عَلَيهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرفٍ خَفِىٍّ »[٥]

أى : « ينظرون بطرف خفى » .

١٧٩ – وقال الله – جل وعلا – : « تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذنِ رَبِّهِم مِن كُلِّ أَمرٍ »[٦] .

أى : « بكل أمر » .

(ح) دخول « من » المكفوفة بما « مكان » « ربما »[٧] .

١٨٠ – قال الفرزدق همام بن غالب » :

وَإِنَّا لَمِمَّا نَضرِبُ الكَبشَ ضَربَةً
عَلَى رَأسِه وَالحَربُ قَدلَاحَ نارُهَا[٨]

أى « وإنا لربما نضرب »

١٨١ – وقال « أبو حية النميرى » .

وإِنَّا لَمِمَّا نَضرِبُ الكَبشَ ضَربَةً
عَلَى رَأسِهِ تُلقِى السنانَ مِن الفَمِ[٩]

أى . « وإنا لربما نضرب » .

---

(١) سيبويه ٤ / ٢٢٥ – الجنى الدانى ٣١٧ – المغنى ٢ / ١٦ – الهمع ٤ / ٢١٤

(٢) معانى القرآن ٢ / ٦٠ – تأويل مشكل القرآن ٥٧٤ – المقتضب ٢ / ٣١٨ – معانى الحروف ٩٨ – الأزهية ٢٨٢ – أمالى الشجرى ٢ / ٢٧٠ – البرهان ٤ / ٤٢٠ – الجنى الدانى ٣١٨ – المغنى ٢ / ١٦ – الهمع ٤/٢١٤

(٣) من الآية ١١ سورة الرعد

(٤) من الآية ١٥ سورة غافر .

(٥) من الآية ٤٥ سورة الشورى .

(٦) سورة القدر آية ٤

(٧) سيبويه ٣ / ١٥٦ – المقتضب ٤ / ١٧٤ – أمالى الشجرى ٢ / ٢٤٤ – الهمع ٤ / ٢١٥ وعزاه صاحب الهمع للسيرافى ، وابن خروف ، وابن طاهر ، والأعلم

(٨) الديوان ١ / ٣٤٨ ط بيروت ، ونقله شيخى المرحوم محمد عبد الخالق عضيمة عن الخزانة ٤ / ٢٨٢ ، هامش المقتضب ٤ – ١٧٤

(٩) سيبويه ١ / ١٥٦ – المقتضب ٤ / ١٧٤ – أمالى الشجرى ٢ / ٢٤٤ – مغنى اللبيب ٢ / ١٠ – الهمع ٤ / ٢١٥ .

ويقال :

١٨٢ – « إسى مما أفعل » على معنى « ربما أفعل »[١] .

(د) دخول « من » مكان « على »[٢] :

١٨٣ – قال الله – جل وعلا – . « وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ »[٣] .

أى : « نصرناه على القوم » .

(هـ) دخول « من » مكان « عن »[٤] :

١٨٤ – قال الله – عز وجل – . « مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ »[٥] .

أى : « عن الطيب » .

١٨٥ – وقال الله – تبارك وتعالى – : « يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ »[٦] .

أى : « فى غفلة عن هذا » .

١٨٦ – وقال الله – جل وعلا – « فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »[٧] .

أى . « عن ذكر الله » .

١٨٧ – وقال الله – سبحانه وتعالى – : « الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ »[٨] .

أى . « أطعمهم عن جوع »

ويقال .

١٨٨ – أطعمه من جوع ، وكساه من عرى ، وسقاه من العَيْمة .

---

(١) المصادر السابقة هـ ٩ ص ١٤٣

(٢) تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ – الصاحبى ١٨٢ – فقه اللغة للثعالبى ٢٣٧ – الأزهية ٢٨٢ – البرهان ٤ / ٤٢٠ الجنى الدانى ٣١٨ – أمالى الشجرى ٢ / ٢٧٠ – المغنى ٢ / ١٦ – الهمع ٤ / ٤١٤ – الإتقان ١ / ٢٣٠ .

(٣) من الآية ٧٧ سورة الأنبياء

(٤) سيبويه ٤ / ٢٢٧ – العريب المصنف ٢٣١ – أ – تأويل مشكل القرآن ٥٧٨ – تهذيب اللغة ٣ – ٢١٦ – معانى الحروف ٩٨ – الأزهية ٢٧٨ – المخصص ١٤ / ٦٥ – البرهان ٤ / ٤٢٠ – الجنى الدانى ٣١٦ – المغنى ٢ / ١٦ الهمع ٤ – ٢١٤ – الإتقان ١ / ٢٣٠ .

(٥) من الآية ١٧٩ سورة آل عمران

(٦) من الآية ٩٧ سورة الأنبياء .

(٧) من الآية ٢٢ سورة الزمر

(٨) سورة قريش آية ٤ .

يريد . عن جوع »[1]

١٨٩ – حدثني فلان من فلان

يريد . « عن فلان »[2]

١٩٠ – « رميت من القوس »

يريد : « عن القوس »[3] .

١٩١ – « لهيت من فلان » .

يريد : عن فلان[4]

١٩٢ – « أخذته منكم » .

يريد . « عنكم »[5]

(و) دخول « من » مكان « في »[6] .

١٩٣ – قال الله – عز وجل – « قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض »[7]

أي « ماذا خلقوا في الأرض »

١٩٤ – وقال الله – تبارك وتعالى – « يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة »[8]

أي نودي للصلاة في يوم الجمعة »

(ز) دخول « من » مكان « اللام »[9]

١٩٥ – قال الله – عز وجل – « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت »[10]

أي : « لأجل الصواعق » .

١٩٦ – وقال الله – تبارك وتعالى – : « وإن منها لما يهبط من خشية الله »[11] .

أي « لأجل خشية الله » .

١٩٧ – وقال الله – جل وعلا – : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل »[12]

أي . « لأجل ذلك » .

---

(١) سيبويه ٤ / ٢٢٧ – البرهان ٤ / ٤٢٠ – والعمدة . تهذيب اللسان .
(٢) الغريب المصنف ٢٣١ / أ – تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ – تهذيب اللغة ٣ / ٢١٦ – المخصص ١٤ / ٦٥ .
(٣) معاني الحروف ٩٨
(٤) الغريب المصنف ٢٣١ / أ – تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ – المخصص ١٤ / ٦٥
(٥) المخصص ١٤ – ٦٥
(٦) تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ – البرهان ٤ – ٤٢٠ – الجنى الداني ٣١٩ – المغني ٢ / ١٦ الهمع ٤ / ٢١٤
(٧) من الآية ٢٣ سورة فاطر .
(٨) من الآية ٩ سورة الجمعة
(٩) البرهان ٤ / ٤١٩ – الجنى الداني ٣١٥ / المغني ٢ – ١٥ – الهمع ٤ / ٢١٤ – الإتقان ١ / ٢١٠
(١٠) من الآية ١٩ سورة البقرة
(١١) من الآية ٧٤ سورة البقرة .
(١٢) من الآية ٣٢ سورة المائدة .

١٩٨ـ وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ :

« مِمَّا خَطِيئَاتِهِم أُغرقوا فَأُدخِلوا نَارًا »[١]

أي . « لخطيئاتهم »

١٩٩ـ وقال الله ـ جَلَّ وعلا ـ

« الذى أَطعَمَهُم مِن جُوعٍ »[٢] .

أي : « لجوع » .

وقد سبق ذكر هذه الآية مثالا لمجيء

« من » بمعنى « عن » .

٢٠٠ـ وقال « امرؤُ القيس بن حجر

الكندى » وينسب لغيره

وَذلِك مِن نَبإٍ جَاءَنى

وَخبِّرتهُ عَن أَبِى الأَسوَدِ[٣]

أي « وذلك لنبأ جاءني »

٢٠١ـ وقال « الفرزدق » .

يُغْضِي حَياء وَيُغضَى مِن مَهابَتِهِ

فَلا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبتَسِمُ[٤]

أي « وَيُغضَى لمهابته » .

(ح) دخول « من » مكان « مذ »[٥] :

قال « زهير بن أبي سلمى » .

٢٠٢ـ لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ

أَقوَيْنَ مِن حِجَجٍ وَمِن دَهرِ[٦]

أي « مذ حجج ومذ دهر »

وحُكي عنهم .

٢٠٣ـ ما رأيته من سنة .

يريدون : مذ سنة[٧]

---

(١) من الآية ٢٥ سورة نوح

(٢) من الآية ٤ سورة قريش

(٣) مغنى اللبيب ٢ / ١٥ والبيت ثالث قصيدة لامرئ القيس بن حجر الكندى فى ديوانه ٣٤٥ شرح الأعلم ط الجزائر .

(٤) مغنى اللبيب ٢ / ١٥ والديوان من قصيدة للفرزدق يمدح زين العابدين على بن الحسين ٢ / ١٧٩ ط بيروت.

(٥) الغريب المصنف ٢٣١ / أ ـ المخصص ١٤ / ٦٥

(٦) الغريب المصنف ٢٣١ / أ ـ المخصص ١٤ / ٦٥ الديوان ٨٦ والبيت مطلع قصيدة له يمدح « هرم بن سنان » .

(٧) الغريب المصنف ٢٣١ / أ .

تفصيل موقف علماء العربية من دخول
حروف الجر بعضها مكان بعض

إن ما أمكن وقوفى عليه من أمثلة العربية التى يشير سياقها إلى ظاهرة دخول حرف جر مكان حرف جر آخر (٢٠٣) مائتا مثال وثلاثة بيانها كالآتى

١٠٥ مائة مثال وخمسة من القرآن الكريم.

٥ خمسة أمثلة من الحديث الشريف

٦٢ اثنان وستون مثالا من الشعر والرجز .

٣١ واحد وثلاثون مثالا من المحكى عن العرب .

وهذه الأمثلة وغيرها مما جاء فى لغتنا العربية هى التى أثارت قضية نيابة حروف الجر عن بعضها وكان موقف علمائنا الأوائل وسلفنا الفاضل من هذه القضية كموقفهم من أغلب قضايا العربية . فلم يتفقوا عليها ، ولم تلتق كلمتهم على رأى واحد فيها ، وانقسموا فريقين .

الفريق الأول جمهور نحاة الكوفة ، ومن رأى رأيهم من علماء البصرة والعلماء المتأخرين الذين أخذوا عن المدرستين وقد سلم هذا الفريق بدخول حرف الجر — أو حروف الصفات كما سماها — بعضها مكان بعض فيدخل حرف الجر « إلى » الذى يدل أصلا على « الانتهاء » مكان حرف الجر « فى » الذى يدل أصلا على الظرفية ومن ذلك قول الله — عز وجل — : « اللّٰهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ »[1] .

ويدخل حرف الجر « فى » الذى يدل أصلا على « الظرفية » مكان حرف الجر « اللام » الذى يدل أصلا على « الملك » ومن ذلك قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « الحبُّ فى اللهِ والبغضُ فى الله من الإيمان »[2] . ويدخل حرف الجر

---

(١) من الآية ٨٧ سورة النساء

(٢) صحيح البخارى كتاب الإيمان باب ١ ح ١ — ٨ ؛ سنن أبى داود كتاب السنة باب ٣ الحديث ٤٥٩٩ ج ٥ — ٦

« الباء » الذى يدل أصلا على « الإلصاق » مكان حرف الجر « من » الذى يدل أصلا على الابتداء ، ومن ذلك قول « عنترة »

شَربنَ بماء الدُّحْرُ ضين فأَصْبَحَت
زَوراءَ تَنفِرُ عَن حِياضِ الدَّيلَم[1]

ويدخل حرف الجر « من » الذى يدل أصلا على « الابتداء » مكان الحرف « عن » الذى يدل أصلا على « المجاوزة » ومن ذلك قولهم : « حدثنى فلان من فلان » يريدون عن فلان »[2].

وأيد هذا الفريق وجهة نظره بما يأتى .

١ ـ واقع الاستعمال اللغوى . وتؤكد وجود هذه الأمثلة الكثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف . والشعر العربى . والمحكى عن العرب

٢ ـ دلالة السياق فى هذه الأمثلة على مساواة حرف الجر الملفوظ به فيها مع حرف جر آخر غير ملفوظ به فى معناه ، واستقامة الأسلوب والمعنى عند وضع الحرف غير المستعمل أصلا فى المثال مكان الحرف المستعمل ، ويوضح ذلك

دلالة السياق على مساواة الحرف « فى » مع الحرف « من » فى إفادة الابتداء من قول « امرئ القيس » .

وهَل يَعِمَن مَن كانَ أَحدثُ عَهدِهِ
ثلاثين شهرًا فى ثلاثةِ أحوال[3]

واستقامة المعنى والأسلوب عند وضع الحرف « من » مكان الحرف « فى » الذى جاء على لسان الشاعر .

٣ ـ دلالة الاستعمال اللغوى دلالة لفظية صريحة على دخول حرف جر مكان حرف جر آخر بوجود أمثلة عربية فصيحة وُصِل فيها الفعل بالحرف غير الملفوظ به.

فيستدل هذا الفريق على دخول حرف الجر « الباء » مكان « على » فى قول

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٥٧٥ - الصاحبى ١٣٢ - الأزهية ٢٨٣ - المخصص ١٤/٦٧ - أمالى الشجرى ٢ / ١٧٠ الديوان ١٤٧

(٢) الغريب المصنف ٢٣١ / أ - تأويل مشكل القرآن ٥٧٧ - تهذيب اللغة ٣ / ٢١٦ - المخصص ١٤ / ٦٥

(٣) الخصائص ٣/٣١٣ - المخصص ١٤/٦٨ الجنى الدانى ٢٦٧ - المغنى ١ - ١٤٦ - الديوان ٩٩ .

الله – عز وجل – : « وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ »[1]

يقول الله – تبارك وتعالى – « قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ »[2]

فقد وُصِل الفعل « آمن » بالحرف « على » مرتين في الآية

ويستدل على دخول حرف الجر « على » مكان « عن » في قول « القحيف العقيلي »

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنو قُشَيرٍ
لعمرُ اللهِ أعجبَني رِضَاهَا[3]

يقول الله – جل وعز – « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ »[4]

وفي الآية وُصِل الفعل « رضي » بالحرف « عن » مرتين

ويستدل على دخول حرف الجر « اللام » مكان الحرف « على » في قول الله – سبحانه وتعالى – « إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا »[5] .

يقول الله – جل وعلا – « مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ »[6]

وفي الآية وُصِلَ الفعل « أساء » بالحرف « على » .

٤ – القول بدخول حرف جر مكان حرف جر آخر

يحقق مرونة اللغة والتوسع فيها ، ويعفي من التأويل والتخريج الذي يتأتى عن قرب حينا ، ومع تكلف حينا . وقد يستعصي تخريج بعض الأمثلة ، فيسلم إلى القول بالشذوذ

الفريق الثاني : جمهور نحاة البصرة الذين يقصرون كل حرف من هذه الحروف

(١) من الآية ٧٥ سورة آل عمران
(٢) من الآية ٦٤ سورة يوسف
(٣) الغريب المصنف ٢٣١ – أ – المقتضب ٢ / ٣١٨ – الخصائص ٢ / ٣١١ – المخصص ١٤ / ٦٥ – وقد سبق تخريج الشاهد قبل هذا بما هو أشمل
(٤) من الآية ٨ سورة البينة
(٥) من الآية ٧ سورة الإسراء
(٦) سورة فصلت آية ٤٦

على معنى أصلى واحد ، إليه يعود ماتشعب من معان . ويمنعون نيابة بعضها عن بعض قياساً . وهي في هذا كحروف النصب وحروف الجزم .

ويرون أن القول بالنيابة بين هذه الحروف يؤدى إلى خلل واضطراب ؛ لأننا إذا سلمنا بدخول الحرف « الباء » مكان « من » في إفادة التبعيض صح وقوعه موقعه . وجاز أن نقول : قبضنا بالدراهم ونحن نريد قبضنا من الدراهم وإذا سلمنا بدخول الحرف « عن » مكان « على » في إفادة الاستعلاء ، صح وقوعه موقعه ، وجاز لنا أن نقول : زيد عن الفرس ، ونحن نريد على الفرس وهكذا مما لا تقبله اللغة ، ولا تسلم به .

لهذا رأى جمهور علماء البصرة قصر حرف الجر على معنى أصلى واحد ، ومنع نيابة حرف جر عن حرف جر آخر ، وعزوا التوسع في استعمال بعض الحروف إلى ضرب من ضروب البلاغة والجمال يقتضيه المقام ، ويمكن الوقوف عليه عن طريق التعمق في الفهم ،والتأنى في النظر ، وجدُّوا ما أمكنهم الجد في تخريج ماجاء من أمثلة يوحى ظاهرها بتعدد المعانى . ودخول حرف مكان آخر . وسلكوا إلى ذلك عدة سبل . منها مايتجه بالتخريج إلى الفعل ، ومنها ما يتجه به إلى الحرف . ومنها مايتجه به إلى الأُسلوب نفسه . وعلى هذه السبل الثلاث خرَّجوا أغلب ماجاء في العربية من أمثلة ، وقصروا الحرف على معناه الأصلى وما استعصى عليهم أمر تخريجه قالوا فيه بدخول حرف مكان حرف على سبيل الشذوذ

١ ــ ومن أُمثلة التخريج عن طريق التصرف في الفعل .

ــ تضمين الفعل المعدى بغير حرفه معنى فعل آخر يشاركه في معناه ، ويتعدى بالحرف المذكور إيذاناً بتوافق الفعلين في المعنى وتوسعاً في اللغة

ومن ذلك تخريج قول الله ــ عز وجل « أُحِلَّ لكم لَيلةَ الصِّيام الرَّفثُ إلى نِسَائِكُم »[1] والذى يقول الكوفيون ومن قال بقولهم ــ فيه : إن « إلى » نائبة

(١) من الآية ١٨٧ سورة البقرة .

مناب « الباء » لأن الرفث مصدر الفعل « رفث » الذى يعدى بالباء ولا يعدى بإلى .

ويرفض البصريون وجهة نظر الكوفيين ويقولون : لما كان الرفث هنا بمعنى الإفضاء والفعل أفضى يعدى بالحرف « إلى » . رفدوا مصدر الفعل « رفث » بحرف الجر « إلى » إشعارًا بأنه فى معناه[1] .

— حمل الفعل المذكور مع حرف جر لا يصل به إلى الاسم بعده على نقيضه إذا كان مما يرفد بهذا الحرف ، وذلك أمر تعارف عليه العرب ، وله نظائر كثيرة فى كلامهم .

وعلى ذلك خرجوا قول « القحيف العقيلى » :

إذَا رَضِيَت عَلَيّ بَنو قُشَيرٍ
لَعمرُ اللهِ أَعجَبَنى رضاها [2]

الذى يقول الكوفيون — ومن قال بقولهم — فيه : إن « على » نابت مناب « عن » لأن الفعل « رضى » يرفد بالحرف « عن » فيقال : رضى عنه ، ولا يقال : رضى عليه

ويرفض البصريون ذلك ويقولون : لما كان الرضى بمعنى الإقبال . استعمل الشاعر الحرف « على » مكان « عن » ويقول بعضهم بقول « الكسائى » إمام الكوفيين : لما كان الفعل « رضى » ضد الفعل « سخط » (الذى يصل بالحرف « على » حمل الفعل « رضى » على نقيضه « سخط ») وعداه بالحرف « عن » حملا لشىء ، على نقيضه ، كما يحمل على نظيره[3] .

— حمل الفعل المذكور مع حرف جر لا يصل به فيما يصدر من معنى خاص على فعل آخر يصل بالحرف المذكور ويفيد معنى عاماً يدخل تحته معنى الفعل المذكور ، ووضع الخاص موضع العام متعارف عليه ، وله نظائر فى كلامهم ، وعلى هذا خرجوا قول الله — تبارك وتعالى — « وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُم وَإِن كُنتُم مِن قَبلِه لَمِنَ الضَّالِّين »[4] .

---

(١) الخصائص ٢ / ٣١١ — الكشاف ١ / ٣٣٨ — ابن يعيش ٨ / ١٥ — التسهيل فى علوم التنزيل ١ / ٧٢ .
(٢) سبق تخريج الشاهد ص ١٤٩ وغيرها .
(٣) الخصائص ٢ / ٣١١ ، ٣٨٩ / المغنى ١ / ١٢٦ — الهمع ٤ / ١٨٧ .
(٤) من الآية ١٩٧ سورة البقرة .

الذى يقول الكوفيون — ومن قال بقولهم — فيه إن « الكاف » نابت مناب « اللام »

ويرفض البصريون ذلك ويخرجون الآية بطرق منها « أنه لما كان الذكر والهداية يشتركان فى أمر واحد وهو الإحسان عومل الفعل « اذكر » معاملة الفعل « أحسن » ووضع الخاص موضع العام لخصوصية فيه

— صلاحية الفعل للوصول بالحرفين معاً . عن طريق الاستعمال . لا عن طريق النيابة ودخول حرف مكان آخر ، ومن ذلك قول الله — جل وعلا — . « وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ » .

الذى يقول الكوفيون — ومن رأى رأيهم فيه إن « الباء » دخلت مكان « إلى »

ويرفض البصريون النيابة . ويخرجون الآية . ومن تخريجهم لها : صلاحية الفعل أحسن للوصول بالحرفين « الباء » و « إلى » يقال أحسن به ، وأحسن إليه ، وأساء به وأساء إليه [3]

٢ - ومن أمثلة التخريج عن طريق التصرف فى الحرف .

— الحرف باق على معناه من إفادة المعنى الأصلى ، ومن ذلك قول الله — جل وعلا — « فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ . وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ [4] » .

الذى يقول الكوفيون — ومن وافقهم — فيه إن « فى » نابت مناب « على »

ويرفض البصريون ذلك ويرون أن الحرف « فى » باق على أصله من إفادة الظرفية . وأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور كأن يسمى الجذع ويوضع المتمحض فيه » [5] .

(١) المغنى ١ / ١٥١

(٢) من الآية ١٠٠ سورة يوسف

(٣) الكشاف ٢ / ٣٤٤ — التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ١٢٩ ، وفى الصحاح حسن « وأحسنت الهوية » وانظر المحكم « حسن » ٣ / ١٤٤ أساس البلاغة « حسن » اللسان « حسن » التاج « حسن »

(٤) من الآية ٧١ سورة طه .

(٥) الخصائص ٢ / ٣١٢ ، ٣١٣ — ابن يعيش على المفصل ٨/ ٢٠ ، ٢١ — الرضى على الكافية ٢ / ٣٢٧ — البرهان ٤ / ٣٠٣ — المغنى ١ / ١٤٥ — الهمع ٤/ ١٩٤ .

ـ الحرف دال على معنى من معانيه المتبادرة منه التى لا تقتضى نيابة حرف عن آخر . ومن ذلك قول الله ـ جل ثناؤه ـ « قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ »

الذى يقول الكوفيون ـ ومن قال بقولهم ـ فيه . إن الحرف « من » فى قوله تعالى « من الأرض » ناب مناب « فى »

ويرفض البصريون ذلك . ومما جاء عنهم فى تخريجه إن « من » فى الآية لبيان الجنس ، وهو من معانيها التى لا تقتضى نيابة [٢]

ـ الحرف الموجود ليس حرفاً من حروف الجر ، وإنما هو حرف آخر من حروف المعانى ، ولا نيابة فيه ، ومن ذلك قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ « لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ، وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » [٣]

الذى يقول الكوفيون ـ ومن وافقهم ـ فيه إن « الكاف » نابت عن « اللام » وأن المعنى أعجب لعدم فلاح الكافرين .

ويرفض البصريون ذلك . ومن تخريجهم له أن الكاف ليست كلمة قائمة بنفسها . وإنما هى حرف نسبة من الأداة « كأن » والكلام معها مستأنف

ـ الحرف زائد ـ هذا عند تسليمنا بالزيادة ـ ولامجال فى المثال لنيابة حرف عن آخر . ومن ذلك قول الله ـ تبارك وتعالى ـ « فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ، بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ » .

الذى يقول الكوفيون ومن وافقهم فيه إن « الباء » دخلت مكان « فى »

ويرفض البصريون ذلك . ومما جاء فى تخريجه إن « الباء » فى الآية زائدة فى المبتدأ للتوكيد ومعنى الآية ـ والله أعلى وأعلم ـ . أيكم المفتون [٦]

(١) من الآية ٤٠ سورة فاطر .
(٢) الأمير على المغنى ٢ / ١٦
(٣) من الآية ٨٢ سورة القصص .
(٤) سيبويه ٢ / ١٥٤ ـ الكشاف ٢ / ١٩٢ ـ المغنى ١ / ١٥١ ـ التسهيل لعلوم التنزيل ٣ / ١١٢
(٥) الآيتان ٥ / ٦ سورة القلم
(٦) الكشاف ٤ / ١٤٠ ـ التسهيل لعلوم التنزيل ٤ / ١٣٧ ـ الإتقان ١ / ٢٠٨

٣ – ومن أمثلة التخريج على أساس الأسلوب .

– تعلق الجار والمجرور بمحذوف يبقى الحرف على أصله ، ويُحمِّل الجار والمجرور ضميرًا لتعلقه به ، ومن ذلك قول الله عز وجل – : « فَقَالَ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيرِ عَن ذِكرِ رَبِّى »[1] .

الذى يرى الكوفيون – ومن وافقهم أن « عن » حلت فيه مكان « على » ويرفض البصريون ذلك ،ويخرجون الآية ، ومما جاء من تخريجهم تعلق الجاروالمجرور بحال محذوفة والتقدير : منصرفاً عن ذكر ربى[2] .

– حرف الجر داخل على مضاف حذف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، فبقى الحرف مع المضاف إليه بعد حذف المضاف ، وهو على أصله . ومن ذلك قول « عوف بن بن الخرع »

شَدُّوا المَطِىَّ عَلَى دَلِيلٍ دَائبٍ
مِن أَهلِ كَاظِمَةٍ بِسِيفِ الأَبحُرِ

الذى يرى الكوفيون – ومن وافقهم – أن « على » فيه نابت مناب « الباء » أى بدليل .

والبصريون يرفضون ذلك ويخرجون البيت ، ومما جاء من تخريجهم له : أن « على » جارة لمضاف محذوف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، والمعنى : شدوا المطى على دلالة دليل دائب ، فحذف المضاف « دلالة » لدلالة لفظ « الدليل » بعده عليه ، ويعرب الجار والمجرور فى محل نصب حالًا من الضمير فى شدوا[3] .

– الأسلوب يقتضى استعانة فعل بحرف لا يرفد به لتحقيق غرض بلاغى ، ومن ذلك قول الله – سبحانه وتعالى – : « فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُمْ وَأَرجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخلِ »[4] .

يرفض البصريون قول الكوفيين فيه ، نيابة « فى » مناب « على » ويرون أن إيثار الحرف « فى » للإشعار بسهولة صلبهم

---

(١) من الآية ٣٢ سورة ص .

(٢) الكشاف ٣ / ٣٧٣ – البرهان فى علوم القرآن ٤ / ٢٨٦ – المغنى ١/ ١٢٩

(٣) الخصائص ٣ / ٢١٢

(٤) من الآية ٧١ سورة طه سبق الاستشهاد بها ص ١٥٢

ويسر أمره على « فرعون » وما يوحى به الحرف « فى » من يسر وسهولة لايوحى به الحرف « على » الذى يدل على رفع وعلو يصعب ويشق[1]

أقول تلك وغيرها طرق خرجوا بها ماجاء من أمثله يفهم ظاهرها نيابة حرف حر مناب حرف حر آخر . وما عز عليهم تخريجه قالوا فيه بالنيابة عن طريق الشذوذ .

ومن الكتب التى اهتمت بعرض جهود البصريين فى تأويل ما أولوه وتخريج ماخرجوه :

- معانى الحروف لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى .

- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى فى الفصل الذى عقد لذلك ج ٢ / ٣٠٦ -

- تفسير الكشاف لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ت ٥٣٨ هـ

- شرح المفصل لموفق الدين يعيش ابن على بن يعيش النحوى ٨ - ٧ ، ٥٤

الجنى الدانى لحسن بن قاسم بن عبد الله المرادى

- شرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوى ٢ / ٣١٩ ، ٣٤٤ .

- مغنى اللبيب جمال الدين عبد الله ابن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى .

- البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطى ٤ / ١٥٣ . ٣٠٦

- التسهيل لعلوم التنزيل للإمام المفسر محمد بن أحمد بن جزى الكلبى .

وعلى هذه المصادر التى ذكر صاحب كل منها ماوقف عليه من تخريجات البصريين وموافقيهم . اعتمدت فى استقراء هذه الجهود فى التخريج . وتقديمها فى الصفحات التالية .

(١) البرهان ٤ / ٣٠٣ .

جهود علماء البصرة فى تخريج الأمثلة
التي يدل السياق فيها على التداخل

أرى ضرورة الوقوف على جهود علماء البصرة القائلين بعدم دخول حروف الجر بعضها مكان بعض فى تخريج الأمثلة التى عرضتها ، وطبيعة هذا التخريج من حيث يسره وقرب تأتيه ، أو تكلفه ووعوره الطريق إليه ، وتعرف ما تم لهم تخريجه ، وما بقى من غير تأويل وتوجيه فكان حكمهُ دخول حرف مكان حرف على سبيل الشذوذ حتى تكون النتائج المستخلصة من الدراسة قائمة على الحيدة التامة متسمة بالموضوعية الكاملة .

وقد عرضت هنا الأمثلة بترتيبها ، وأرقامها التى سبقت من قبل ، ليسهل الرجوع إليها مكتفياً من المثال بالتركيب موضع الظاهرة ، وذكر توجيه واحد – فى أكثرها – مما ذكر علماء البصرة له أكثر من تخريج واكتفيت بما جاء من ذكر للمصادر والمراجع عند عرض الأمثلة ، وما سبقت الإشارة إليه من مصادر – عرضت بعضها ، وبينت موقف العلماء منها – من إعادة ذكرها هنا حتى أتجنب الإطالة والتكرار

م*	التركيب	التوجيه
	« إلى »	
١	وإذا خلوا إلى شياطينهم	الفعل « خلا » يعدى بإلى والباء ، يقال : خلوت بفلان وإليه
٢	الرفث إلى نسائكم	حمل « رفث » على أفضى « لأنه فى معناه وعداه « بإلى » .
٣	رفع الحجيج إلى ألال	(لعله ضمن « رفع » معنى « حمل » فوصله « بإلى ») **

(*) الأرقام هنا غير مسلسلة لأنها أرقام الأمثلة التى وجدت لها «تأويلا» واحتفظت بأرقامها السابقة ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة

(**) ما بين الحاصرتين من تخريج الباحث وعليه تقع تبعة ما فيه من قصور

التوجيه	التركيب	م
(لعله ضمن « لها » معنى « مال » فوصله بالحرف إلى) .	لهوت إلى الكواعب	٤
حمل « يجمع » على « يضم » لأنه فى معناه ووصله بالحرف « إلى »	ليجمعكم إلى يوم القيامة	٥
ضمن قوله هل لك إلى كذا معنى أدعوك إليه وعداه « بإلى » .	هل لك إلى أن تزكى	٦
ضمن قوله « مطلى » معنى مبغض ، ووصله بالحرف « إلى » .	كأنى إلى الناس مطلى به القار	٧
« إلى ذروة » متعلق بمحذوف أى تلاقى متسبباً إلى ذروة » .	تلاقنى إلى ذروة البيت الكريم	٨
(جلس إلى القوم توحى بحاجتهم إليه وإفادته لهم ، وهو بهذا قد دخل إلى عقولهم وقلوبهم)	جلست إلى القوم	٩
(فيه هديته إلى كذا ، وهديته لكذا بمعنى أرشدته) .	ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم	١٠
قيل : إنها لانتهاء الغاية ، أى : والأمر منته إليك .	والأمر إليك	١١
(رواية الديوان . . أو ائت حيا إلى رعل ومطرود . .) .	وأنت حى إلى رعل ومطرود	١٢

م	التركيب	التوجيه
	« الباء »	
١٤	وقد أحسن بى	ضمن الفعل « أحسن » معنى « لطف » فعداه بالباء .
١٦	وإذا مروا بهم يتغامزون	(الفعل « مر » يعدى بالباء ، وعلى يقال مر به وعليه ، أى احتاز)
١٩	تشقق السماءُ بالغمام	الباءُ للسببية ، أى شقت السماءُ بالغمام بسبب طلوعه منها
٢٠	فاسأل به خبيرا	الباءُ داخلة على مجرور محذوف ، أى بسؤاله خبيرا
٢١	يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم	جاء فى تفسير « بأيمانهم » أى يحملونه بأيمانهم فيبسط نوره قدامهم . جمع يمين .
٢٣	نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم	سبق ماجاء فى تفسير « بأيمانهم » أى يحملونه بأيمانهم ، جمع يمين
٢٤	سأل سائل بعذاب واقع	ضمن سأل معنى « دعا » أى دعا داع بعذاب واقع »
٢٦	سألتنى بأُناس	ضمن « سأل » معنى « اهتم واعتنى » وقيل . الباء للسببية
٢٨	سألت الخيل . بما لم تعلمى	ضمن « » سأل » معنى « اهتم » وتحفظ ابن هشام على تعميم القول بأن كل « باء » بعد السؤال للسببية المغنى ١ـ٩٨) .
٢٩	فإن تسألونى بالنساء	الباء السببية ، والمعنى بسبب النساء .

التوجيه	التركيب	م
(رواية الديوان . رُبّتَ سائل عنى حفى	تسائل بابن أحمر	٣٠
ضمن « سائلة » معنى « مهتمة ومعتنية	وسائلة بثعلبة	٣١
ضمن «لاتسأل» معنى «لاتهتم» وقيل : الباء للسببية	لاتسأل بمصرعه	٣٢
ضمن « سأل » معنى « اعتنى » .	سألت به	٣٣
الباء السببية ، أى يأتمرون بسببك .	إن الملأ يأتمرون بك	٣٦
الباء زائدة	بأيكم المفتون	٤٠
الباء زائدة	لا خير بخير بعده النار	٤٥
السببية والتعليل متقاربان	ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل	٤٦
السببيه والتعليل متقاربان .	فبظلم من الذين هادوا	٤٧
السببية والتعليل متقاربان .	فكلا أخذنا بذنبه	٤٨
ضمن « تشذر » معنى تتوعد « فعداه بالباء .	تشذر بالذحُول	٤٩
الباء للاستعانة والمعنى وامسحوا رؤوسكم بالماء . وقيل : زائدة .	وامسحوا برءُوسكم	٥٠
الباء للاستعانة والمعنى : يشرب بها عباد الله الخمر	عينا يشرب بها عباد الله	٥١
ضمن « شرب » معنى « روى » فعداه بالباء .	شَرِبن بماء الدحرضيين	٥٢
(رواية الديوان · تروت بماء البحر ثم ترفعت . .) .	شربن بماء البحر	٥٣
ضمن « الشرب » معنى « الرى » .	شرب النزيف ببرد ماء	٥٤

التوجيه	التركيب	م
	« على »	
ضمن « حقيق » معنى « حريص » فعداه بالحرف « على » .	حقيق على أن لا أقول	٥٥
« على داخلة على مجرور محذوف ، والتقدير : « على دلالة دليل » .	شدوا المطى على دليل	٥٨
(يقال : رمى عن القوس ، ورمى عليها ، لأنه إذا رمى عنها جعل السهم عليها ولا يقال رمى بها فى هذا المعنى . ويقال رميت بالسهم)	رميت على القوس	٦١
الجارى والمجرور متعلق بمحذوف والتقدير معتمداً على اسم الله .	اركب على اسم الله	٦٣
حمل الفعل « رضى » على نقيضه « سخط » فعدى بالحرف على ، وقيل : ضمن معنى « عطف » الذى بمعناه	إذا رضيت على	٦٤
ضمن « ولى على بوده » معنى « استهلكه على « وأفسده » (أو حمل « ولى » على نقيضه أقبل) .	تولى على بوده	٦٦
(« على » على أصلها ، لأنه إذا رمى عنها جعل السهم عليها)	أرمى عليها وهى فرع	٦٧
« على » على أصلها ، لأنه إذا رمى عنها جعل السهم عليها .	رميت على القوس	٦٨

م	التركيب	التوجيه
٦٩	رضيت عليك	حمل الفعل « رضى » على نقيضه « سخط » أو ضمنه معنى « عطف » .
٧٠	ما تتلو الشياطين على ملك سليمان	ضمن « تتلو » معنى « تتقول » فعداه بالحرف « على »
٧٥	ولتكبروا الله على ما هداكم	ضمن « التكبير » معنى « الحمد » أى ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم .
٧٦	لتكبروا الله على ما هداكم	ضمن « تكبروا » معنى « تحمدوا » فوصل بالحرف « على »
٨١	كان على ربك حتما مقضيا	يمكن تعلق الجار والمجرور بمحذوف ، أى كان الورود واجباً على ربك أوجبه على نفسه
٨٢	إلا على أزواجهم	ضمن « حافظون » معنى « قاصرون » فوصله بالحرف « على » .
٨٣	اكتالوا على الناس	ضمن « اكتالوا » معنى « تحاملوا » وعداه بالحرف « على »
	« عن »	
٨٥	وما ينطق عن الهوى	ضمن « ينطق » معنى « يصدر » فوصل بالحرف « عن »
٨٦	تصد وتبدى عن أسيل	ضمن الفعل « تبدى » معنى تكشف ، أى تكشف الغطاء عن وجه أسيل

التوجيه	التركيب	م
الفعل رمى هنا يعدى بالأحرف · الباء – على – عن . عير أنه مع على وعن يختلف عن معناه مع الباء .	رميت عن القوس	٨٧
الجار والمجرور متعلق بمحذوف،والتقدير . منصرفاً عن ذكر .	أحببت حب الحير عن ذكر ربى	٨٩
ضمن « يبخل » معى « يرغب » فوصل بالحرف « عن » .	يبخل عن نفسه	٩٠
ضمن « أفصل » معنى « انفرد »فوصل بالحرف « عن » .	لا أفصلت فى حسب عنى	٩١
الفعل « ونى » يعدى بالحرفين « عن » و « فى » ومعنى ونى عنه : جاوزه ولم يدخل فيه .	ولاتك عن حمل . . وانيا	٩٣
الجار والمحرور متعلق بمحذوف ، أى إلا صادرا عن موعدة .	إلا عن موعدة	٩٤
الجار والمجرور متعلق بمحذوف يعرب حالا والتقدير · صادرين عن قولك .	بتاركى آلهتنا عن قولك	٩٥
الجار والمجارور متعلق بمحذوف يعرب حالا ، أى . صادرة عن عباده .	يقبل التوبة عن عباده	٩٦
(رواية الديوان : أفمنك لابرق . .) .	أفعنك لابرق	٩٨

التوجيه	التركيب	م
	« فى »	
« فى » على أصلها ، والمراد تمكن واستقرار الأيدى فى الأفواه .	فردوا أيديهم فى أفواههم	١٠٢
« فى » على أصلها ؛ لأنه جعل التدبير كالمسع للبت والدرء والتكثير .	يذرؤكم فيه	١٠٤
« فى طعن » متعلق بمحذوف ، أى لهم دراية وحذق فى طعن »	بصيرون فى طعن الأباهر	١٠٥
« فى » داخلة على مجرور محذوف ، أى فى سيرنا .	وخضخضن فينا البحر	١٠٧
ضمن « نلوذ » معنى « ندخل » فعداه بالحرف « فى » .	نلوذ فى أم لنا	١٠٩
«فى» تفيد الظرفية أى استقر وجودكم وتمكنكم فى الفلك	حتى إذا كنتم فى الفلك	١١٠
ضمن « الصلب » معنى الاستقرار والتمكن فوصل « صلب » بالحرف « فى » .	ولأصلبنكم فى جذوع النخل	١١١
«فى»داخلة علىمجرور محذوف ، أى من فى مكان النار .	بورك من فى النار	١١٢
« فيه » متعلق بمحذوف ، أى يستمعون صاعدين فيه .	أم لهم سلم يستمعون فيه	١١٣

م	التركيب	التوجيه
١١٤	كأن ثيابه فى سرحة	« فى » على أصلها ، لأن ثيابه إذا كانت على السرحة ، فقد صارت السرحة موضعاً لها .
١١٥	صلبوا العبدى فى جذع نخلة	ضمن « صلب » معنى « استقر وتمكن » ووصله بالحرف « فى »
١١٦	صلبنا الناس فى جذع	ضمن « صلب » معنى « استقرو تمكن » ووصله بالحرف « فى » .
١١٧	لايدخل الخاتم فى أصبعى	على سبيل القلب .
١٢٣	فى النفس مائة من الإبل	فى الظرفية تقديراً ، أى فى قتل النفس فالقتل متضمن للدية تضمن الظرف للمظروف .
١٢٤	الحب فى الله والبغض فى الله	« فى » داخلة على مجرور محذوف ، أى الحب فى رضاء الله والبغض فى رضائه .
١٢٦	فى ثلاثة أحوال	« فى » داخلة على مضاف محذوف ،أى فى عقب ثلاثة أحوال
١٢٧	وما الإصباح فيك بأمثل	(الرواية المشهورة : منك بأمثل .
	« الكاف »	
١٢٨	فاستقم كما أمرت	الكاف للتشبيه ، أى فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها .

م	التركيب	التوجيه
١٢٩	كخير	الكاف داخلة على مضاف محذوف ،أى كصاحب خير .
١٣٣	واذكروه كما هداكم	من وضع الخاص موضع . العام والكاف للتشبيه
١٣٥	ويكأنه لايفلح الكافرون «اللام»	الكاف جزء من بنية الحرف «كأن» .
١٣٧	ينادى للإيمان	الفعل ينادى يصل باللام ، وإلى ، يقال : ناداه له وإليه
١٣٨	لعادوا لما نهوا عنه	(يقال . عاد إليه . رجع . وقد عاد له بعد ماكان أعرض عنه) .
١٤٠	هدانا لهذا	الفعل هدى يصل باللام وإلى ، يقال: هداه لكذا وإلى كذا
١٤١	سقناه لبلد ميت	اللام على أصلها ، أى لأجل بلد ميت ليس فيه حياة لسقيه
١٤٢	قل الله يهدى للحق	الفعل يهدى يصل باللام ، وإلى ، والآية دليل ذلك
١٤٣	كل يجرى لأجل مسمى	الفعل يجرى يصل بالحرفين . «إلى» و «اللام»
١٤٤	وهم لها سابقون	اللام تفيد التعليل أى فاعلون السبق لأجلها ، أو سابقون الناس لأجلها

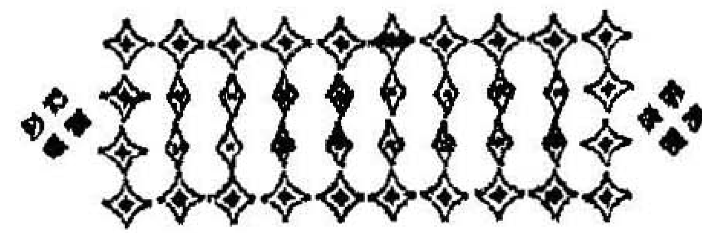
م	التركيب	التوجيه
١٤٥	والشمس تجرى لمستقر لها	الفعل « يجرى » يصل بإلى ، ويصل باللام
١٤٦	فلذلك فادع	اللام للتعليل . أى فلأجل التفرق ولما حدث بسببه . فادع .
١٥٢	وإن أسأتم فلها	(حمل الفعل « أساء » على نقيضه أحسن ، فوصله باللام » .) .
١٥٣	يخرون للأذقان سجدًا	اللام للاختصاص ، وتفيد اختصاص الذقن والوجه بالخرور .
١٥٤	ويخرون للأذقان يبكون	اللام للاختصاص كسابقه .
١٥٩	فخر صريعاً لليدين والفم	اللام للاختصاص ، وتفيد اختصاص اليدين والفم بالخرور
١٦١	سقط لوجهه	(لعل اللام للاختصاص ، وتفيد اختصاص الوجه بالسقوط) .
١٦٢	سقط فلان لفيه	(اللام للاختصاص ، وتفيد اختصاص الفم بالسقوط) .
١٦٣	وقال الذين كفروا للذين	اللام على أصلها من إفادة التعليل ، وقيل على حذف مضاف ، أى لطائفة .
١٦٥	جامع الناس ليوم	اللام داخلة على محذوف ، أى لحساب يوم ، أو لجزاء يوم .
١٦٦	جمعناهم ليوم	اللام على أصلها من إفادة الاختصاص وتفيد اختصاص اليوم بالجمع .

التوجيه	التركيب	م
[؟] اللام داخلة على محذوف، أى لأهل يوم القيامة .	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة	١٦٨
اللام للتعليل ، أى قدمت لأجل حياتى الآخرة .	قدمت لحياتى	١٧٠
	« من »	
قيل : إنها على أصلها من إفادة الابتداء .	ينظرون من طرف خفى	١٧٨
ضمن « نصر » معنى « منع » فوصله بالحرف « من » .	ونصرناه من القوم	١٨٣
« من » على أصلها من إفادة الابتداء .	كنا فى غفلة من هذا	١٨٥
« من » على أصلها من إفادة الابتداء، وقيل للتعليل ،لأن قلوبهم تقسو لذكر الله.	للقاسية قلوبهم من ذكر الله	١٨٦
قيل ، إن « من » على أصلها من الابتداء لأن الجوع ابتداءُ الإطعام .	أطعمهم من جوع	١٨٧
من على أصلها من إفادة ابتداء الغاية ؛ لأن الجوع ابتداءُ الإطعام .	أطعمه من جوع	١٨٨
(الفعل يعدى بالحرفين « من » و «عن»	لهيت من فلان	١٩١
« من » هنا لبيان الجنس	ماذا خلقوا من الأرض	١٩٣
من هنا لبيان « إذا » وتفسير له .	نودى للصلاة من يوم الجمعة	١٩٤
من على أصلها من إفادة الابتداء، لأن الصواعق ابتداءُ لوضع الأصابع فى الأذن .	يجعلون .. من الصواعق	١٩٥

م	التركيب	التوجيه
١٩٧	من أجل ذلك كتبنا	من لابتداء الغاية ، أى ابتداء الكتابة نشأ من أجل ذلك .
١٩٩	الذى أطعمهم من جوع	«من» على أصلها من إفادة الابتداء ، أى الإطعام من أجل الجوع .
٢٠٢	أقوين من حجج ومن دهر	(يروى البيت « مذحجج ومذدهر ») ويمكن أن يكون الجار داخلا على محذوف أى من أجل مرور حجج وشهر

تلك هى الأمثلة التى وقفت على تخريج لها فيما رجعت إليه من كتب اللغة والنحو والتفسير ، ودواوين الشعر وعددها (١١٨) مائة وثمانية عشر مثالا من مائتى مثال وثلاثة أتيح لى جمعها .

وإذا أمكن تخريج ما بقى من أمثلة أو بعضه ، فإن الذى لا شك فيه أن من الأمثلة التى جاءت فى لغتنا العربية أمثلة عز تأويلها ووصل إلى حد التعسف تخريجها ، فسلم ، جمهور علماء البصرة - ومن وافقهم على القول بعدم نيابة حروف الجر بعضها عن بعض - بورود هذه الأمثلة على سبيل الشذوذ .



نتائج الدراسة

– ثبت لى من خلال دراسة حروف الجر مستعملة فى لغتنا العربية أن لكل حرف من الحروف معنى أصلياً له وُضع ومن أجله حسب فى قاموسها اللغوى ، ومن ذلك دلالة الحرف « من » على الابتداء ، والحرف « إلى » على الانتهاء ، والحرف « على » على الاستعلاء ، والحرف « عن » على المجاوزة ، و « الباء » على الإلصاق وهكذا

– وثبت لى كذلك من خلال تتبع استعمال هذه الحروف فى لغتنا العربية الفصحى أن الحرف قد تتبادر منه معان أخرى – ليست معنى أصلياً لحرف آخر – يوحى بها السياق ، ويعبر عنها المعنى العام ، ومن ذلك

دلالة الحرف « من » على « التبعيض » وعلى « بيان الجنس »

ودلالة الحرف « الباء » على السببية وعلى « الاستعانة »

وهكذا

وأرى أنه لا ضير علينا إذا سلمنا بذلك سواء علينا أرُدّت هذه المعانى إلى المعنى الأصلى أم لم ترد ، وكانت دلالة الحرف على هذه المعانى من قبيل المشترك اللفظى .

– وثبت لى أيضاً من واقع استعمال هذه الحروف فى لغتنا العربية الفصحى ، وبأمثلة دخلت فى عداد المئات أن الحرف قد يأتى مستعملا فى أسلوب يدل ظاهر سياقه دلالة واضحة على أن معنى الحرف فى هذا الأسلوب ليس المعنى الأصلى له ، وليس معنى من المعانى المتبادرة منه ، وإنما هو معنى من المعانى التى وضع لها حرف آخر يناقضه أو يخالفه ومن ذلك :

دلالة الحرف « على » الذى وضع للاستعلاء على معنى المجاوزة الذى وضع له الحرف « عن » .

ودلالة الحرف « إلى » الذى وضع للانتهاء على معنى الابتداء الذى وضع له الحرف « من »

ودلالة الحرف « فى » الذى وضع للظرفية على معنى الاستعلاء الذى وضع له الحرف « على » وهكذا

والاستعمال الأخير هو الذى شدد جمهور البصريين فى منعه قياساً ، وأولوه ، أو قالوا بشذوذه وهو الذى أجاره جمهور الكوفيين ومن وافقهم من البصريين

وإذا كان لى رأى متواضع فى هذه الدراسة اعتمدت فيه أساساً على تتبع الظاهرة ، وجمع أمثلتها ، وقول شيوخ نحاة البصرة والكوفة ومن جاء بعدهم مستعيناً بأمهات[؟] الكتب فى ذلك فإننى أرى .

أولا : أن علماء الكوفة لا يقولون بدخول حروف الجر بعضها مكان بعض دخولا مطلقاً ، ولا يقبلون من هذا إلا ما وافق السياق ، واستقام معه المعنى يُؤكد هذا ويقويه أن جميع ما وقفت عليه من أمثلة تصح عبارتها ويستقيم معناها إذا وضع الحرف غير المذكور مكان الحرف المذكور وإلا لزمهم ما يقوله « البصريون » من أن القول بنيابة حروف الجر بعضها عن بعض يؤدى بنا إلى أن نقول ما يأتى

الراكب عن الفرس ، ونحن نريد عليه

كتبت على القلم ، ونحن نريد به .

وهكذا .

ثانياً : أرى أن ما يعترض عليه جمهور علماء البصرة من نيابة بعض حروف الجر عن بعض إنما هى النيابة المطلقة التى يترتب عليها أن نقول :أخذت على الكيس، ونحن نريد منه ، يؤكد هذا ويقويه تلك الجهود التى بذلت فى تخريج هذه الأمثلة تخريجاً يبقى الحرف المذكور على معناه ، ثم تسليمهم فى نهاية المطاف بنيابة بعضها عن بعض شذوذا عند تعسف التخريج حينا وخروجه عن الطاقة أحياناً .

أقول — والله أعلى وأعلم — لايريدون بالشذوذ الخطأ وإنما يريدون ماخالف قياسهم ولم يصل إلى الكثرة التى تلتقى مع وجهة نظرهم والكثرة من وجهة نظرى نسبية ، وما لم يرد له تخريج من الأمثلة كثير

ثالثاً : صرح كثير من شيوخ علماء البصرة ، وعلماء الكوفة ومن جاء بعدهم آخذا عن المدرستين باستعمال حرف جر مكان حرف جر آخر — أعنى بصرف النظر عن إمكانية تخريجه أو عدمها ومن ذلك

(أ) صرح « سيبويه » رحمه الله — بدخول « عن » مكان « من » فقال «وأما » ، « عن » فلما عدا الشىء ، وذلك قولك · أطعمه عن جوع جعل الجوع منصرفاً

تاركاً له قد جاوزه ، وقال . قد سقاه عن العيمة (العيمة شهوة اللبن) . وكساه عن العرى وقد تقع « من » موقعها أيضاً ، تقول . أطعمه من جوع ، وكساه من عرى ، وسقاه من العيمة »[1] .

ونقل عنه كذلك دخول «على» مكان «عن» فقال « قال » أبو عمرو : سمعت أباريد يقول رميت عن القوس ، وناس . رميت عليها »[2] .

(ب) وصرح « الفراء » رحمه الله — بدخول « الباء » فى موضع « على » فقال . « ويقرأ . «حقيق على أن لا أقول» وفى قراءة « عبد الله » حقيق بأن لا أقول على الله ، فهذه حجة من قرأ « على » ولم يضف ، والعرب تجعل « الباء » فى موضع « على » . رميت على القوس وبالقوس وجئت على حال حسنة ، وبحال حسنة[3]

(ج) وصرح « ابن قتيبة » رحمه الله — بدخول « عن » مكان « على » فقال : « وقال » قيس بن الخطيم يصف جيشاً كثيراً :

لوانَّك تُلقِى حَنظلاً فَوقَ بَيضِنا
تَدحرَج عَن ذِى سامه المتقارب

يقول . لو ألقيت حنظلا على بيضهم لتدحرج عليه ، يريد . جرى فوقه ، ولم يسقط إلى الأرض . . و « عن » بمعنى « على »[4] .

(د) وصرح « المبرد » رحمه الله — بدخول حروف الإضافة بعضها مكان بعض ، فقال . « كما تدخل (حروف) الإضافة بعضها على بعض فمن ذلك قوله — عزوجل — : « يَحفَظونَه مِن أمرِ اللهِ » أى بأمر الله . وقال « وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخل » أى « على » ، وقال : « أَم لَهُم سُلَّمٌ يَستَمِعون فيه » أى عليه[5] .

(هـ) وصرح « ابن جنى » — رحمه الله — بإمكانية دخول حرف جر مكان حرف جر آخر

---

(١) سيبويه ٤ / ٢٢٦ — ٢٢٧
(٢) سيبويه ٤ / ٢٢٦
(٣) معانى القرآن ١ / ٣٨٦
(٤) المعانى الكبير ٢ / ٨٩١ . ٨٩٢
(٥) المقتضب ٢ / ٣١٨

عند صحة الاستعمال واستقامة المعنى ، فقال « ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا . لكنا نقول إنه يكون بمعناه فى موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له ، فأما فى كل موضع وعلى كل حال فلا [1] »

(و) وصرح « الرضى » – رحمه الله – بإقامة حروف الجر بعضها مقام بعض ، فقال : « وإقامة بعض حروف الجر مقام بعض غير عزيزة » [2]

وسلم كذلك بإقامة حرف جر مقام حرف آخر عند تعذر التخريج والتأويل ، فقال « واعلم أنه إذا أمكن فى كل حرف يتوهم خروجه عن أصله وكونه بمعنى كلمة أخرى أو زيادته أن يبقى على أصل معناه الموضوع هو له ، ويضمن فعله المعدى به معنى من المعانى يستقيم به الكلام فهو الأولى بل الواجب [3] .

ومما صرح به هؤلاء العلماء من إقامة حروف الجر مقام بعض صرح به آخرون

رابعاً من كل ما تقدم أستطيع أن أقول إن العرب توسعوا فى استعمال حروف الجر ، فأوقعوا الحرف على معناه الأصلى ، وعلى بعض المعانى التى تتبادر منه ويسوغها المقام ، وعلى بعض المعانى التى وضع لها غيره من الحروف التى تناقضه فى معناه والتى تخالفه ، وتنطق بصحة ذلك مئات الأمثلة من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وفصيح الكلام العربى

وبهذا اعترف علماء العربية من البصريين والكوفيين ثم خضع جمهور كل من المدرستين لمنهج مدرسته التى اختطته لنفسها فى تقعيد قواعد العربية ، فطبق جمهور علماء الكوفة منهجهم الذى يقوم على التسامح والتوسع ، وسلموا فى يسر بإقامة حروف الجر مقام بعضها عند أداء المعنى من غير ما سدود أو خروج على المألوف ، وأعفوا أنفسهم مشقة التأويل والتخريج وطبق جمهور علماء البصرة منهجهم الذى يؤثر الدقة والاطراد والقياس ، فقالوا بالمعنى الواحد للحرف الواحد ، وحاولوا

---

(١) الخصائص ٢ / ٣٠٨

(٢) الرضى على الكافية ٢ / ٣٢١

(٣) الرضى على الكافية ٢ / ٣٤٥

إثبات ذلك فى كل مثال يفهم من ظاهره التعدد وما وقفوا أمامه عادوا فقالوا فيه بالنيابة شأن علماء الكوفة ثم وسموه بالشذوذ .

وعلى هذا يكون الخلاف بينهما خلافاً لفظيًّا ، أبقى الكوفيون الفعل على أصله وتصرفوا فى الحرف ، وحاول البصريون إبقاء الحرف على أصله ، وتصرفوا فى الفعل وتخريج المثال من جانبهم تسليم منهم بأن الحرف فيه توسع لا محالة

وأرى أنه لاضير على اللغة من توسع لجأ إليه أصحابها الفصحاء وهم أدرى بها ، وأفقه الناس بخصائصها ، فأقاموا بعض حروف الجر مكان بعض ، وما وجدناه من ذلك وأمكن تخريجه فى يسر ولطف خرجناه ابقاء للحرف على أصل معناه ، وما عز تخريجه سلمنا فيه باقامة حرف مكان حرف بغير شذوذ تسليماً بالاستعمال العربى ، وتفادياً لتخريج قد يخطىء الصواب إليه ، وتوفيقاً بين المدرستين.

ولا أرى ما رآه بعض الإخوة الأفاضل من أن القول برأى نحاة الكوفة - فى هذه الظاهرة - يمثل تسامحاً ضارًّا بلغتنا القومية فى حاضرها ومستقبلها لما يفضى إليه من مشكلات لغوية ، واضطراب فى البيان[1] لأن علماء الكوفة - فيما أرى - لا يوافقون على استعمال حرف مكان حرف فى كل موضع وعلى كل حال ، وإنما يسلمون بما سلم به « ابن جنى »وهو استعمال حرف مكان حرف آخر بمعناه فى موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له ، كما سبقت الاشارة إلى ذلك .

(بقى هذا السؤال هل نقف عند حد ما سمع منها أو يبقى باب استعمالها مفتوحاً لمن يريد التعبير ؟) .

أرى :

* تفصيل وجود معنى أصلى واحد للحرف إليه يرجع الذى انشعب منه ما أمكن ذلك .

* جل من يتحدث العربية اليوم حتى فى مهدها الأول - توارت سليقتهم ، وبررت لكنتهم ، وامتنع عليهم الفصيح .

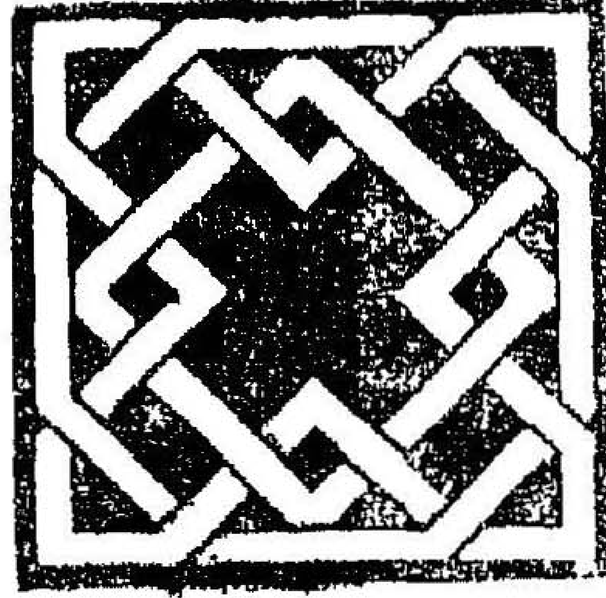
(١) من القائلين بذلك الأخ الدكتور / محمد حسن عواد فى كتابه تناوب حروف الجر فى لغة القرآن ١٣ ط / الأردن ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

* الأمثلة التي تساقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل حتى عصرنا تقف عند لغة عصر الاحتجاج وليس بينها أمثلة عليها طابع التحديث .

وهـذه وغيرها اعتبارات تميل بي إلى إيثار الوقوف عندما سمع منها وإذا قبل شيء من تسامح ، قبل فى أضيق الحدود لمن صقلت ملكته ، وصفت قريحته ، وارتفعت لغته ، وامتلك ناصية البيان .

وأسأل الله – جل وعلا – فى آخر هذه الدراسة المتواضعة أن أكون قد وفقت فيها إلى شيء من سداد ، وأن ينفع بها العباد ، ويجزل عليها الثواب إن شاء الله .

حسين شرف
الخبير بالمجمع



بحث
في ظاهرة اختلاف لغات العرب
للدكتور عبد الرحمن محمد إسماعيل

إنّ الاختلافات التي نلمسها واقعة في لغات العرب إن هي إلا نتيجة لتباين ألسنتهم ، وتباعد أوطانهم ومنازلهم ، وتوزع قبائلهم في منطقة مترامية الأطراف متباعدة النواحي والأرجاء ، وربما كان من الأسباب الرئيسية تأثر بعض قبائلهم بمن جاورهم من الأمم الأخرى كالأحباش والهنود والروم والفرس وغيرهم

تلك الأسباب وغيرها قد أدت إلى تخالفهم في لغاتهم ومعبوداتهم وتقاليدهم ، وعاداتهم وأنظمتهم المختلفة ، التي نراها واضحة في تاريخ العرب مما حملت به حياتهم البدوية الغابرة .

وليس العرب ـ وحدهم ـ في هذا المضمار ، وإنما يشتركهم فيه غيرهم من الأمم القديمة . كما هو الشأن في لغات مصر القديمة .

وحيث نجد العرب قد اختلفوا في لغاتهم فإن كلامهم قد جاء على درجات من البيان ؛ إذ تراه حافلًا بالأفصح والفصيح اللذين بهما نزل التنزيل ، ثم الردىء والقبيح وكلاهما قد ننزه القرآن الكريم عنهما ، يؤكد لنا ذلك ما روى عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال يومًا لمن حوله : أي العرب أفصح ؟

فقام رجل من السماط فقال : يا أمير المؤمنين قوم ارتفعوا عن فراتية العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ، وتيامنوا عن

عنعنة تميم ، ليس فيهم غمغمة قضاعة ، وطمطمانية حمير ، قال . فمن هم ؟ قال . قومك قريش[1] .

ويشبه ما تقدم ما ورد فى قصة الأعرابى الذى حضر طعامًا صنعه عبد الملك بن مروان ، فأثنى عليه الأكلة ، غير أن الأعرابى فضل عليه طعامًا أكله من ذى قبل ، ثم قصّ قصته ، ثم قال له عبد الملك فمن أنت ؟

قال أنا رجل من أخوالك . بنى عذرة ، قال عبد الملك . أولئك من أفصح العرب[2] .

من ذلك نعلم أن العرب لم يكونوا على درجة من البيان ، بل هم فيه مختلفون ، وقد أدرك ذلك أولوا العلم من اللغويين ، والنحويين فميزوا بين الفصيح وغيره مفردًا كان أو مركبا ، من ذلك قول اللغويين (عُنِيَ) بالبناء للمجهول فى اللغة الفصيحة وعليها اقتصر ثعلب فى الفصيح وحكى صاحب اليواقيت الفتح أيضا (عَنِيَ) وهى غير فصيحة[3]

وعكس البناء للمجهول نجده فى كلمة (شلت) فى قول عاتكة بنت زيد الصحابية تخاطب ابن جرموز قاتل الزبير بن العوام زوجها :

شَلَّتْ يمينك إن قتلت لمسلما
حلت عليك عقوبة المتعمد

قال : شَلَّتْ بفتح الشين أفصح من ضمها[4] .

كما نجد صاحب التاج يعرض لأبواب ولغات الفعل (برأ) فيقول هو مثلث العين فى المضارع : أى أنه يرد من أبواب نصر وضرب وفتح يبرأ ويبرُؤ ويبرِئ ، ثم يقول والفتح أفصح أى يبرأ وهو الغالب فى القياس ثم يقول قال ابن القطاع فى الأفعال وهى أى فتح العين فى المضارع لغة أهل الحجاز والكسر لغة تميم ، قاله اليزيدى واللحيانى فى نوادرهما

وأما الضم (برأ يبرُؤ) فقد نفاه فى الأصول الصحيحة غير واحد من أئمة اللغة ،

(١) غريب الحديث للخطابى ٢ / ٢٥٠ ، والعقد الفريد ٣ / ٣٢٠ ، والمزهر ١ / ١٢٧
(٢) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ٨٥ – ٨٦
(٣) انظر التاج ١ / ٢٠ شرح ديباجة القاموس
(٤) انظر الأدب ١ / ١١٩ ، والمبهج ١ / ١٤٢ ، ومغنى اللبيب تحقيق محيى الدين / ٢٤

قال الزجاج : وقد ردوا ذلك ؛ إذ لم يجئ فيما لامه همزة (فَعَلْتَ أفعُل) بضم عين المضارع ، وقد استقصى علماء اللغة ذلك فلم يجدوه إلّا فى هذا الحرف قال الزبيدى : وكذلك : برا ببرو كدعا يدعو وصرحوا أنه لغة قبيحة ... (١).

هذا ويكاد يتفق العلماء على أن أفصح لغات العرب ما كانت لقبائل وسط الجزيرة دون من كانوا فى أطرافها ، ولهذا كانت لغات القرآن التى نزل بها على لغة أهل الوسط من الجزيرة .. وبذلك لم تؤخذ اللغة إلّا عن الذين نزل القرآن بلغتهم وهم قريش ، لأن الرسول ﷺ منهم ، ثم بنو سعد ابن بكر لأنه استرضع فيهم وأقام بينهم ، ثم ثقيفٌ وخزاعةُ وهذيلٌ وكنانة ، وأسدٌ وضبةٌ ، لقربهم من مكة وترددهم إليها ، ومن بعدهم قيسٌ وألفافُها الذين كانوا وسط الجزيرة (٢).

يؤكد صحة نزول القرآن الكريم ، بأفصح لغات العرب ما روى أن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قدم نافع بن الأزرق الحرورى إلى ابن عباس يسأله عن القرآن فقال ابن عباس . يا نافع ! القرآن كلام الله — عز وجل — خاطب به العرب بلفظها على لسان أفصحها ، فمن زعم أن فى القرآن غير العربية فقد افترى ، قال الله تعالى : « قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيرَ ذِى عِوَجٍ » وقال تعالى : « بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٌ ... إلخ » ما قاله (٣).

فصاحة ما ورد به القرآن الكريم من لغات العرب :

إن ورود أية لغة من لغات العرب منسوبة كانت أو غيرها فى أُسلوب القرآن الكريم عامة إنما يزملها قوة ، ويدثرها فصاحة ، وإن كانت تلك اللغة فى نظر النحاة شاذة أو قليلة ، ذلك لأن القرآن الكريم حجة فى العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة كما هو حجة فى الشريعة ، فالقراءة الشاذة التى فقدت شرط التواتر ، لا تقل شأنًا

---

(١) التاج ١ / ٤٤ ، ثم انظر المزهر ١ / ١٣٣ وما بعدها ترعجما من اللغات الرديئة والمذمومة .
(٢) انظر الإشارة إلى الإيجاز فى أنواع المجاز للعز بن عبد السلام / ٢١٤ وما بعدها والمزهر ١ / ١٢٧
(٣) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى / ١٠

عن أوثق ما نُقِل إلينا من ألفاظ اللغة، وأساليبها، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يكتفى فيه برواية الآحاد[1].

من هنا كان الفعل: استحوذ يستحوذ وبابه من الفصيح فى اللغة لقوله تعالى: «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ» المجادلة الآية ١٩، وقوله: «أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» النساء الآية ١٤١ كما جاء المزيد بالهمزة منه على الأصل مخالفًا لقياس النحاة فى قول لبيد يصف حمارًا وأتانًا:

إذا اجتمعت وأحوذ جانبيها

وأوردها على عوج طِوَال

وفى الصحاح: (استحوذ) جاء بالواو على أصله، كما جاء استروح واستصوب. وقال أبو زيد: هذا الباب كله يجوز أن يتكلم به على الأصل، تقول العرب: استصاب واستصوب واستجاب واستجوب وهو قياس مطرد عندهم.

وقال الزبيدى: استحوذ عليه الشيطان: أى غلب، كما فى الصحاح، ولغة استحاذ وتلك قد أشار إليها أبو زيد قبل.

وفى المحكم: قال النحويون: (استحوذ) خرج على أصله، فمن قال: حاذ يحوذ لم يقل إلَّا: استحاذ، ومن قال: أحوذ فأخرجه على الأصل، قال: استحوذ، وهو من الأفعال الواردة على الأصل شذوذًا مع فصاحتها، وورود القرآن بها[2].

وكذلك الأمر فى لغة هذيل حيث رفعوا المستثنى فى الإيجاب، نحو قولهم: قام القوم إلَّا زيدٌ برفع زيد وذلك لورود القرآن الكريم بها، قرأ عبد الله والأعمش وأُبَىّ قوله: «فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ» بالرفع مع أن القياس وجوب النصب فى لغة الجمهور.

وقد خرجوا على هذه اللغة ما رواه الدارقطنى من قوله عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة — إلَّا امرأة أو مسافر أو عبد أو مريض» برفع ما بعد إلَّا بعد الموجب، وحديث:

---

(١) انظر أسلوب القرآن الكريم للشيخ عضيمة ١ / ٢

(٢) انظر الصحاح ثم التاج مادة (حاذ) وشرح الشافية ٣ / ٩٦، ٩٧

« كلكم مُعافًى إلَّا المحاهرون » ، وما ورد فى صحيح السحارى · « فلما تفرقوا أحرموا كلهم إلَّا أبو قتادة » برفع أبو بعد إلَّا والقياس فى كل أولئك النصب

وفى حاشية يس على التصريح قال وظاهر كلام ابن مالك أن ذلك (أى الرفع) حائز فى لغة الجمهور ، فإنه قال : قال أبو الحسن بن عصفور · فإن كان الكلام الذى قبل إلَّا موجبًا حار فى الاسم الواقع بعد إلّا وجهان · أفصحهما النصب على الاستثناء ، والآخر أن تجعله مع إلَّا تابعًا للاسم الذى قبله ، فتقول · قام القوم إلا زيدًا بنصبه أورفعه ، وعليه يحمل قوله « فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيل » بالرفع[1]

ويظهر لنا من قول ابن عصفور السابق أن رفع (قليل) فى الآية فصيح مع كونه شاذا فى القياس ، وهنا يبدو لنا أحيانا أن الرفع بعد الإيجاب فصيح والنصب أفصح ، أما الرفع والنصب بعد الكلام التام المنفى فى نحو · ما قام القوم إلَّا زيدٌ وإلَّا زيدًا فمتساويان فى الفصاحة .

هذا وللنحاة فى تخريج رفع (قليل) فى قوله (فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيل) تخريجات عده أهمها مذهبان :

الأول : حمل الإيجاب على النفى وهو مذهب الزمخشرى حيث قال · وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبًا وهو باب جليل من علم العربية ، فلما كان معنى . (فَشَرِبُوا مِنْهُ) فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل ، فلم يطيعوه إلَّا قليل منهم . . والمعنى : أن هذا الموجب الذى هو (فَشَرِبُوا مِنْهُ) فى معنى النفى ، كأنه قيل فلم يطيعوه ، فارتفع قليل على هذا المعنى ، وإن لم يلحظ فيه معنى النفى لم يكن ليرتفع ما بعد إلَّا .

وعلى ما ذهب إليه الزمخشرى يكون الرفع قياسًا لأنه بعد كلام تام منفى ، وهذا من جار الله انتصار للقاعده ومحل اتفاق بين الجمهور وبينه .

قال أبو حيان . وما ذهب إليه الزمخشرى من أنه ارتفع ما بعد إلَّا فى قوله · « فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيل » على التأويل هنا دليل على أنه لم يحفظ الإتباع بعد الموجب فتأوله .

---

(١) انظر حاشية يس على التصريح ١ / ٣٤٨ وما بعدها .

الثانى · أن الرفع بعد الإيجاب لغة ، وقد عـزاها الجوهرى لهذيل عند قول أبى خراش الهذلى ·

أمسى سَقَامٌ(١) خلاءً لَا أنيس به
إلَّا السباعُ ومرُّ الريح بالغُرف

ويروى إلَّا (الثامُ) قال أبو عبيدة الهذلى يرفع ألَّا الثامُ ، وغيره ينصبه ، وفى اللسان ويروى إلَّا الثام ، وأبو عمرو يرفع (الثام) وغيره ينصبه

وقال أبو حيان ما قاله ابن عصفور من قبل وهو : إذا تقدم موجب جاز فى الذى بعد إلَّا وجهان . أحدهما النصب على الاستثناء وهو الأفصح والثانى . أن يكون ما بعد إلَّا تابعًا لإعراب المستثنى منه ، إن رفعا فرفع ، أو نصبا فنصب ، أو جرًا فجر ، فتقول :

قال القوم إلَّا زيدٌ – ورأيت القوم إلَّا زيدًا – ومررت بالقوم إلَّا زيدٍ . وسواء أكان ما قبل إلَّا (يعنى المستثنى منه) ظاهرا كما فى الأمثلة أو مضمرًا : أى كما فى الآية .

ومما جاء من الشعر على لغة الرفع بعد الوجب قول الشاعر ·

وكل أخٍ مُفَـارقه أخوه
لعمر أبيك إلَّا الفرقدان

برفع الفرقدان ، وكان القياس أن ينصبه بالياء دون كسر للبيت ولا ضرورة تدعو إليه ، ويمكن لنا حمله على لغة من يلزم المثنى الألف . فيكون منصوبًا بالفتحة المقدرة عليها(٢) .

وبعد

فإن قراءة الرفع فى (قليل) من قوله « فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيل » بعد الكلام الموجب فصيحه . لأن لها وجهًا ظاهرًا حسنًا فى العربية على كلا المذهبين .

فالزمخشرى قد تأول الإيجاب فى (فَشَرِبُوا) على معنى النفى لدلالة السياق عليه ، والتقدير · فلم يطيعوه إلَّا قليل ، ومتى

---

(١) سقام · اسم واد .

(٢) انظر الصحاح للجوهرى مادة (سقم) والبحر ٢ / ٢٦٦ ، ودراسات فى أسلوب القرآن الكريم للشيخ عضيمة ١ / ١٥٢ وما بعدها ، والهمع ٢ / ٢٢٥ ، ومغنى اللبيب بتحقيق الشيخ محيى الدين / ٢٧ ؛

كان الكلام تامًّا منفيًّا فإنه يجوز فيما بعد إلّا النصب والرفع على السواء، نحو: ما قام القوم إلّا زيدًا، وإلّا زيدٌ بالنصب على الاستثناء، والرفع على الإتباع، وقد احتج للإيجاب الذى يجيء بمعنى النفى بقول الفرزدق:

وعض زمان يابن مروان لم يدع
من المال إلّا مسحتا أومجلف

إذ التقدير: لم يبق من المال إلّا مسحت أو مجلف.

ووجهها على ما ذهب إليه الفراء. وابن عصفور وابن مالك ثم أبو حيان وغيرهم أن الإيجاب باق على حاله، وأن المرفوع بعد إلّا مبتدأ خبره إما محذوف كما فى الآية إذ التقدير: إلّا قليل لم يشربوا، والمبتدأ وخبره فى محل نصب على الاستثناء، وإما مذكور فى الكلام نحو قول ابن أبى قتادة: «كلهم أحرموا إلّا أبو قتادة لم يحرم»، فالجملة من المبتدأ والخبر فى محل نصب على الاستثناء(1)

وجملة الاستثناء تلك مما فات المتقدمين، وقد استدركها عليهم ابن هشام، وهى مما تركه الأوائل للأواخر.

هذا ومن غريب الإعراب فى باب الاستثناء ما ذهب إليه فريق من النحاة من أنه يجوز فى الاستثناء المفرغ نصب ما بعد إلّا نحو: ما زيدٌ إلّا قائمًا.

قال ابن هشام. اختلفوا فى الخبر المقرون بإلّا بعد (ما) على أربعة أقوال:

أحدها: وجوب الرفع مطلقًا، وهو قول الجمهور نحو. ما محمد إلّا رسولٌ، ووجهه أنها عملت لشبهها بليس فى النفى، وقد انتقض بإلّا فزال الأمر الذى أعملت من أجله.

الثانى: مذهب ابن يونس جواز النصب مطلقًا، ووجهه الحمل على ليس.

الثالث: مذهب الفراء، وهو جواز النصب بشرط كون الخبر وصفًا فيجيز: ما زيد إلّا قائمًا، ويمنع: ما زيد إلّا أخاك.

---

(1) انظر التصريح بحاشية يس 1 / 348 وما بعدها والبحر 2 / 266

الرابع : مذهب جمهور الكوفيين جواز النصب بشرط كون الخبر مشبهًا به ، فيجيزون . ما زيد إلّا زهيرًا ، ويمنعون : ما زيد إلّا قائمًا .

وعلى الآراء الثلاثة الأخيرة أجاروا نصب (أغنّ) فى قول كعب بن زهير :

وما سعاد غداة البَيْن إذ رحلوا
إلّا أغنّ غضيض الطرف مكحول (١)

والقياس الرفع على الأشهر .

وأود أن أُشير إلى أنه إذا كانت العرب لغتان فى شيء ما إحداهما فصيحة شائعة والأُخرى غير شائعة ، فإن القرآن الكريم قد نزل بالشائعة دون غيرها كورود (ذو) بمعنى صاحب فيه ، ولم ترد (ذو) الطائية التى بمعنى الذى .

وإذا وردت لغتان فصيحتان لظاهرة ما إلّا أن إحداهما كثيرة والأُخرى قليلة ، فإن الأُسلوب القرآنيّ قد ورد بهما معًا مشيرًا إلى الكثيرة بكثرة استعمالها وإلى القليلة بقلة استعمالها وذلك مثل لغة إلزام المثنى الألف ، وإلزام جمع المذكر السالم الواو أو الياء ، وقد وفيت ذلك حقه من القول فى جمع المذكر السالم دراسة ونقدًا .

كما أنه إذا كانت لبعض المركبات عدةُ استعمالات فإن الأسلوب القرآنيّ قد جاء بأفصحها وترك الذى دونه ، من ذلك إضافة المثنى إلى المثنى فقد استعملته العرب على لغات ثلاث :

الأُولى : جمع المضاف مع تثنية المضاف إليه نحو : حيا الله وجوهكما ، وهذه هى اللغة العالية ، وبها ورد القرآن الكريم فى قوله « فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا » (التحريم الآية ٤) ، وقوله : « قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا » (الأعراف/ ٢٣) ، وقوله « فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا » (المائده / ٣٨) .

الثانية : تثنية كل من المضاف والمضاف إليه ، نحو : ضربت رأسى الرجلين ، وعلى هذه اللغة جاء قول الفرزدق :

* بما فى فؤادَيْنا من الشوق والهوى *

وقول أبى ذؤيب الهذلى :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ
كنوافذ العُبُطِ التى لا ترقع

---

(١) انظر شرح بانت سعاد لابن هشام / ١٦

وبالغتين ورد قول هميان بن أبي قحافة

ومهمهين قذفين مرتين

ظهراهمـــا مثلُ ظهور الترسين

فثنى فى (ظهراهما) وجمع فى (ظهور)

الثالثة · وهى دون الأُولى والثانية إفراد المضاف نحو ضربت رأس الرجلين وشققت بطن الحملين ، وعليها أنشدوا قول الشاعر ..

كأن وجه تركيين قد غضبا

مستهدفين لطعن غير تذبيب

هذا وللنحاة فى تخريج الأُولى والثالثة مذهبان :

الأول : أنهم استغنوا بالجمع وبالمفرد عن المثنى : أى أنهما نابا عن المثنى ، وهذه تثنية معنوية ذكره ابن الشجرى .

الثانى : أن الجمع والمفرد قد اكتسبا التثنية من المضاف إليه[1] .

وبعد هذه الديباجة أعود إلى ما نحن بسبيل بيانه من مظاهر اختلاف اللسان العربى فى لغات القبائل ، العربية ، هذه المظاهر أراها تتفق ووجوه القراءات فى القرآن الكريم وقد أشار السيوطى إلى بعضها[2] وها هى على وجه الإجمال .

اختلافات فى الإعراب والإستعمال ، والصيغ ، والفك والإدغام والتذكير والتأنيث ، والمد والقصر والإعلال والإبدال والقلب ، والنقص والإتمام ، والحركات وبالحركة والسكون ، والتثقيل والتخفيف والإسناد ، والإعمال والإهمال والترداف والأشتراك والتضاد ، وتعدى الفعل ولزومه ونيابة الحروف بعضها عن بعض ، والهمز والتليين والجموع والمصادر . . الخ .

هذا – ولايفوتنى هنا أن أذكر أن كل لون من هذه الاختلافات جدير بدراسته دراسة وافية ، غير أنه يكفينى هنا الإشارة إلى بعضها وحسبى أنى بين علماء فطناء يكتفون بالإشارة عن العبارة وبالتلميح عن التصريح .

الاختلاف فى الإعراب .

هذا المظهر يتناول البحث فيه نوعى المعربات : الأسماء منها والأفعال .

---

(١) انظر الأمالى الشجرية ١ / ١١ وما بعدها ، والهمع ١ / ٥٠ وما بعدها ، والدرر ١ / ٢٥ وما بعدها وإعراب الحديث للعكبرى / ١٢٧

(٢) انظر المزهر للسيوطى ١ / ١٥٢ وما بعدها .

أولًا · الأسماء :

إن من يسعم النظر فى الكلام العربى . نثره وشعره ، يتبدى له بعض الأحيان مايوهم إهمال الإعراب فى الفصحى بل والاضطراب فى أصولها وقواعدها ، فيتخذ من ذلك سلاحًا للطعن على النحاة ، ومعولًا يهدم به أصولهم بالتشكيك فيها تارة . والدعوة إلى الميل أو الإعراض عنها . والتسفير منها تارة أخرى ، ثم تراه بعدُ يدعو إلى الحكم بما عَنَّ له من مثال أومثالين من النوادر على الأكثر والأشيع ، وهذا — لعمرى — فى القياس غريب ، فأنى لعاقل أن يحكم بما القليل على الكثير أو الأكثر ، بينما العكس هو الحق والمنطق البيِّن ، والأول هو الباطل المسهلل .

لقد فطن أولو العلم من النحاة قبلنا إلى تلك اللغات التى خالفت فى ظاهرها اللغة العالية ، فوجدوا أن أكثر مما تستعمل فيه الشعر ، فوسموها بالشذوذ والندرة والقلة ، أو أنها لثغة أو لعبة بالتصغير تقليلًا من شأنها .

من هنا نلمس أن أكثر لغات القبائل إنما يدور فى فلك الفصحى وهى التى بنى النحاة عليها أصولهم ومقاييسهم . ومنها ينطلق المحققون من العلماء . وبها ينتقد الفصحاء . أما مادونها فيستوى فيه الماء والحتسة . ولا يشيع إلَّا على ألسنة العامة والجهلة .

لذلك يحق لنا أن نجزم بأن قواعد النحاة — ولاسيما أهل القياس — لم تبن إلَّا على الفصيح والأفصح . أما القليل . والنادر من لغاتهم فليس بشىء يعول عليه .

من ذلك ماورد فى حذف حركة الإعراب من الاسم المفرد فى بعض الشواهد وصلًا ووقفًا أما وصلًا فنحو قول الأقيشر ابن عبد الله الأسدى .

تقـــول ياشيخ أما تستحى
من شربك الراحَ على المكبر
فقلت لو باكرتِ مشمولة
صفْرا كلون الفرس الأشقر
رحتِ وفى رجليك ما فيهما
وقد بدا هَنْكِ من المئزر

والقياس هَنُكِ بضم النون لأنه فاعل بدا ، وقد عد سيبويه حذف حركة الإعراب

من (هن) ضرورة[1] ، وظاهر كلام السيوطى أنه لغة ، وسوف استوفى الكلام عليها بعدُ عند إعراب الفعل الصحيح الآخر .

أما وقفًا ، فبينما جمهور العرب يقفون على المنصوب المنون بتحويل تنوينه ألفًا نحو . رأيت حسينًا ، إذ ربيعة تقف عليه بالسكون قياسًا على المرفوع والمجرور نحو : رأيت حسينْ واحتجوا اللغة ربيعة هذه بقول الأعشى ميمون يمدح قيس بن معدى كرب :

إلى المرء قيس أطيل السُّرى
وآخذ من كل قبيلة عُصُمْ

وكان من حق الفصحى أن يقول : عُصُمًا ، لأنه مفعولُ (آخذ) كما تقف عليه — بالروم — أيضًا — وهو إخفاء الصوت — بالحركة .

وقد استعمل ابن مالك لغة ربيعة في منظومته ، فسكن (عمل) في قوله :

إن عاملان اقتضيا فى اسم عمل
قبل فللواحد منهما العمل[2]

(فعمل) مفعول به لاقتضى المحذوف بعد (إن) والذى فاعله (عاملان) ، وقد وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة[3] .

كما جاء على لغة ربيعة من المنقوص المنون نصبًا قول امرئ القيس يصف ناقته :

تحدى على العلات سام رأسها
روعاء مَنْسِمُهَا دامى

جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى
إنِّى امروٌ صرعى عليك حرام

---

(١) انظر الدرر ١ / ٣٢ ، والهمع ١ / ٥٤ والمحتسب ١ / ١١٠ والكتاب ٢ / ٢٩٧ ، والخصائص ١ / ٧٤ ، ٣ / ٩٥

(٢) الألفية / ٢٥ باب التنازع .

(٣) انظر التبصرة والتذكرة للصيمرى ٢ / ٧١٨ ، وشرح الكافية للرضى ١ / ٢٩٥ ، وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ٤٨ ، ٢٦١ ، وشرح الشافية للرضى ٢ / ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٣١٦ ، وشواهد الشافية / ١٩١ ، ١٩٨ ، والدرر ٢ / ٨٥ ، ٨٦ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، والتصريح بحاشية يس ٢ / ٣٣٨ ، وشرح ابن عقيل بحاشية الخضرى ١ / ١٢٨ ، وشرح الشافية ١ / ١٧٦ ، ١٧٧ حاشية عبادة على الشذور ١/٥٢ ، ٩٠

قال ابن الشجرى فسام في موضع نصب على الحال ولكنه أسكنه ضرورة، كقول بشر بن أبى حازم الأسدى

كفى بالنأى من أسماء كافى
وليس لحبها إن طال شافى

والأصل فيهما . ساميًا وكافيًا، وقال البعدادى فى تخريج بيت بشر : إن الوقف عليه بالسكون لغة .

ومن ذلك أيضًا ما أنشده سيبويه لبعض السعديين :

* يا دارَ هندٍ عفت إلَّا أثافيها[1] *

والأصل : إلَّا أثافِيها بفتح الياء، لأنه استثناء، وحق يائها النصب، ولكن قائل هذا يفعل بالمنقوص نصبًا ما يفعله بالمرفوع والمجرور من حذف الحركات، وكقول الشاعر :

وكسوتِ عارِى لحمِهِ فتركتِهِ
جذلًا يُسحِّبُ ذيلَه ورداءه

قال أبو حيان فى شرح التسهيل وتقدير الفتحة فى منصوب هذا المنقوص من القرائن الخمس عند جمهور النحاة، وزعم أبو حاتم أن ذلك لغةٌ فصيحةٌ . ومنه - أيضًا - قول الآخر

ولو أن واشٍ باليمامة داره
ودارى بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا

وكان من حق اللغة العالية أن يقول الشاعر (واشيًا) لأنه اسم (إنَّ) إلا أنه أجرى المنصوب مجرى المرفوع والمجرور على لغة ربيعة ، وعلى هذه اللغة خرج النحاة قراءة بعضهم قوله تعالى . « مِن أوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهَالِيكُمْ » (المائدة / ٨٩) ، بإسكان الياء ، والقياس فَتْحُها[2] .

أما أزد السراة أو أزدُ شنوءة فإنهم يقفون على المنون المرفوع والمجرور بإبدال

---

(١) ويحتمل تسكين ياء أثافيها على أنها بدل من الفاعل على لغة هذيل على حد قراءة قوله « فشربوا منه إلا قليل » حيث يرفعون المستثنى فى الإيجاب

(٢) انظر الهمع ١ / ٥٣ ، والدرر ١ / ٢٩ ، ١٢٩ ، وشرح الشافية للرضى ٢ / ٣٠١ وخزانة الأدب للبغدادى ٢ / ٢٦١ ، والأمالى لابن الشجرى ١ / ٢٧ ، ومختارات ابن الشجرى ٢ / ٢٦ ، وشواهد الشافية للبغدادى ٧٠ ، وضرائر الشعر للقزاز القيروانى / ١٣٩ ، والكتاب لسيبويه ٢ / ١٥٥ ، والخصائص لابن جنى ١ / ٣٠٧

تسويتهما واوًا فى المرفوع وياء فى المجرور قياسًا على المنصوب عند جمهور العرب . فيقولون : هذا زيدو ، ومررت بزيدى قياسًا على قول الجمهور : رأيت زيدًا (1) .

هذا – ويجرى جمع التكسير فى الوقف عليه عند ربيعة وأزد السراة مجرى المفرد فيقال . رأيت رجالْ على لغة ربيعة وقفًا ، وهؤلاء رجالو ، ومررت برجالى عند أزد السراة .

وربما يزعم من لا دراية له بأسرار العربية وفنونها وطرائقها أن الإعراب لم يك ظاهرة عامة فى كل قبائل العرب ، منطلقًا فى ذلك من وقوف ربيعة على المنصوب المنون – بالسكون – كما بينت – ويدفع هذا الزعم الذى لا يعبأ به ولا نعول عليه فى نظام العربية ، بأن ربيعة كانت معربة كغيرها من قبائل العرب ، وأن الذى حدث فى لغتها ، وندرت به على غيرها من أخواتها إنما يختص بحال الوقف لا غير ، إذ المعتمد عليه فى كلام العرب الوصل فهو الذى عليه يعقل الكلام واستمراره . وفيه تصح وجوهه ومقاييسه بخلاف البدء والوقف ، كما أن تسكين ربيعة لم يك شائعًا فى كل العرب أو فى جل كلامهم فهو قليل أو أقل من القليل وخاص بحال غير عام فى الكلام والأخذ فى هذه اللغة إنما هو بالأكثر استعمالًا .

كما أن الوقف باب يكثر فيه التغيير ، ويقع فيه ما يقع فى الفواصل والقوافى ، والضرائر من الحذف والزيادة والهمز ، والتليين والتخفيف والتشديد والنقل . والإبدال والروم والإشمام والاختلاس ... إلخ والعرب فيه توسّع وتلعب بما لا ينفع والأصولَ النحوية ، ولا يندرج تحت قاعدة مشهورة من قواعد النحويين ، إذ يباح فى الوقف ما لا يباح فى الوصل ، وعليه فلا يجوز – قياس وقوف العرب على وصولها !!!

فضلا على ذلك أنه كان لربيعة نوع من القياس المقبول حيث حملت المنصوب على المرفوع والمجرور المنونين حال الوقف عليهما عند جمهور العرب ، وكذلك أزد السراة – أيضا – حملتهما حملا طريفا على المنصوب المنون عند

---

(1) انظر الكتاب 2 / 155 والتبصرة والتذكرة للصيمرى 1 / 435 ، 2 / 711 ، وشرح الشافية 2 / 214 ، 280 والتصريح حاشية يس 2 / 338

الجمهور ، فحولت التنوين واوا فى نحو هذا زيدو ، وياء فى نحو : مررت بزيدى ، وكلا ذلك له وجه مقبول ، ولايقدح فى المشهور .

ويحتمل عندى أن تكون أرد السراة حذفت التنوين رفعا وجرا كما هو مذهب جمهور العرب ، إلا أنها مطلت الضمة فتولد عنها الواو ، ومطلت الكسرة فتولد عنها الياء كقول الشاعر .

* حوثما سلكوا أدنو فأنظرر *

أراد فانظر ، وقول الآخر .

* سقيت العيث أيتها الخيامو *

أراد : الخيام ، وقراءة بعضهم « ملكى يوم الدين » وعليه تكون أرد السراة من القبائل التى تمطل الحركات أى تشبعها فيتولد عنها حرف العلة

أما مظاهر الاختلاف الأخرى فكثيرة – كما أشرت سلفا – غير أنى أكتفى بضرب مثال لكل منها – بحيث يسرر لنا من خلاله وجه الخلاف بين قبيل وقبيل وها هى على النحو التالى .

أولا : الإبدال أو التعاقب فى الأصوات :

فمثلا الفعل لسقَ به والتسق ، ورد فى عينه السين والصاد والزاى على التعاقب أو الإبدال لكونها أخوات فى الصفير فيقال فيه لسق به والتسق ، ولَصق به والتصق ، ولزق به والتزق ، فالزاى لربيعة والسين لقيس ، والصاد لتميم ، والزاى أفصحها[1] .

وروى عن الأصمعى قال اختلف رجلان فى الصقر . فقال أحدهما الصقر بالصاد . وقال الآخر السقر بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما . فحكيا له ماهما فيه ، فقال لا أقول كما قلتما ، إنما أقول الزقر . قال ابن جنى أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة . كيف أفاد فى هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها[2] وهذا يدلنا

(١) انظر التاج ٧ / ٦١

(٢) الخصائص ١ / ٣٧٤ ، والاقتراح للسيوطى / ٦٨

على أن اختلاف الأصوات فى الكلمة الواحدة من تعدد اللغات والواضعين .

ومثل ما تقدم الصراط، وأصله بالسين من السرط ، وهو اللقم ، والصاد هى الفصحى وهى لغة قريش وبها قرأ الجمهور ، والزراط بالزاى لغة رواها الأصمعى عن أبى عمرو ، وإشمامها زايا لغة قيس ، وقال أبو على روى عن أبى عمرو السين والصاد والمضارعة بين الزاى والصاد . . .[1]

والإبدال من الأبواب التى توسعت فيها العرب ، وكثرت فيها اللغات ، من ذلك تصرفهم فى الحروف المضعفة على النحو التالى :

أولا : تحويلهم أول المضعف حرف علة نحو (إيما) فى (إمّا) العاطفة نحو قول الشاعر :

لاتفسدوا آبالكم إيما لنا إيمالكم

وفى كل ماجاء من الأسماء على وزن (فِعّال) بكسر الفاء غير مختوم بالهاء نحو : ديماس (الكنّ والحمام) وديباج (ما يتخذ من الإبريسم) وديسار وقيراط وشيرار . . . إلخ .

قال الرضى : وهذا الإبدال قياس ؛ إذ لايجىء (فِعّال) غير المصدر إلا وأول حرفى تضعيفه مبدل ياء ؛ فرقا بين الاسم والمصدر ، ولا يبدل فى المصدر فى نحو (كذّب كِذّابا) .

أما إذا كان الاسم مختوما بالهاء ، فلا يبدل أول مضعفه لأمن اللبس نحو : الصِّنّارة . (شجرة تعظم وتتسع) ، والدنّامة : (القصير من كل شىء) فلا يجوز أن يقال فيهما : صينارة ، ولا دينامة[2]

ثانيا : تحويل ثانى المضعف حرف علة مع بقاء صيغة الفعل الأصلية نحو (أمَلّ) فهو بتضعيف العين واللام فى لغة أهل الحجاز وبنى أسد ، ومنه فى التنزيل نحو قوله : « وليملل الذى عليه الحق . . . فليملل وليه بالعدل .. » (البقرة ٢٨٢) ومصدره إملال ، وتميم

(١) البحر ١ / ٢٥ ، والقرطبى ١ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، وشرح الشافية ٣ / ٢٣٣ ، وغريب الحديث للخطابى ١ / ٣٨٣ ، والاقتراح للسيوطى / ٦٨ ، وحجة القراءات لأبى زرعة / ٨٠ ، وأدب الكاتب / ٣٧٦

(٢) انظر شرح الشافية للرضى ٣ (٢١٠ ، ٢١١

تبدل اللام حرف علة فيقولون (أملى) ومنه فى القرآن الكريم قوله «فهى تملى عليه بكرة وأصيلا» (الفرقان ٥) والمصدر إملاء ؛ وصيغة الفعل قبل الإبدال وبعده على اللغتين واحدة وهى (أفعل)(١)

ثالثا : ماورد فيه ثلاثة أحرف من جنس واحد وكان على (فَعَّل أو تفَعَّل) وللعرب فيهما حالان

الأولى : تحويل فى الصوت دون الصيغة نحو (دسّى) من قوله تعالى «وقد خاب من دساها» (الشمس ١٠) . و (يتمطى) فى قوله «ثم ذهب إلى أهله يتمطى» (القيامة ٣٣) والأصل فيهما : دسس . ويتمطط فحول الحرف الثالث حرف علة كراهة توالى الأمثال ، ومنه قول الشاعر

وأنت الذى دسيت عمرا فأصبحت
حلائلُهُ منه أرامِلَ ضُيَّعا

قال أهل اللغة : والأصل دسسه من التدسيس ، وهو إخفاء الشىء فى الشىء ؛ فأبدلت سينه ياء . كما يقال : تقَضَّيتُ أظفارى ، وأصله تقَضَّضْت أظفارى . ومثله قولهم فى تقضض : تقضَّى . ومنه قول العجاج

إذا الكرام ابتدروا الباع بدر
تقضِّىَ البازى إذا البازى كسر

أراد تَقَضُّضَ(٢) وهنا نجد الصيغة واحدة قبل الإبدال وبعده . إذ كل من دسس ودَسَّى على وزن (فعّل) . وكل من يتمطط ويتمطى على وزن (تفعّل يتفعّل)

الثانية : تحويل فى الصيغة تبعا لتحويل ثانى المضعف حرفا صحيحا من جنس أول كلمته . وذلك نحو خشش وخشخش . ومنه قول علقمة

تخشخش أبدان الحديد عليهم
كما خشخشت يبسَ الحصاد جنوبُ

---

(١) انظر القرطبى ٣ / ٣٨٥ ، ١٣ / ٣ ، والنوادر لأبى زيد / ٤٥ ، أدب الكاتب / ٣٧٦ ، والصحاح مادة (ملل)

(٢) انظر القرطبى ٢٠ / ٧٧ ، والمحرر ٨ / ٤٧٧ ، وأدب الكاتب / ٣٧٦ والتاج مادة (دسس) ، ومعانى القرآن للفراء ٣ / ٢٦٧

وأصله : تختتش ، (ورن تَمَعَّل ، فتحول إلى تختشخش على وزن تفعلل) ومه خضخض في قول الآخر .

وخضخض فيسا السحرَ حتى قطعنه
على كل حالٍ من عُمارٍ ومن وَحْلِ

ومثاهما قَصَّض وتقصقص في الحديث «أنه لما خرج إلى أحد ، جعل نساءه في أطم ، قالت صفية بنت عبد المطلب : فأطلَّ علينا يهوديّ ، فقمت إليه ، فضربت رأسه بالسيف ، ثم رميت به عليهم فتقضقضوا . الحديث » من القَضّ ، وهو كسر الشيء ، وتفريق أحزائه ، ومعناته : تفرقوا[1] .

وبهذا يتبين لنا أن العرب حولت فَعَّل إلى فعال ، وتَفَعَّل إلى تفعلل .

ثانيا : الاختلاف بالتصحيح والإعلال .

فبينما نجد أهل العالية يقولون (قصوى) دون إعلال الواو ياء في (فُعْلَى) صفة استصحابا بالأصل ، إذا أهل نجد يقولون فيها (قصيا) بإعلال الواو ياء للتخفيف حيث اجتمع عليها الثقيلان الضمة على الفاء وكون اللام واوا زيادة على كونها صفة ، والصفة أثقل من الاسم[2] وباللغتين ورد القرآن الكريم في قوله « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى » الأنفال / ٤٢

فالدنيا أُعِلَّت لامها ياء على لغة أهل نجد حيث أصلها (دُنْوَى) . و (قصوى) جاءت على الأصل في لغة أهل العالية ، إلا أن قصيا أفصح من قصوى ، ومن هنا يتبين لنا أن القرآن الكريم قد جاء مشتملا على الأفصح والفصيح من لغات العرب . وقصوى عند سيبويه شاذة قياسا واستعمالا ، وعند الأخفش قياس .

ومن ذلك الفصيح الذي خالف قواعد النحاة ،وقد ورد في الأسلوب القرآني ، الفعل (استحوذ) في قوله « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . . . » المجادلة / ١٩ ، ومضارعه يستحوذ في

---

(١) انظر غريب الحديث للخطابي ١ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، وأدب الكاتب / ٤٠٠ ، ٤٢٢

(٢) انظر المشوف المعلم للعكبري / ٦٤٢ ، وشرح شواهد الشافية / ٣٨٣

قوله « قالوا ألم نستحوذ عليكم » النساء / ١٤١

فاستحود يستحود قياسها على لغة عامة العرب · استحاذ يستحيذ كاستقام يستقيم إلا أنه جاء على الأصل مع فصاحته ، إلى عير دلك مما خالف القياس وفصح فى الاستعمال ، ومثل هذه اللغات التى ، لولا نرول القرآن الكريم بها لافتقدناها من لغات العرب ، ولأصبحت فى عداد المهجور والمتروك من اللغات ، وذلك بسبب تحكمات أهل القياس .

أكثر أهل الحجاز ، ولاسيما قريش ، روى عن أمير المؤمنين عليّ – رضى الله عنه – «نزل القرآن بلسان قريش ، وليسوا بأصحاب نبر . (أى همز) ، ولولا أن جبريل أُنزل بالهمزة على النبى –صلى الله عليه وسلم– ماهمزنا » وحققها غيرهم ، والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف والتخفيف استحسان .

ومن شعر قريش الذى بدا فيه التخفيف أو التليين قول زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى ·

سالتانى الطلاق إذ رأتانى
قل مالى قد جئتما بنكر

أراد . سألتانى فخفف الهمزة بإبدالها ألفًا (١)

غير أنه قيل لإبراهيم بن هرمة القرشى– (وهو آخر من يحتج بكلامه من الإسلاميين) – : إن قريشا لاتهمز فقال : لأقولن قصيدة أهمزها بلسان قريش ، وهذه القصيدة مطلعها

إن سليمى ، والله يكلؤها
ضنت بشىء ما كان يرزؤها

فهذا لايطعن فى حديث (علىّ) السابق فإن العربى كان يجمع إلى لغته لغتين أو ثلاثا .

ثالثا . اختلاف لغاتهم بالهمز والتليين أو التسهيل :

من ذلك الفعل (بدأ) فقد ذكر الزبيدى له ثلاثة مصادر . (البدء ، والبدأة

(١) شرح الشافية للرضى ٣ / ٣٢ ، المحتسب لابن جنى ١ / ٩٠

امدءة) ، الأخيرة مثلثة الساء ممدودة .
وفيها (الداهة) على البدل كما
أبدلت الهاء همزة فى ماء على التقارض .
وأمّا الداية بإبدال الهمزة ياء فقد
قال ابن القطاع هى لغة أنصارية من
(بدأت بالشيء وبديت به) . أى
قدمته . وأنشد قول ابن رواحه .

باسم الإله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا[1]

ومن لغتهم أيضا (بَدِى) كـ (بَقِى)
لغة أنصارية ، وهذا يدل على أن الأنصار
كغيرهم من أهل الحجاز كانوا يسهلون
الهمز . (أى لايبرون) إلا قليلا .
يوضح لنا ذلك قول حسان بن ثابت –
فى وفد هذيل إلى رسول الله – صلى
الله عليه وسلم – يطلبون إباحة الفاحشة – .

سالت هذيل رسول الله فاحشة
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

سألوا رسولهم ماليس معطيهم
حتى الممات وكانوا سُبَّةَ العرب

ولن ترى لهذيل داعيا أبدا
يدعو لمكرمة عن منزل الحرب

لقد أرادوا خلال الفحش ويحهم
وأن يحلوا حراما كان فى الكتب[2]

فقد ألان الهمزة بإبدالها ألفا فى
(سالت . وسالوا)

قال الرضى اعلم أن الهمزة لما
كانت أدخل الحروف فى الحلق ولها
نبرة . (أى صوت مرتفع) كريهة
تجرى مجرى التهوع . (أى تكلف
القىء) ثقلت بذلك على لسان المتلفظ
بها . فخففها قوم . وهم كما صرح
بذلك ابن جنى فى باب تداخل اللغات[3]

أو أن قريشا كانت لاتَهْمِز قبل نزول
القرآن ، فلما نزل جبريل بالهمز عَلَى

(١) زعم ابن أبي الحجاز لا ... الا فيما ... إلى هذيل من ... فى ... . الى ...
الشيء ... الخ إلا أنه ممكن لنا أن نخرج (بدينا) بإبدال الهمزة ياء لمشاكلة (شقينا)

(٢) انظر التاج (سأل) ، ديوان حسان / ٢٦٣ ضرائر الشعر للقيروانى / ٢٠٥ شرح الشافية ٣ / ٤٨ ،
شرح شواهد الشافية / ٣٣٩ وما بعدها

(٣) انظر الخصائص ١ / ٣٧٤

النبيّ عليه السلام تعلموه، حيث يسر الله كتابه لعباده كما قال . « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » القمر / ١٧ .

ويدل على أن ابن هَرْمَةَ قد نطق بغير لغة قومه ماذكره صاحب المصباح من لغة قريش فى الفعل (كلأه يكلؤه) فإن قريشا تقول كَلِيتهُ أكلاه بغير همز من باب تعب[1]

كما أن أهل الحجاز كان لهم تحقيق لبعض الهمزات . قال سيبويه واعلم أن الهمزة التى يحقق أمثالها أهل التحقيق من بنى تميم وأهل الحجاز إلخ[2]

وهذا يدل دلالة واضحة على أن أهل الحجاز كان لهم تحقيق بعض الأحيان

رابعا الاختلاف فى المصادر

يقول السيوطى والمصادر كثيرة التصاريف جدا . وأمثلتها كثيرة مختلفة وقياسها غامض . وعللها خفية . والمفتشون عنها قليلون . والصبر عليها معدوم . فلذلك توهم أهل اللغة أنها تأتى على غير قياس . لأنهم لم يضبطوا قياسها . ولم يقفوا على غورها[3]

وأود أن اذكر هنا أن المصادر تلعب دورا خطيرا فى بيان باب الفعل أو معناته .

من الأول الفعل (هلك) فقد وردت له مصادر ثلاثة هى . هَلْكٌ . وهلاكٌ وهُلُوك . فالأول منها (هلْك) بسكون اللام يدل على أن فعله من باب ضرب يقال هَلَكَ يَهْلِكُ هَلْكا كما يقال ضرب يضرب ضربا وعليه فهلك متعد فى لغة بنى تميم كما سيأتى

والثانى يدل على أن فعله من باب ذهب . يقال هَلَكَ يَهْلَكُ هلاكا . كما يقال ذهب يذهب ذهابا .

---

(١) المصباح مادة كلأ

(٢) انظر شواهد الشافية / ٣٣٥ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩ / ١٠٧

(٣) انظر المزهر للسيوطى ١ / ٢٢٦

الثوب خِرّاقا ، وكل (فَعّلت) مصدره (فِعّال) فى لغتهم مشدد قال لى أعرابى منهم على المروة آلْحلقُ أحبُّ إليك أم القِصّارُ أى التقصير ؟ وأنشدنى بعض بنى كلاب .

لقد طال ماثَبطتنِى عن صحابتى

وعن حوج قِضّاؤُها من شفائيا

أراد : تقصيتها مثل تزكية وترببة.[1]

هذا من ناحية الوضع . أما من ناحية الأصول فقد اختلفت القبائل فى مالم يسمع مصدره مما جاء على (فَعَل) من الأفعال متعديا كان أو لازما .

قال الفراء : مالم يسمع له مصدر من (فَعَل) متعديا كان أو لازما فقياس مصدره (فُعُول) عند أهل نجد ، و (فَعْل) عند الحجازيين . . .[2]

خامسا : الاختلاف فى تعدى الفعل بنفسه تارة عند قوم وبالحرف تارة أخرى عند آخرين من ذلك الفعل (هلك) فهو يتعدى بالهمزة عند جمهور العرب ، يقال أهلكته ، وفى لغة بنى تميم يتعدى بنفسه ، فيقال هلكته واستهلكته بمعنى أهلكته[3]

والفعل (هدى) يتعدى بنفسه إلى المفعول الثانى عند أهل الحجاز ، وبالحرف عند غيرهم حكى ذلك الأخفش ، تقول . هديته الطريق وإلى الطريق ، والدارَ وإلى الدارِ . أى عرفته ، وباللغتين ورد القرآن الكريم فى قوله : «اهدنا الصراط المستقيم» أم الكتاب/٦ وقوله . «ويهديك صراطا مستقيما» الفتح / ٢ ، ففى الآيتين نصب الفعل المفعولين بنفسه على لغة أهل الحجاز ، وعلى لغة تميم ورد قوله «والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم» البقرة / ٢١٣ ، وقوله . «الحمد لله الذى هدانا لهذا . . » الأعراف / ٤٣ ، وفى هاتين الآيتين نصب الفعل المفعول الأول بنفسه وتعدى إلى الثانى فى الأولى منهما بإلى وفى الثانية باللام[4]

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٣ / ٢٢٩ ، وشرح المفصل ٦/٤٤ ، والقاموس والتاج مادة (كذب)

(٢) انظر شرح الشافية ١ / ١٥٧

(٣) انظر المصباح مادة (هلك)

(٤) انظر القرطبى ١ /١٤٦ ، ١٦٠ ، والصحاح للجوهرى (هدى) والمعجم المفهرس مادة (هدى).

والثالث ينشئنا أن فعله من باب قعد ، يقال هَلَك يهلُك هلوكا كما يقال . قعد يقعد قعودا[*][1]

ومن الثانى المصدران (هَوِيًّا وهُوِيّا) بفتح الهاء فى الأول وضمها فى الثانى ، وفعلهما (هَوَى يهوى) كما ورد فى الحديث · « أتانى جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل ، فحملنى عليه ثم انطلق يهوى . . الحديث » فيهوى معناه . يسير ، وقد يكون ذلك فى الهبوط والصعود معا وهما ضدان ، ولما كان الهبوط أخف على الهابط من الصعود ناسب أن يكون مصدرُه (هَوِيا) بفتح الهاء لأن الفتح خفيف ، ولما كان الصعود على المرء شاقًا ناسب أن يكون مصدره (هُوِيا) بضم الهاء لأن الضم أثقل الحركات ..[2]

وقد يتعدد مصدر الفعل الواحد لتعدد الواضعين مثل مايجىء على وزن (فَعّل) من الأفعال كقدم وكذب وقصر ، فقد ورد له مصدران التفعيلُ وهو لغة جمهور العرب ، والفِعَّال وهو لغة يمانية ، وقد ورد باللغتين التنزيل فى قوله تعالى . « . أُخذوا وقتلوا تقتيلا » الأحزاب / ٦١ وهذه لغة جمهور العرب ، ونحو قوله : « وكذَّبوا بآياتنا كِذابا » النبأ / ٢٨ وهذه لأهل اليمن .

قال الفراءُ : هى لغة يمانيةٌ فصيحة ، يقولون : كذَّبتُ به كِذَّابا ، وخرَّقت

(*) ليس فى « المصباح » هلك يهلك مثل ذهب يذهب والذى فيه هو « هلك الشىء هلكا من باب ضرب ، وهلاكا وهلوكا ومهلكا بفتح الميم وأما اللام مثلثة » والمهم هو أن هلك يهلك بوزن ذهب يذهب ، ليس من أصل الوضع ، لتخلف شرط أن يكون حلقى العين أو اللام ، إلا إذا كان من « تداخل اللغات » لوروده من باب فرح ومن باب ضرب . وهذا هو ما ذكره « لسان العرب » . « ومن الشاذ قراءة من قرأ (ويهلك الحرث والنسل) وهو من باب ركن يركن وقنط يقنط وكل ذلك عند أبى بكر لغات مختلطة قال وقد يجوز أن يكون ماضى يهلك هلك كقطب واستغنى عنه بهلك وبقيت يهلك دليلا عليها » التحرير . م . ع

(١) انظر المصباح مادة (هلك)

(٢) انظر غريب الحديث للخطابى ١ / ١٥٣

وكذلك الفعل (روّح) يتعدى إلى المفعول الثاني عند جمهور العرب بنفسه ، وبالباء في لغة أزد شنوءة ، وتروح كذلك .

قال يونس : العرب تقول زوجته امرأةً وتزوجت امرأةً بغير باء ، فأما قوله « وزوجناهم بحور عين » الدخان / ٥٤ فمعناه قرناهم ، مثل قوله . « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم » الصافات / ٢٢ : أي قرناءهم وقال الفراء الباء لغة أزد شنوءة[1]

سادسا : الاختلاف في صيغ الأفعال .

وهكذا كثير جدا عدد الحصى ، والطريق إلى معرفته النظر الدؤوب في المعاجم العربية ثم كتب النحو والصرف .

من ذلك الفعل (ضَلّ) فهو من باب ضرب في لغة أهل نجد وهي الفصيحة نحو قوله «قل إن ضَلَلْتُ فإنما أَضِلُّ على نفسي » سبأ / ٥٠ ، وبها قرأ الجمهور ، وقال أبو حيان : هي لغة تميم . إلا أن الفرق بين النسبتين يسير . وجاء من باب تعب في لغة أهل العالية نحو ضَلّ يَضَلُّ وقد قرئ باللغتين[2]

والفعل (مات) قد جاء من باب نصر في لغة سفلى مضر ، يقولون مات يموت . ومن باب علم في لغة أهل الحجاز يقولون مات يمات ، وقد قرئ باللغتين قوله تعالى « ولئن مُتم أو قتلتم . » آل عمران / ١٥٨ ، وعلى لغة أهل الحجاز جاء قول الشاعر .

بُنَيّتي سيدةَ البناتِ
عيشي ولا يُؤْمَنُ أن تَماتي

قال الصاغاني في العباب . قد مات يموت ويمات — أيضا — وأكثر من يتكلم بها طيئٌ أي (مات يماتُ) وقد تكلم بها سائر العرب ، وقال يونس في كتاب اللغات إنّ (يميت) فيها لغة[3] .

(١) انظر المشوف المعلم للعكبري / ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، والصحاح للجوهري مادة (روح)

(٢) انظر البحر ٧ / ٢٩٢ ، والمشوف المعلم / ٤٥٥ ، والقرطبي ١٤ / ٣١٤ ، والتبيان للعكبري / ٦٤٣ واللسان والتاج والقاموس والمصباح مادة (ضلل)

(٣) انظر البحر ٣ / ٩٦ ، وشرح شواهد الشافية / ٥٧ وما بعدها ، وابن يعيش ١٠ / ٦٩ تهميشة / ١ ، والتصريح ٢ / ٣٤٥ ، والقاموس مادة (مات) ، وحجة أبي زرعة / ١٧٨

من ذلك يتبين لنا أنه جاء مضارع مات من أبواب نصر وضرب وعلم

وكذلك الفعل (ضار) فقد جاء من باب ضرب فى لغة جمهور العرب يقال ضاره يضيره أى يضره ، ومن باب نصر فى لغة أهل العالية ، حكى الكسائى عن بعض أهل العالية لاينفعنى هذا ولا يضورنى . ولغة الجمهور أفصح[٢] حيث يدل عليها المصدرُ (ضير) كما فى قوله تعالى . «قالوا » لاضير . » الشعراء / ٥٠ ولم يرد فيه ضور ومن هنا يستعمل المصدرُ (ضير) للفعل على اللغتين

ومنه أيضا الفعل حسب بمعنى ظن قد ورد من باب علم فى لغة جمهور العرب يقال : حسب يحسَب . وورد فى لغة كنانة بكسر العين فى الماضى والمضارع يقال : حَسِبَ يَحْسِبُ . وذلك ليشاكل المضارع الماضى . وقد قرئ باللغتين . وإن كان الفتح أقيس[١]

وبنو عامر يأتون بمضارع كل مثال واوى[٣] ماضيه على (فَعَلَ) من باب نصر ، نحو وجَد يَجُدُ ، قال شاعرهم لبيد بن ربيعة العامرى :

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة
تدعُ الصوادِيَ لَايجُدْنَ غليلا

وهذا على خلاف القياس . وقد قصر الفارابى هذه اللغة على المسموع وهو (يجُد) فقط . وقاسها ابن مالك فى التسهيل فى كل مثال واوى نحو وعد يَعُد . وولد يَلُد ونحوهما[٢] .

كما نجد طيئ تحول صيغه (فَعِل) المعتل اللام بالياء إلى (فَعَلَ) نحو (رَضا) فى (رضِىَ) و (بقا) فى بقِى) . بقلب الكسرةِ فتحة ، والياء ألفاً قال شاعرهم زيد الخيل

لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقَا
على الأرض قيسِىٌ يسوق الأباعرا

أراد . ما بَقِىَ . وكذلك يقولون . نُبِىَ وهُدِى مبنيين للمجهول . نُبا ، وهُدَى[٣] .

---

(١) كتاب ليس فى كلام العرب / ٤٤ . والمذكر والمقصرة للصمرى ٢ / ٧٤٧ . وشرح أدب الكاتب / ٤١٨ . والمصباح مادة (حسب) . والقرطبى ٣ / ٤١٣

(٢) انظر شرح الشافية ١ / ١٣٢ والحماسة / ١ أو شرح شواهد الشافية / ٥٣ . وكتاب ليس فى كلام العرب / ٣٩

(٣) انظر النوادر لأبى زيد / ٦٨ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٤ ، ١٧٩ ، وشرح شواهد الشافية / ٤٨ وكتاب ليس فى كلام العرب / ٢٩ ، والضرائر للقيروانى / ١٦٦ وما بعدها

إن تعدد أبواب الأفعال فى لغات القبائل يؤدى إلى تعدد مصادرها ، وقد يرد للفعل ذى الباب الواحد مصادر متعددة وتلك تعمل على تعدد الواضعين كذلك

سابعاً الاختلاف بالتضاد ، والاشتراك والترادف .

من ذلك أن يسمى المتضادان باسم واحد ، والأصل واحد . فيقال للصبح : صريم ولليل صريم ، قال تعالى : « فأصبحت كالصريم » (القلم ٢٠) . أى سوداء كالليل ؛ لأن الليل ينصرم عن النهار والنهار ينصرم عن الليل[1] .

ومنه الفعل (وثب) فهو فى لغة حمير بمعنى (قعد) وفى لغة بنى نزار بمعنى (طمر) أى وثب من أعلى إلى أسفل ، يدل على ذلك ماحكاه الأصمعى قال دخل رجل من العرب (من بنى كلاب أو بنى عامر بن صعصعة) على ملك من ملوك حمير : (هو دوجدن) فأطلع إلى سطح ، والملك عليه ، فلما رآه الملك اختبره . فقال له (ثب) . أى اقعد ، فقال : ليعلم الملك أنى سامع مطيع ، ثم وثب من السطح فتكسر ، فقال الملك .ماشأنه؟ فقالوا له أبيت اللعن ، إن الوثب فى كلام نزار (الطمر) ، فقال الملك . ليست عربيتنا كعربيتهم ، من دخل ظَفارِ حَمَّر ، أى ليتكلم بالحميرية[2] .

فانظر كيف كان الاختلاف فى معنى كلمة واحدة قد أودى بحياة من لا ذنب له ولا جريرة .

ومما تعددت معانيه على سبيل الاشتراك (الإدفاء) فقد ذكرت كتب المعاجم له المعانى التالية . الإدفاء بمعنى الإعطاء الكثير ، يقال أدفأه إدفاء إذا أعطاه عطاء كثيراً وهـو مجاز ، والإدفاء الاجتماع ، يقال أدفأ القوم اجتمعوا ، والإدفاء القتل فى لغة بعض العرب ، ففى الحديث . أُتِىَ بأسير يرعد ، فقال للقوم اذهبوا به فأدفوه ، فذهبوا به فقتلوه . والمراد . الإدفاء من الدفء ، وأن يدفأ بثوب .فحسبوه بمعنى القتل فى لغة أهل اليمن

(١) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة / ١٨٧ ، وكتاب الأضداد لابن الأنبارى / ٨

(٢) انظر الصحاح للجوهرى مادة (وثب) والمزهر للسيوطى ١ / ٢٣٤ ، والجمهرة لابن دريد ٢ / ٣٧٨

وفى قول الرسول عليه السلام إشارة إلى لغة قريش وهى عدم الهمز ، حيث قال فأدوه ، أى أدوه بالهمز مخففة بحذفها ، والقياس أن تجعل الهمزة بين بين لا أن تحذف ، لأن الهمز ليس من لغة قريش[1]

فانظروا كيف أدى الاختلاف فى المعنى إلى قتل امرئ لم يكسب خطيئة أو إثماً .

ومما تعددت ألفاظه من المعانى ما ذكره ثعلب فى أماليه . يقال : سويداء قلبه ، وحبة قلبه ، وسواد قلبه ، وسوادة قلبه ، وجلجلان قلبه وسوداء قلبه بمعنى إلى غير ذلك مما هو معلوم معهود فى كتب اللغة والمعاجم[2] .

ثامنا : الاختلاف فى التجرد والزيادة : بمعنى أننا نجد صيغة ما لفعل من الأفعال مجردة عند فريق ، ومزيدة عند فريق آخر بمعناها حال التجرد ، على خلاف المشهور من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

من ذلك الفعل (راب) بمعنى ظن أو شك ، فجمهور العرب يستعملونه مجردًا ، يقال رابنى الشىء يريبنى ، إذا إذا جعلك شاكاً ، قال أبو زيد : رابنى من فلان أمر يريبنى ريباً ، إذا استيقنت منه الريبة ، فإذا أسأت الظن به ولم تستيقن منه الريبة ، قلت أرابنى منه أمر . . وفى لغة هذيل راب وأراب بمعنى ، تقول : أرابنى قربت أنا وارتبت : أى شككت .

قال الزبيدى : أعلم أن (أراب) قد يأتى متعدياً وغير متعد ، فمن عداه جعله بمعنى (راب) وعليه قول خالد (هو ابن زهير الهذلى) :

* كأننى أريته بريب *

ويروى قول خالد :

* كأنى قدريته بريب *

فيكون على هذا (رابنى وأربنى) فى فى لغة هذيل بمعنى واحد وأما (أراب) اللازم فهو بمعنى : أتى بريبة ، كما يقال ألام : أى أتى بما يلام عليه[3] وعلى

---

(١) انظر التاج ١ /٦٦

(٢) المزهر ١ /٢٤٢ ٢٤٤

(٣) انظر التاج والمصباح / مادة راب .

لغة هذيل تمكن تخريج قوله عليه السلام « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »

هذا ولم يرد فى القرآن الكريم من هذه المادة إلا (ارتاب) ماضيا نحو قوله إذا لارتاب المبطلون » العنكبوت / ٢٨ . أومستقبلا نحو قوله « ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون » المدثر / ٣١ ، وكذلك اسم الفاعل أو المفعول منه نحو قوله « كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب »

أما (راب) فقد استدل عليه بالمصدر نحو الريب والريبة ، قال الله تعالى « ذلك الكتاب لاريب فيه » البقرة / ٢ ، وقال «لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم » التوبة / ١١٠

وأما (أراب) فقد أومأ إليه أسلوب القرآن الكريم باسم فاعله ، (مريب) نحو قوله تعالى « وإنهم لفى شك منه مريب » إبراهيم / ٩ . إلخ[1] .

هذا وقد أحصيت أفعالا كثيرة جاءت مجرده ومزيدة بمعنى واحد منها رمست الميت وأرمسته لغتان بمعنى ، وجرم وأجرم وبهما قرئ قوله « ولايجرمنكم » وحب وأحب ، وحسر وأخسر ، وأهات الدهنى لغة فى هات . ونشر وأنشر وبهما قرئ قوله تعالى «ثم إذا شاء أنشره» إلخ[2]

تاسعاً . الخلاف بصرف بعض الأسماء ومنعها .

من ذلك صرف ماجاء على وزن (فعلان) وصفاً فى لغة بنى أسد ، لأنهم يلحقون مؤنثه التاء يقولون سكرانٌ وسكرانةٌ وشبعانٌ وشبعانةٌ وعرثان وعرثانة يقولون . هذا رجلٌ غضبانٌ ورأيت رجلا عصاناً ، ومررت برجل عصانٍ[3]

قال الزبيدى ذكر يعقوب أن ذلك ضعيف ردىء ، وقال أبو حاتم : لبنى أسد مناكير لايؤخذ بها .

---

(١) انظر المعجم المفهرس مادة راب

(٢) انظر أدب الكاتب لابن قتيبه / ٣٣٣ وما بعدها ، والمخصص لابن سيده ١٤ / ٢٣٧ وما بعدها ، وفعلت وأفعلت لأبى إسحق الزجاج / ١٨ وما بعدها

(٣) انظر المقرب لابن عصفور ١ / ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٨ ، وشرح الكافية ١ / ٦٠ وشرح المفصل ١ / ٦٧

وجمهور العرب يمنعون (فعلان) إذا خلا مؤنثه من التاء . وأما ما لحقته التاء فيصرفونه نحو ندمان وسيفان وأخواتهما ، لأن مؤنثهما فيه التاء نحو ندمانة وسيفانة.

وأما منتهى الجموع في قوله تعالى « إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وَسَعيرا » الإنسان / ٤ فقد قرأ بمنع الصرف طلحة وعمرو بن عبيد وابن كثير وأبو عمرو وحمزة وقفاً ووصلا ، وقرأ أكثر السبعة بالتنوين وصلا ، وبالألف المبدلة منه وقفاً ، وهي قراءة الأعمش ، قيل . وهذا على ما حكاه الأخفش من لغة من يصرف كل ما لاينصرف إلا (أفعل من) وهي لغة الشعراء ، ثم كثر حتى جرى في كلامهم . قال بعض الرجاز

والصرف في الجمع أتى كثيرا
حتى ادعى قوم به التخييرا

كما ورد صرف (قَوَارِيرَ) في قوله تعالى « . . وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ » الإنسان / ١٥ وثبت الصرف في مصاحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة ، وفي مصحف أبي وعبد الله

وقال الكسائي والفراء هو على لغة من يُجْرِي الأسماء كلها إلا قولهم (هو أظرف منك) فإنهم لا يجرونه ، وأنشد ابن الأنباري في ذلك قولَ عمرو بن ابن كلثوم

كأن سيوفنا فينا وفيهم
مخاريقٌ بأيدي لاعبينا

وقال لبيد

فصلا وذو كرمٍ يعينُ على الندى
سمحٌ كسوبُ رغائبٍ غنّامُها

ولهم في الآيتين تخريجات أهمها أنه لغة أو للمشاكلة ، قال ابن مالك

ولاضطرار أو تناسب صرف
ذو المنع ، والمصروف قد لاينصرف

قال أبو حيان . وروى أن من العرب من يقول : رأيت عُمرًا بالألف وقفاً(1)

---

(1) انظر البحر ٨ / ٣٩٤ وما بعدها ، وحجة القراءات لأبي زرعة / ٧٣٧ وما بعدها ، وحجة ابن خالويه / ٣٥٨ ومعاني القرآن للفراء تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ٣ / ٢١٤ ، والقرطبي ١٩ / ١٢٣ وما بعدها وهمع الهوامع ١ / ٣٦ ، وابن عقيل بحاشية الخضري ٢ / ١٠٩ ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٣ / ١٥١٢ - ١٥ ، والتصريح ٢ / ٢٢٧ ، وإحياء النحو لإبراهيم مصطفى / ١٧٣

عاشراً : الاختلاف بالتذكير والتأنيث .

لقد تلعبت العرب فى الأسماء بالتذكير والتأنيث بما تحار فيه الألباب ، إذ نرى الكلمة عند قوم منهم مؤنثة دون تاء . وعند آخرين منهم مؤنثة بالتاء من ذلك كلمة زوج فهى مؤنث بغير تاء فى لغة أهل الحجار ، يقال : الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل ، وهده هى لغة القرآن الكريم نحو قوله : « اسْكُن أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ » البقرة / ٣٥ ، وحمع روج بغير تاء أزواج ،قال تعالى . « وَلَهُمْ فِيها أَزواجٌ مُطَهَّرَةٌ » البقرة / ٢٥ ووردت بالتاء فى لغة تميم وكثيرٍ من قيس وأهل نجد ، يقال الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوجة الرجل ، قال الفرزدق :

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى
كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها

وقال ذو الرمة :

أذو زوجة بالمصر أو ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العامَ ثاويا ؟

قال الأصمعى ولا تكاد العرب تقول (زوحة) وهذا يخالف الواقع ، فقد جاء فى الحديث عن النبى- صلى الله عليه وسلم- أنه كان مع إحدى نسائه فمر به رحل ، فدعاه فجاء فقال . يافلانُ هذه زوجتى فلانة ، فقال يا رسول الله . من كنت أظن به ، فلم أكن أظن بك . . » . الحديث . وقد قال بعضهم بأن التاء فى زوجة لتأكيد التأنيث كقولهم فى فرس فرسة ، وفى امرأة عجوز ، عجوزة .

وفى البحر لأبى حيان . وذكر الفراء أن زوجاً المراد به المؤنث فيه لغتان زوج بغيرهاء لغة أهل الحجاز ، وزوجة بهاء لغة تميم وكثير من قيس وأهل نجد ،وروى الكسائى أن أزد شنوءة تقول . زوح وزوجة بالهاء ودونها جمعابين اللغتين[(١)] . وجمع زوجة زوجات كقول الشاعر .

يا صاح بلغ ذوى الزوجات كُلِّهِمُ
أن ليس وصل إذا انحلت عرى الدنب

ومن ذلك اختلاف القبائل فى تذكير وتأنيث اسم الجنس الجمعى نحو نحل

---

(١) انظر البحر ١ / ١٠٩ ، والقرطبى ١ / ٢٤٠ ، ٣٠١ ، وتفسير النهر الماد لأبى حيان ١ / ١٥٦

ونمر . إلخ قال ابن السكيت . فأهل الحجاز يؤنثون أكثره فيقولون . هي التمر ، وهي البر ، وهي النخل . إلخ وأهل نجد وتميم يذكرون ويؤنثون فيقولون نخل كريم وكريمة وكرائم وبالتأنيث ورد التنزيل في قوله تعالى : « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ » القمر / ٢٠ فقد ذكر الوصف حملا على لغة تميم ، وقوله تعالى : « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ » الحاقة-٧ ، فقد أنث الوصف حملا على لغة أهل الحجاز .

قال أبو حيان والنخل اسم جنس يذكر ويؤنث وإنما ذكر في قوله تعالى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نخل منقعر »لمناسبة الفواصل وأنث في قوله تعالى « أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ » لمناسبة الفواصل أيضاً[1] .

إلى غير ذلك من الظواهر التي أعجز أن آتي عليها في هذه الدراسة المحدودة الزمن.

وبعد ، فإن دراسة لغات العرب ذاتُ ثمار دانية ومنها يمكننا الوقوف على الآتي

- التمييز بين الفصيح لكثرته وشيوعه في كلام الفصحاء ، وبين غيره لقلته وندرته أو قبحه .

تيسير درس النحو ، والتخفيف من كثرة التأويل فيه والتقدير ، ولاسيما إذا اشتملت بعض عناصره على ما خالف المشهور من كلام العرب مثل لغة إلزام المثنى الألف في قراءة قوله تعالى : « إنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ » ، وإلزام جمع المذكر السالم الواو أو الياء لغتين ، وتسكين أو فتح عين جمع المؤنث السالم إذا كانت معتلة ، ورفع المستثنى بعد الموجب ، وكاستثناء تميم المفرد من المفرد في نحو قولهم : ما أتاني زيد إلا زيدٌ ، وما أهانه إخوانكم إلا إخوانه . إلخ .

التسليم بأن اختلاف النحاة لم يك من لدى أنفسهم ، وإنما قام صرحه ، وبنيت قواعده على اختلاف لغات العرب

فمنها هم أولئك البصريون تراهم يبنون قواعدهم على الأكثر والأشيع ، الأمر الذي ترتب عليه وجود ما يسمى بالقليل والنادر والشاذ والقبيح عندهم ؛ يؤكد لنا صحة

---

(١) انظر المصباح مادة (نخل) والبحر ٨ / ١٧٩

ذلك قول أحد شيوخهم ، أبي عمرو بن العلاء . وذلك حين سأله أبو نوفل فقال أخبرني عما وضعته مما سميت عربية . أيدخل فيه كلام العرب كله ؟

فقال لا .

فقال كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ .

فقال . أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات(1)

وهاهم أولئك الكوفيون تجدهم قد توسعوا في أصولهم ، وأكثروا من قواعدهم تسليماً بما روى عن الفصحاء ، وبما جادت به السليقة – فبنوا أصولهم على القليل والنادر .

– الإيمان بأن القرآن الكريم قد حفظ العرب لغتهم ، وأنه لو لم ترد قراءاته بلغاتهم لأخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ ، ولطمست أصواؤها ، ونسفت رواسيها من ضربات أهل القياس ، وضاقت مسالكها.

موقف النقاد من تلك اللغات :

هناك موقفان متضادان تماماً :

الأول متشدد ينطلق أصحابه في نقدهم اللغوي من خلال القواعد المشهورة وهذا بالطبع يؤدي إلى تخطئة السليقة ، وإنكار المطرد ، مثل صنيع العقاد مع عمر ابن أبي ربيعة المخزومي حيث خطأه في قوله .

فهلا تسألي أفناء سعد
وقد تبدو التجاربُ للبيب

حيث قال (تسألي) بحذف النون ، والقياس تسألين ، لعدم وجود الجازم وفي قوله :

من ذا يلومني إن بكيت صبابة
أو نحت صبا بالفؤاد المنضج

بجزم يلوم ، و (من) هنا لا تجزم ، وفي قوله :

فقلت لهم كيف الثريا ؟ هبلتم
فقالوا ستدري ما مكرنا وتعلمَ

---

(1) المزهر السيوطي ١ / ١١١ ، ١١٢

بنصب (*) (تعلم) في الموجب ، ثم قال إلى نظائر لهذه الأخطاء والعثرات التي لا تراها على كثرة في كلام أمراء الفصاحة

أقول : إن العقاد ، وهو من هو علما وسعة اطلاع قد خطأ السليقة الموضوعة في مكانها ، وأنكر الفطرة المنطلقة بفنون بيئتها ، منتصرا عليها بقواعد النحاة وما كان له ذلك إذ تلك لغتهم وقد وردت لها نظائر في أساليب القرآن الكريم ومتى ساندها القرآن فليس لأحد مهما كان أو يكن أن ينال منها ، فقد اتفق علماء اللغة على أنه لايجوز تخطئة الفصيح[1] أو الأعرابي وأن كلام العرب المعروف عندهم أولى من مقاييس المولدين فضلا عن أن ما عدده العقاد من أخطاء له وجه ظاهر حسن في العربية ، ولأهل القياس الذين انتصر بقواعدهم فحكم على السليقة بالخطأ - توجيه وتأويل حسن ، لايمكن أن نعرض له هنا وسأرجئ القول فيه إلى بحث أستوفي فيه كل جوانبه ، إلا أنه يلزمني أن أشير هنا إلى أنه لايجوز لناقد أي ناقد ، أن يخطئ الفصحاء إلا بعد أن يحيط بأبعاد تلك المسائل النحوية ولغات العرب فيها وأن يستوفي عدته منها كاملة .

ثانيا : الإباحة المطلقة للأديب ، كاتبا كان أو شاعرا ، بأن يتجاوز المقاييس والمماميع فينصب الفاعل والمفعول ، أو يرفعهما ، لأغراض بلاغية لاتتناهى ، وذلك انطلاقا من قاعدة كسر البناء التي يدعو أصحابها إلى الخروج على القواعد ، ولهذه القاعدة تفسيران عندي .

أحدهما أن المقصود بتلك القاعدة قبول كل ما ورد عن الفصحاء وبرواية الثقات فهذا لا اعتبار عليه ، ولا مفر منه .

ثانيهما : وإن كان المقصود تجاوز كل ما سمع عن العرب ، وذلك بإحداث مالم يرد عنهم فهذا رد ، لا يمكن قبوله ؛ حيث يمضي إلى الفوضى في اللغة والهدم لها ، وإنما الواجب أن نقف من الوارد موقف القدماء ، فنقيس على الشائع ونقف عند النادر والشاذ في حروفه مثل نصب الفاعل والمفعول في قول الشاعر :

قد سالم الحياتُ منه القدما
الأفعوانَ والشجاع الشجعما

(*) المرجع

(١) انظر النقد المنهجي عند العرب / ٢٦٥ للدكتور محمد مندور

بنصب القدما والشجاع ، فهذا مما يوقف عنده ولا يقاس عليه ،وأن كان له تأويل مقبول عند النحاة يتفق والقواعد المشهورة .

لذا ينبغى أن نقيس كلا منا على كلام العرب وشعرنا على شعرهم ، عملا بالأصل القائل : ماقيس على كلام العرب فهو عربى ، وقول ابن مالك .

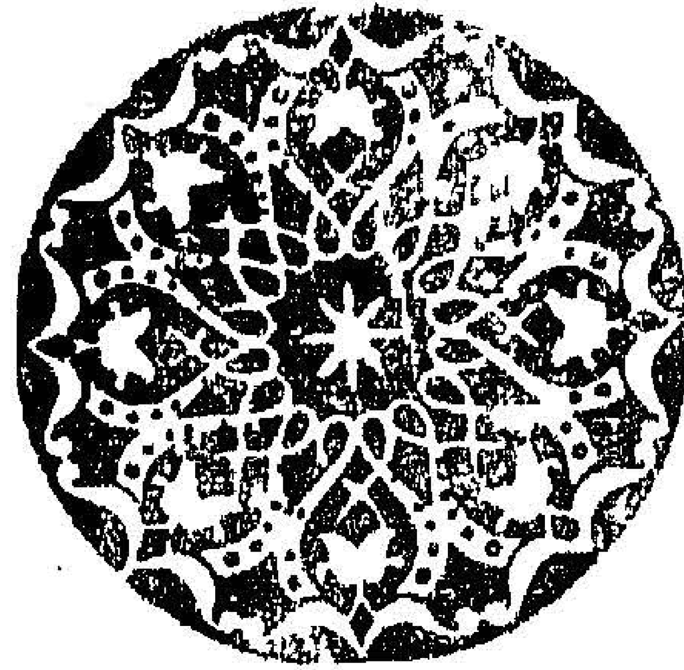
. . . .

فما أبيحَ افعل ودَع مالم يُبَح.

هذا قل من كثر وغيض من فيض مما اختلفت فيه لغات العرب ، أردت بها إقناع النفس وإرضاءها بما تعانيه من جل الخلاف الواقع فى لسانهم ، وهو إن دل على شىء ، فإنما يدل على سعة العربية وتجاوبها مع الأفهام والعقول ، حيث تشتمل على ما يرتضيه العلية من الفصحاء والوسط والدون ، وإلا كانت مثل غيرها من اللغات التى احتجبت عن عظم أبنائها ، واختصت بالقلة منهم ،وفى حدود ضيقة ، كالخطابة بالسريانية مثلا ، إذ يخطب بها رجال الكنيسة دون علم من الجمهور بها .

إن سعة العربية إن هى إلا فضل من الله على العرب جميعاً ،يجلى ذلك لنا نزول القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، ولولا هذه السعة ما أدركه كثير من العرب وهم أول المخاطبين به ، المدعوّين إليه .

عبد الرحمن محمد اسماعيل



كلمة الأستاذ عبد السلام هارون

الأمين العام للمجمع

فى استقبال :



السيد الرئيس ، أيها السادة والسيدات .

إن هذا اليوم الذى يسعد المجمع فيه باستقبال نخبة ممتازة من أساطين اللغة والفكر ، يوم أغر من الزمان مشهر ، يوم يضفى على مجمعنا الخالد أضواء وإشراقا هى أضواء العيد وأنواره .

إن هذا اليوم يوم من الأيام المعدودة للمجمع ، التى يتاح له فيها أن يظفر بمجموعه معترف لها بالفضل فى داخل المجمع ، وفى خارجه . ولست أعدو الصواب حين أردد قول الشاعر محمد بن وهيب ، الذى أنشد فى حضره الخليفة المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها
شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

فإخواننا وزملاؤنا الذين نحتفل اليوم باستقبالهم شموس وأقمار ، ولا ريب عندنا كذلك أن كلا منهم « أبو إسحاق » بعينه على حد سواء . فان يكن قد فاتنى شرف استقبالهم جميعا فقد ظفرت بشرف استقبال أخ من إخوتى الثلاثة الأفاضل : الأستاذ العلامة الجليل الدكتور « محمد الطيب النجار » الذى عرفته منذ أكثر من ربع قرن ، معرفة محبة وتقدير ، فى جنبات كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر . وزادت معرفتى به ، وتقديرى له واكبارى منذ ثلاث سنوات ، حين بادر إلى الصحافة المصرية ، ليذيع فى سرور نبأ تكريم أخ له حصل على جائزة الملك فيصل العالمية ، وكأنه هو الذى اختارها دونى ، ووضعت فى عنقه قلد عقى ، محبة منه فى مصر وفى علماء مصر نفس صافية ، وقلب نقى ، وخلق أحسن الله والدين صنعه وتقويمه .

وحينما أريد الحديث عن زميلنا محمد الطيب النجار ، وجهاده فى سبيل العلم والثقافة العربية ، واعتزازه بدينه وثقافته الإسلامية المتزنة المعتدلة ، أجد مجال القول ذا سعة ولكننا فى هذا الحفل محدودون بقيد الوقت . كما أن شهرة الزميل الموقر وسمعته الطيبة

تمادى به ، منذ حصل على الدكتوراه من جامعة الأزهر فى سنة ١٩٤٦ ومنذ ظهر له كتابه الذى يعد المرجع الموسوعى فى بابه ، وهو كتاب «الموالى فى العصر الأموى» الذى نشر له سنة ١٩٤٩ نشرا علميا مزودا بالفهارس التحليلية التى لم تكن شائعة فى ذلك الوقت ، وهو الكتاب الذى كان ولا يزال موضع التقدير من كبار الأدباء . وقد كتب الأستاذ أحمد الشايب فى تقديمه : «أما بعد فانى أشعر وأنا أقدم هذا البحث القيم الطريف أنى أقدم فى حقيقة الأمر عهدا جديدا من عهود الأزهر الشريف ، وأؤرخ فترة من عمره المجيد ، هى فترة تحول وانتقال فتح فيها لنفسه أبواب الحياة الجديدة ، ودخل إليها مشرفا على مقوماتها ، مشاركا فى بنائها ، آخذا بمناهج البحث العلمى وطرائفه ، حرا جريئا ، موفقا فى وصل الثقافة الإسلامية الخالدة بما تزخر به الدنيا من حديث فى العلم والأدب ، والقانون والفلسفة والفن ، حتى لا يبقى منذ الآن محايدا منعزلا ، ينكر الحياة أو تنكره الحياة ، أقدم هذا البحث لشيخ شاب من متخرجى الأزهر الحديثين فى كلية أصول الدين ، ولا أستطيع أنا ولا يستطيع أحد أن يقدر فرحى وابتهاجى كلما لقيت هذا الجيل الجديد واستمعت إليه وتبينت منه مراجا علميا عقليا ، يجمع بين جلال القديم خلقا وفضلا وعلما ، وبين جمال الحديث ذوقا وسماحة وبيانا»

ونحن حين ننزل بالزمان إلى الخامس والعشرين من يونيو سنة ١٩١٦ نجد عزبة النجار فى مركز أبى حماد بالشرقية ، وهى عزبة أسرته الكريمة ، تبتهج بمولد الشيخ صبيا ، يسعى بعد أن يشب عن طوقه إلى مكتب القرية ، ليحفظ القرآن الكريم ، ويتمرس بألفاظ وأساليبه ، لتتاح له الفرصة فيما بعد فى الالتحاق بمعهد الزقازيق الدينى ويختتم دراسته الثانوية فى سنة ١٩٣٥ . ثم يهبط إلى القاهرة فتسعد به طالبا فى كلية أصول الدين لينال الشهادة العالية سنة ١٩٣٩ . ويسعى به طموحه بعدئذ إلى الانضمام فى سلك الدراسات العليا فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر لينال درجة الدكتوراة فى سنة ١٩٤٦ ويعمل بعدئذ فى التدريس بالمعاهد الدينية ، ويتدرج بعد ذلك فى وظائف التدريس بكلية اللغة العربية إلى وظيفة أستاذ التاريخ ثم رياسة قسم التاريخ والحضارة الإسلامية سنة ١٩٧١

ويمضى الزمان إلى سنة ١٩٧٩ فيختاره الأزهر الشريف وكيلا له ، ويختاره مجمع البحوث الإسلامية عضوا بارزا فيه .

وفى السنة التى تليها وهى سنة ١٩٨٠ يتم تعيينه رئيسا لجامعة الأزهر ، يقود سفينتها فى حكمة وإخلاص وكفاح معروف ، وتمد له سنو العمل احتفاظا بجهوده ، إلى أن يحال إلى التقاعد فى أغسطس سنة ١٩٨٣ . وهو الآن أستاذ بكلية اللغة العربية .

وحينما احتفل الأزهر بعيده الألفى نجد رميلنا الفاضل يكتسح الجو كما يقولون ، بكلمته التى ارتجلها فى إفصاح وتبيان مسهب ، فيجمع الحاضرون والمشاهدون فى أرجاء البلاد على الاعتراف له بالبراعة ، وبعبقريه القول وجمال الأداء .

والدكتور الطيب يعد فى طليعة علماء التاريخ الإسلامى الذين ينبع تاريخهم من أعماق الدراسات الإسلاميه الوثيقة ، وهو من الملتزمين بالنصوص الإسلاميه والأسناد الأصيلة . وهو لا يكتفى بما يقرأ حتى يقرن المنهج العلمى بالمنهج العملى . فهو يسعى أشد السعى إلى أن يرقى إلى غار حراء مع جمع من رفقة الأصدقاء والأبناء طلاب كليه الشريعه بمكة ، وهو كهف غريب جعله الله على وضع عجيب ، يأخذ فيه الإنسان راحته الكاملة ، وتنطلق فيه الروح من أسر المادة وعقال الشهوة إلى حيث تسمو إلى العلياء وتسبح فى ملكوت السموات والأرض ، فبابه يتسع لدخول الشخص الواحد وهو قائم ، وقد غطى سقفه بصخور ماثله ، لذا كان وسطه أعلى من جانبيه . يقول النجار فى كتابه فى السيرة . ولولا دافع قوى من الإيمان ، وشوق أقوى لرؤية أول مكان نزل فيه القرآن لتحطمت قوتنا بين تلكم الأحجار العاتية ، ولما استطاع أحد منا أن يواصل السير على هذا المرتقى الوعر . ولقد نسينا ما لقينا من نصب ومشقة ، حينما انتهينا بحمد الله وتوفيقه إلى الغار ، وأشرقت علينا من خلاله الأنوار .

فإلى هذا المكان الذى يشق العنان كان يصعد محمد بن عبد الله قبيل بلوغه الأربعين ، وكان يحمل معه من الماء والطعام ما يكفيه لقضاء جزء كبير من شهر رمضان فى كل عام . . . وبين تلك الصخور والرجام . وفى هذا الصمت العميق ، ومن خلال تلك الكوة الضيقة ، كان يطل محمد على الدنيا بأسرها فيطالع عظمة الكون ونظامه ، ودقته وإحكامه ، ثم ينظر مع ذلك إلى أهل مكة وما حولها ، فيراهم فى الغى سادرين ، فيستولى على نفسه الضيق والألم ، ويتمنى أن لو جاء الحق الذى تسكن له النفوس ، وتطمئن به القلوب ، وتنجاب أمامه الغياهب والظلمات .

ويقول النجار أيضا فى كتابه « القول المبين فى سيرة سيد المرسلين » : وكما أسعدنى الحظ بالرقى إلى غار حراء حيث بدأ نزول الوحى على النبى الأمين ، فقد أسعدنى الحظ كذلك بالرقى إلى غار ثور ، حيث لجأ الرسول وصاحبه يحتميان من طغيان المشركين . ولقد كانت رحلة مباركة مع طلاب كلية الشريعة بمكة المكرمة ، وعلى الرغم من متاعب الطريق الذى كانت تزحمه الرمال السافية ، والذى غاصت فيه السيارة مرة بعد مرة ، ولم تتحرك إلا بعد أن نزل الجميع وعاونوها على السير ، فقد كنا نتجه فى طريق الرسول ، ونسير على الدرب الذى سلكه الرسول . . ولقد عادت بنا الذاكرة

من خلال القرون الماضية إلى يوم الهجرة النبوية ، وتمثلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا فى ظلمات الليل يطارده الظلم بجحافله الحرارة ، ويضىء فى قلبه الإيمان فيبدد هذا الظلم والظلام . وكنا نتطلع إلى الرمال عسى أن نرى أثرا من آثاره ، ونتسمع إلى الرياح عسى أن تروى لنا خبرا من أخباره ، وهكذا حتى وصلنا بحمد الله وتوفيقه إلى جبل ثور . ولقد كان هذا الجبل يختلف عن جبل حراء ، لأنه جبل تسامك قمته إلى سفح جبل آخر ، فكان الصاعد إلى غار ثور سوف يتسلق جبلين ، ويبذل من الجهد مثل ما يبذل فى جبل حراء مرتين . . . والناظر إلى هذا الغار لأول وهلة يروعه جلال عجيب ، ويسيطر على نفسه شعور غريب ، فهو قبة كبيرة من الصخر مجوفة من الداخل ، ويتسع لأكثر من ثلاثين رجلا ، وبابه ضيق لا يستطيع أحد أن يدخله إلا حبوا على يديه ورجليه ، وسقفه منخفض لا يزيد ارتفاعه عن متر ونصف متر ، وأمام الباب فتحة واسعة تبلغ ضعف فتحة الباب ، وقد وسعها بعض الأمراء المسلمين ليدخل منها الضوء وتسهل دخول الناس ، وكان هذا عملا بعيدا عن الصواب . . وأمام الغار ، وعلى بعد ما يقرب من عشرة أمتار توجد صخرة مرتفعة ، وهى التى وقف عليها المشركون حينما كانوا يبحثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هكذا يورد النجار بعض تحقيقاته فى كتابه هذا النفيس .

أما كتابه « تاريخ الأنبياء » فهو نموذج آخر من تحقيقات المؤرخ الإسلامى ، فهو يعالج مشكلة ما يذكره بعض العلماء من الفرق بين الرسول والنبى . وما يقال من أن النبى هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه أو لم يؤمر وأما الرسول فهو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه . فينقض النجار ذلك بصريح قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته » ، فسوى بين الرسول والنبى فى الإرسال الذى يقتضى التبليغ ، وأن العقل لا يستسيغ أن يوحى إلى نبى بشرع ثم لا يؤمر بتبليغه ، لأن الشرع أمانة وعلم ، وأداء الأمانة واجب . وينقض قول من قال : إن الرسول من أوحى إليه بشرع وكتاب بمثال نوح عليه السلام الذى أرسله الله إلى قومه وليس معه كتاب وكذلك يونس وهود وصالح المرسلون . ثم نراه يرجح القول بأن كل نبى رسول ، وكل رسول نبى بأدلة مستقاة من نصوص الكتاب العزيز .

ويقول فى كتابه هذا ، تعليقا على قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » يقول . « ويحضرنى بهذه المناسبة سؤال يدور فى خلد الكثير من الناس ، وهو ما بال هؤلاء الذين يعيشون فى مجاهل إفريقية وغيرها ويتلقفهم المبشرون منذ نعومة أظفارهم ، فيحيون ويموتون وهم لا يشعرون

بأن هناك دينا يقال له الإسلام ، ما بال هؤلاء ؟ هل يعذبون لعدم اعتناقهم الدين الحنيف ، أم يرتفع عنهم الحساب والتكاليف ؟ وفى اعتقادى أنهم — حيث لم تبلغهم الدعوة — سيدخلون إن شاء الله فى نطاق قوله تعالى . «وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا » . وإذا كان هناك مجال للتعذيب فانما يصب على علماء المسلمين الذين يقصرون فى تبليغ الدعوة ، وهم ورثة الأنبياء ، ويؤثرون متاع الحياة القليل على الجهاد والتضحية والفداء

ويتجلى أسلوبه الكتابى بيسره وجماله فى أثناء قصة يوسف إذ يقول :

ومرت به الأيام حتى ازدهر شبابه وتجلت قسمات الحسن فيه ، وامتلأ جسمه بالقوة والفتوة. وفى هذا الوقت الذى ظن فيه يوسف أن أمد هذه النعمة سيمتد ويطول ، وقع مالم يكن فى الحسبان وجاء دور الشيطان ونزغاته ، فتعرضت له امرأة العزيز تعده وتمنيه ، وتغريه بالشر وتغويه وتتطلع إليه بعين فاجرة ونفس ماكرة ، وتهيئ له سبل الغوايه ، وتضعه أمام امتحان رهيب وتجربه قاسية .

وها هى ذى وقد أخذت زخرفها وازينت ، تغلق الأبواب وتخلو إلى يوسف ، وتناديه بصوت الفتنة الملحة ، والرغبة الجامحة قائلة . «هيت لك» أى تهيأت لك ، ويسرت أمامك الطريق لتحقيق ما أرغب فيه وأتمناه ، ولتطفئ ما يشتعل فى نفسى من الحب والصبابة . وفى هذا الوقت العصيب ، والجو الرهيب تشرق العصمة فى نفس يوسف ، ويتجلى إيمانه العميق ، فيبدد كل ما صنع الشيطان ، ويضيء له طريق النجاة حيث يصرح بملء فيه قائلا : « معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون »

وهنا نذكر له رحلاته الإفريقية ، وإلقاءه المحاضرات والدروس فى كثير من ربوعها وماكان من حرص الزعماء الأفارقة ، وعلى رأسهم « سيكوتورى » أن يطالبوا الأزهر فى إلحاح بإطالة المدد التى كان يقضيها عندهم فى نشر الدعوة الإسلامية وتبصير الأفارقة بأمور الدين ، فى رحلات موفقة ناجحة .

ولاينسى الأزهر موقفه من الدعوة إلى احتشام طالبات الكليات الأزهرية ، وحرصه على متابعة التطبيق بنفسه وأنه هوجم من بعض السلطات وهدد بالفصل والعزل ، ولكنه وقف فى شجاعة المؤمن إزاء هذا التحدى ، معلنا إصراره وإباءه ، وخذل الذين تهددوه بالعزل وخابوا ، بل مدت له الدولة فى سن خدمته اعترافا بفضله ، وتمجيداً لمواقفه .

هذا قليل من كثير من مواقف زميلنا الذى نستقبله اليوم ، ولا يسعفنا الوقت ، وهو بطبيعته محدود ، فى أن نجلو الصوره المشرقة تمام الجلاء .

وإن المجمع إذ يستقبل الزميل الكريم ، ويرحب بانتظامه فى سلك أعضائه الخالدين ، عاملا مخلصا للغته وعروبته ، ليأمل فى خير كثير ونفع وفير ، وعطاء جم ، داعيا له بدوام الصلاح والتوفيق .

عبد السلام محمد هارون

كلمة الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله سبحانه وتعالى ، ونصلى ونسلم على أنبيائه ورسله ، وعلى خاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع .

السادة الزملاء أعضاء المجمع الخالد .

حضرات السادة الأجلاء ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، هذا يوم من أيام العمر الخالدة ، بل إنه فى واقع الأمر هو اليوم الخالد فى العمر كله ، وما تهيبت القول فى حياتى قبل هذا اليوم ، ولا غرو أن يتملكنى هذا الشعور ، وأنا أقف الآن بينكم وعلى أعلى منبر للغة العربية والأدب العربى والفكر الإنسانى ولقد قلت لنفسى وأنا فى طريقى إلى مجمعكم الخالد ماذا يمكن أن أقول لشيوخ اللغة وجهابذة العلم ، وأساطين البيان ، وهل أنا فى ذلك المقام إلا كمن يهدى التمر إلى هجر كما يقولون أو كواهب البحر درة ، ومانح الغيث قطرة وقالت لى النفس توكل على الله يا أخى وقف على هذا المنبر وأنت آمن ، إن أعوزك البيان فحسبك أن تنظر إلى هذه الوجوه المشرقة بنور العلم والإيمان والبيان لكى تلتمس فيها النور الذى يضئ لك الطريق ويهديك إلى سواء السبيل .

وإننى لأدعو الله أن يجزى شيخ المجمع ورئيسه الجليل خير الجزاء على تقدمته لنا فى هذا اليوم وعلى ما قاله عنا .

أما أخى الأستاذ عبد السلام هارون فإننى أعترف إننى لا أملك ذلك اللسان الفتى ولا هذا البيان القوى الذى يملكه أخى هارون ، فأخى هارون هو أفصح منى لسانا وأخى هارون هو أقوم وأقوى منى بيانا ولقد نظر إلى حقا بعين الرضا .وعين الرضا تضاعف الحسنات ، وقد تتغاضى وهى دائما تتغاضى عن الهفوات والزلات وكما قال القائل (وعين الرضا عن كل عيب كليلة) .

وإذا كان أخى وزميلى قد نظر إلى هذه النظرة الحانية كى يشد الله به أزرى فإنه ليس فى حاجة إلى أن أبادله تلك النظرة الحانية ، فقد ثبتت بحمد الله قدمه على الطريق وحسبه أنه بثقتكم وتقديركم أعضاء المجمع الخالد – قد أصبح الأمين العام ، وحسبه أنه من قبل قد نال جائزة الملك فيصل العالمية وهى جائزة سنية يكثر عليها الزحام ، ولا يظفر بها إلا العلماء الأعلام ، وإذا كنت لا أجاريه فيما قال فعلى الأقل يمكننى الآن أن أشكره والشكر الحقيقى لا يكون إلا بالدعاء الخالص ، وهو دعاء من القلب بأن يزيده الله توفيقاً وسدادا وهدى ورشادا إن شاء الله .

أيها السادة الزملاء

أيها السادة الأجلاء

أرجو أن تأذنوا لى أن أصرف ما قاله الأستاذ الكبير عبد السلام هارون فى تكريمى أن أصرفه عن شخص الضعيف ، وأن أوجهه إلى الأزهر الشريف ، فالأزهر الشريف هو الأرض الطيبة التى نشأت فيها ، وقطعت عليها مشوار العمر كله ، وهو الجو الطاهر الجميل الذى تمتعت بعبيره ، وتمسست فى عطوره ، وهو الحصن الخالد للإسلام الذى كان ولا يزال المنارة الهادية والكعبة الثابتة ومهما عصفت العواصف ، ومهما تلبدت الغيوم ، ومهما أحاط بالأزهر من ظروف قاسية عصيبة ، فانه كان ولا يزال وسيظل إن شاء الله مشرق النور وباعث الحياة ، وعين الماء الصافية التى نأوى إليها إذا اشتد الظما والدوحة المباركة التى نفىء إلى ظلها إذا قوى لفح الهجير .

وإذا كان القدر قد أسعدنى بأن أكون فى المكان الذى خلا بوفاة المغفور له الأستاذ الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق فإننى أجد لزاما على أن أتحدث عن فضيلته وعما أعرفه عنه ، أعترافاً بفضله ، وأداء للواجب نحوه وليأذن لى شيخ المجمع ورئيسه الجليل الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور أن استعيد جملة أو جملتين من كلمته فى تأبين فضيلة الفقيد الكريم فإنى أجد فى هذه الجملة أو فى هاتين الجملتين تصويراً دقيقاً لشخصية الراحل الكريم .

يقول سيادته عن الشيخ الفحام وبما تعيه الذاكرة « رحم الله الشيخ الفحام فلقد كان كالنسمة الهادئة الحلوة ، دخل إلى مجمعنا فى هدوء ، وعاش فينا ما عاش فى هدوء ، ثم رحل عنا فى هدوء ، وكان يأخذ نفسه بالحكمة القائلة الصمت حكم وقليل فاعله ، ولذا كان لا يتكلم إلا عند الضرورة وإذا تكلم جاء باللفظ المفيد « والكلمة القصيرة » .

وهذا الكلام الذى قاله الدكتور مدكور كلام دقيق يصور بحق شخصية هذا الرجل ، ولن أزيدكم عليه ولكننى سأدور فى فلك هذه الكلمة وسأمضى على أثرها

لقد عرفت فضيلة الشيخ الفحام منذ سنة ١٩٥٩ وكنت حينئذ مدرسا بكلية اللغة العربية ، وكان فضيلته وقتها أستاذاً وعميداً لها ، وكنت أجلس إليه فأرى أنه قليل الكلام حقاً ، ولكنه يتكلم دائما بالمفيد النافع مهما كان قليلا ، وعرفت فيه أنه رجل زاهد فى الدنيا ، ولكنه غير زاهد فى العلم ، فهو يحب العلم ، ويحب الكتاب ، ويسعد حينما يجلس إلى الكتاب ، وكان أسعد ما يسعده أن تقول له لقد عثرت على كتاب قديم فى النحو أو فى الصرف أو فى أى لون من ألوان المعرفة ، ويكون هو لم يعرف هذا الكتاب و تقول له لقد خرج إلى الوجود كتاب جديد يعالج ناحية علمية فى موضوع خاص كان الشيخ الجليل يسعد بذلك كل السعادة وكان على الرغم من منصبه الخطير يمشى أحيانا فى الشوارع ليتفقد كتابا يريد أن

يصل إليه ، وقد يجلس فى مكتبة صغيرة ويظل عاكفاً على أورقها المتناثرة المعثرة ساعات طويلة ليفتش عن شئ يريده فى مجال العلم والمعرفة ، وهو سعيد مطمئن ، وذلك كله كان دأب الشيخ وهذه كانت غايته التى يرجوها من الحياة فهو لم يفهم الحياة على أنها عيش رغيد ، ومركب فاره وجاه وسلطان زائف ، ولكنه فهم الحياة فهم الأتقياء الصالحين فكانت عنده هى الصلة بالله ، وهى أداء الواجب ، وهى العمل على نشر العلم والمعرفة .

ولا أحب أن أطيل فأسرد المزيد من تاريخ حياة الرجل فى هذا المجال لأنه مجال ممدود ، ولكنى أوجز فى كلمات قصيرة ما أعرفه من تاريخ حياته فأقول إنه نشأ بالإسكندرية وولد سنة ١٨٩٤ ثم نال شهادة العالمية من الجامع الأزهر ١٩٢٢ ثم عمل مدرساً بالأزهر وفى سنه ١٩٣٢ اختاره الأزهر لبعثة علمية إلى فرنسا فمكث هناك عشرة أعوام كاملة حتى نال شهادة الدكتوراه فى الآداب فى موضوع (معجم عربى فرنسى لإصطلاحات النحويين والصرفيين العرب) .

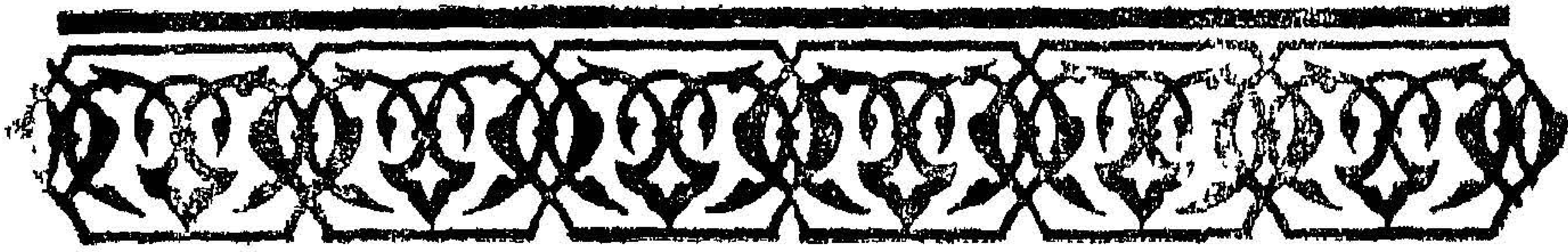
نال شهادة الدكتوراه بامتياز ، ورجع الشيخ الجليل بعد ذلك إلى مصر كما ترجع النحلة إلى خليتها وقد امتصت من يانع الزهر وشهى الثمار لتخرجه للناس عسلا مصفى ، وشراباً سائغاً فأخرج لنا كتبا قيمة ، وإن كانت قليلة العدد ولكنها بحمد الله كانت كتباً عظيمة الفائدة عميمة العائدة وأهمها كتاب سيبويه ، وكتاب الأدب المقارن . . . الخ وبحوث أخرى تجلى فيها علمه العزيز .

هذا هو موجز لحياة الفقيد الكريم وإنا فى هذه المناسبة لنسأل الله له الرحمة والمغفرة ونسأل الله أن يكثر من أمثاله ، وأن يمن عليه بالرحمات الواسعة .

وأعود إليكم بعد ذلك أيها الإخوة والزملاء ، فأحييكم وأشكركم ، وأسأل الله أن يجزيكم عنا خير الجزاء .

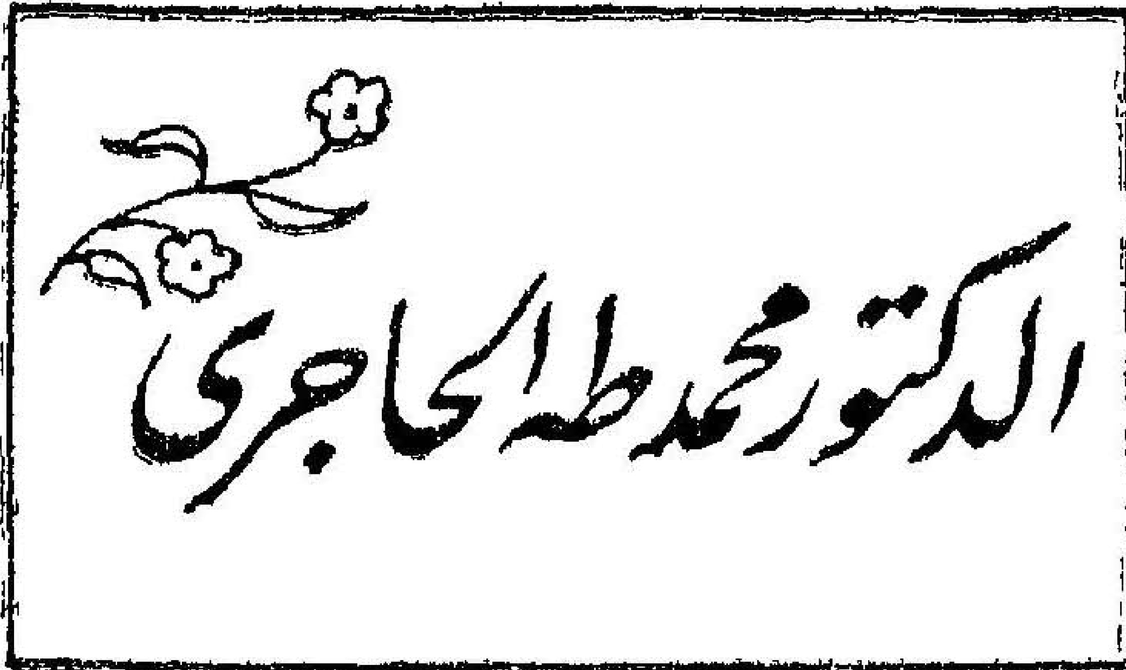
والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته .

محمد الطيب النجار



كلمة الدكتور شوقي ضيف (*)

في استقبال :



السيد الرئيس ، الزملاء الأجلاء

نشأ الدكتور طه الحاجري - كما ينشأ أترابه - في إحدى بلدان الصعيد الأدنى يختلف إلى مدرسة أولية لحفظ القرآن الكريم ، وعين أبيه العالم الأزهري الجليل ترعاه وتتعهده ، وأتم حفظ القرآن الكريم سريعاً ، ورأى والده أن يرسل به في سنة ١٩٢٠ إلى الأزهر الشريف فخالط طلابه واستمع إلى شيوخه ، وعاد إلى بلدته في صيف السنة التالية سعيداً بما تلقى من علوم وبما رأى في القاهرة من نشاط أدبي وسياسي ، وكانت بالبلدة مكتبة لكتبي سوداني تتحول في الأصائل إلى ما يشبه ندوة صغيرة ، وكان والده كثيرا ما يصطحبه إلى هذه الندوة ، فكان يستمع إلى ما يدور فيها من أحاديث أدبية ويطلع على بعض ما في المكتبة من كتب ومجلات ، ورأى بها مجلة الوجدانيات التي كان يحررها الأستاذ محمد فريد وجدي وتصفحها فأعجبته ، وأخذ يلتمس أعدادها ، حتى إذا رجع إلى القاهرة وعرف أن الأستاذ وجدي ينشر دائرة معارف شهرية اشترك في أجزائها ، واقتنى كتابه : على أطلال المذهب المادي ، وظل يتأثر بنزعته الإصلاحية الدينية والاجتماعية ، وهو في أثناء ذلك يعكف في الأزهر على الدرس والتحق حينئذ بمدرسة لتعلم اللغة الفرنسية ونال ثانوية الأزهر في سنة ١٩٢٩

تاكلم نشأة الفتى الدؤوب على الدرس الشغوف بالقراءة محمد طه الحاجري وآنس من نفسه رغبة في أن يتم دراسته في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، فالتحق فيها بقسم اللغة العربية ، وكان به صفوة من الأعلام أمثال طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام ، فأكب على الدراسة والتلقي عنهم ، وكانوا يكتبون في مجلة الرسالة فطمحت نفسه إلى الكتابة فيها ، وظهرت له فيها بعض مقالات جعلت زملاءه يرمقونه بإعجاب ونال الليسانس سنة ١٩٣٦ فرأى القسم أن يحتفظ به طالب بحث ، وفكر فيم يبحث ؟ ولم يلبث أن اختار عملا فيه غير قليل من المشقة والعناء هو تحقيق كتاب البخلاء للجاحظ ، وكان

(*) وضعت هذه الكلمة في كتاب « المجمعيون في خمسين عاما » ص ٢٩١ تعريفا بالدكتور محمد طه الحاجري

قد نشره فان فلوتن من مخطوطة بإحدى مكتبات الآستانة نشرة مليئة بالأخطاء، فتوفر عليه يحققه ، ووجد له مخطوطة أخرى كان له فيها بعض العون واستعان بمصادر تضمنت مقتبسات ونصوصاً من الكتاب كما استعان بمصادر كثيرة فى تخريج الآثار والشواهد المبثوثة فيه ، ومضى يحل مشاكله ويوضح مقاصده متخذاً لذلك كل وسيلة علمية ممكنة على نحو ما يتضح من تعليقاته على نصوصه ، وقد استغرقت نحو مئة وتسعين صفحة ، وفيها لم يكد يترك شخصاً ولا طعاماً ولا لوناً من ألوان الحياة والحضارة العباسية إلا وقف عنده وزاد القارئ بصراً به ، مع وضع الفهارس التفصيلية وبذلك أصبح كتاب البخلاء مذللا ميسراً للأدباء والباحثين — وكان قد أتخذ هذا العمل موضوعاً لرسالة الماجستير ، فأعجبت به اللجنة التى شكلت لمناقشته إعجاباً شديدا ، وعين معيداً بقسم اللغة العربية بالكلية

وكان أحد أعضاء هذه اللجنة مستشرقاً يدرس فى قسم اللغة العربية هو بول كراوس وقد أعجب بالحاجرى ، وكان يعجب بالجاحظ وأدبه ، فعرض عليه أن يخرج معه طائفة من رسائل الجاحظ التى لم تنشر يشاركه العمل فيها وفى تحقيق نصوصها واستجاب له الحاجرى وحققا معاً أربع رسائل ونشراها سنة ١٩٤٣ وأعاد الحاجرى نشرها فيما بعد مضيفاً إليها بعض رسائل ونصوص للجاحظ لم يسبق نشرها ، وقدم لها جميعاً بمقدمات تحللها وتوضح ملابساتها وتضعها فى مكانها من حياة الجاحظ وعصره

ونقل الحاجرى فى سنة ١٩٤٢ إلى جامعة الإسكندرية ،وظل بها طوال حياته الجامعية وبذلك كان أحد مؤسسى قسم اللغة العربية بها وجعلته صلته بالجاحظ يختاره موضوعا لرسالة الدكتوراه ؛ وأكب على دراسة بيئة البصرة مسقط رأسه وصور الحياة فيها وخصائصها العقلية وما كان بها من خصومات علمية وخاصة بين المتكلمين وفى مقدمتهم المعتزلة ودرس حياة الجاحظ فى أسرته ومولده ونشأته وثقافته ومذهبه الاعتزالى واتجاهه إلى التأليف ورحلاته إلى بغداد ، وأرخ لمؤلفاته ورسائله تأريخيا علمياً أدق ما يكون التأريخ العلمى وكان من ذلك كتابه القيم : « الجاحظ حياته وآثاره » .

وعنى بإخراج كتاب فى سلسلة اقرأ عن قصر الرشيد صور فيه ما كان بالقصر من نشاط سياسى واجتماعى وأدبى وألف فى تاريخ النقد العربى كتابا تحدث فيه عن بواكير هذا النقد فى العصر الجاهلى ونموه فى صدر الإسلام ونشاطه فى العصر الأموى ببيئات الحجاز والعراق والشام وكتب عن بشار بن برد الشاعر العباسى المشهور كتابا فى سلسلة نوابغ الفكر العربى صور فيه عصره وحياته وشخصيته وخصائصه الفنية مع طائفة مختارة من أشعاره الجيدة فى أغراض مختلفة .

وفى سنة ١٩٥٦ أعارته آداب جامعة الإسكندرية إلى جامعة ليبيا الناشئة وظل بها

إلى سنة ١٩٦٠ فساعد فى إنشاء قسم اللغة العربية بها وتأسيس الدراسات العربية فيها وأتاحت له سنوات هذه الإعارة فرصة للتعرف على الحياة الأدبية فى بلدان المغرب المختلفة مما هيأ له — فيما بعد — أن يكتب عن هذه الحياة طائفة من الكتب كان أولها كتابا نشر فيه محاضراته عن الحياة الأدبية بليبيا سنة ١٩٦٢ وكان قد ألقاها على طلابه فى معهد البحوث والدراسات العربية بالجامعة العربية ، وأعاد نشره فيما بعد — مضيفا إليه حديثا عن المغرب العربى فى القرون الثلاثة الأولى وفى العصر الحديث ، مسميا له باسم : «دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية فى المغرب العربى.

وأعير سنة ١٩٦٤ إلى جامعة بغداد لمدة عامين ، وعاد رئيسا لقسمه ، وراول بحوثه فى الأدب المغربى ولم يلبث أن ألقى فى سنة ١٩٦٨ على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية محاضرات عن الحياة العقلية والأدبية فى الجزائر ، ونشرها وقد صور فيها تلك الحياة منذ ابتدائها فى التاريخ الحديث مع دراسة تفصيلية عن الأمير عبدالقادر الجزائرى وأدبه وشاعريته وكتاباته العلمية وآثاره الصوفية شعرا ونثرا وآثاره الديوانية وكذلك عن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأعلامها وإنشاءاتها ومناهضتها للاستعمار الفرنسى .»

وأحيل الدكتور الحاجرى إلى التقاعد ، ووفاء للأستاذ محمد فريد وجدى أستاذه الروحى فى شبابه ألقى عنه محاضرات فى معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧٠ جمعها فى كتاب ، وفيه رسم حياته إلى أن بلغ الحادية والثلاثين من عمره مع بيان مؤلفاته واشتغاله بالصحافة حتى هذا التاريخ وعاد إلى بحوثه فى الأدب المغربى وعكف على دراسة ابن خلدون ونشر عنه كتابا قيما باسم . «ابن خلدون بين حياة العلم والسياسة» وأوضح فيه مراحل حياته فى البيئات المختلفة التى اختلط بحكامها وأهلها من الأندلس إلى الشام ومصر مع بيان مفصل للحياة العقلية فى تلك البيئات ، ويخص الآبلى أستاذ ابن خلدون فى الكتاب بترجمة دقيقة . وكان قد زار تونس فى سنة ١٩٥٦ فرأى أن يخص أديبها ابن شرف القيروانى بدراسة نشرها سنة ١٩٨٣ تجلو مراحل حياته فى موطنه وفى صقلية وفى الأندلس . وفى سنة ١٩٨٣ نشر كتابا عن مرحلة التشيع فى المغرب وأثره فى الحياة الأدبية هناك منذ قيام الدولة الفاطمية قبل انتقالها من أفريقية إلى مصر مع بيان دور ابن هانئ فى هذا الانتقال .

والدكتور الحاجرى — بجانب هذا الإنتاج الغزير فى التآليف — مقالات كثيرة نشرها فى مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وفى مجلات مختلفة بمصر والعالم العربى ، وكان لايخلو عدد من أعداد مجلة الثقافة فى سنواتها الأخيرة من مقال أضاف له وفى ختام كلمتى أهنئه بما نال من ثقة المجمع ، وأهنئ المجمع الموقر به .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الدكتور محمد طه الحاجرى

الحمد لله رب العالمين ، حمدا جزيلا أدعوه جل شأنه أن يجعله خالصا لوجهه ، مبرأ من كل ريبة وشبهة ، وأن يصغى منه بحيث يتحقق لى ما أرجوه به ، فيكون خير استهلال أفتتح به هذا العهد من عهودى ، وهذه المرحلة من مراحل حياتى ، وقد جاءتنى على غير رقبة لها ، وغير تقدير لما تقتضيه من جهد ، وما يستلزمه من رعاية . وقد عالت السن وهن العظم وتقاربت الخطى وتصاءلت الهمة : وما بلغتها إلا بفضل الإخوان الكرام الذين آثرونى بما ليس من قدرى ، ورأوا فى مالم أعد أراه فى نفسى . فلهم جزيل الشكر على ما أولونى من هذه النعمة السابغة ، ولهم موفور الثناء على حسن ظنهم وجميل تقديرهم .

وإلى الله جل شأنه أتوجه بقلب خالص أن يجزيهم خير الجزاء ، وأن يهبنى القدرة على أداء ما ينبغى من وفاء ، وأول ذلك أن أؤدى لهذا المكان الرفيع حقه ، وأن أقوم بواجبه ، فتكون هذه المرحلة من مراحل حياتى هى الجديرة بأن توسم بأنها مسك الختام منذ وجهت إلى طلب العلم ، وانتهى هذا التوجيه بى إلى الجامعة المصرية ، طالبا من طلابها ، وكان مما أتاحه ذلك لى أن تنعقد صلتى بهذا المجمع الذى أعود إليه هذه الأيام ، بعد نحو خمسين عاما ، وأن أتنسم إذ ذاك من عبيره ما وثق صلتى به ، وضاعف من إقبالى عليه إذا كانت أول دار له على النيل المبارك من ناحية ، يفصل بينه وبين الجامعة حدائق ناضرة ومساكن باهرة ، من ناحية أخرى ، كما كانت هذه الدار مثابة لصديق كريم ، إلى جوار المستشرق الألمانى فيشر

وبهذا الذى كان ينطوى عليه من اعتبار شخصى ، وما كان يمثله من اتجاه أدبى معنوى ، كنت أرانى منجذبا إليه ، مسوقا نحوه ، كلما وجدت فراغا من وقتى ، أقضى هذا الحق وذاك وإعداد وجدانى بمشهد من مشاهد النشاط العلمى يدور الحديث حوله فتزداد شوقى به ، وأعود منه مضطرب الخاطر بما يثيره فيه هذا الخاطر الذى استطاع أن يحفز شيخا كبيرا فى سن ذلك المستشرق فيحمله على أن يجوب أوربا ويركب البحر ، ليبلغ ذلك البارق الذى يتألق له على النيل ، ويراوده لتحقيق ذلك المشروع الذى كان ملء ضميره ، وليقر هنا حيث يجد طائفة من رفاقه دعاة الاستشراق يتحدث إليهم فى شأنه ، ويظفر بجماعة من الصفوة يدعوهم إليه ، ويسدد ما كان يعترضه دونه . لأنه مشروع وضع معجم تاريخى للغة العربية أقدم اللغات الماثلة بين رجال العلم .

وكان طبيعيا أن يتمثل ذلك كله لى عند حاوسى إلى صاحبى ، وأن تتردد أصداؤه فى نفسى عنـد انصرافى عنه ، فإذا بهـذه الأصداء تعرض لى صورة من أعضاء هذا المجمع فهم بين مرحب به هاتف له وبين مزور عنه مجاهر بإعراضه وبين متخذ موقفا محايدا ، كأنه يردد الأمر فى نفسه ويوازن بين الجهد الذى يتطلبه والمزايا التى تنشأ عنه وصاحب المشروع وشيعته حريصون عليه متشبثون به ، فهم لا يزالون يتحدثون عنه ويتوسلون إلى تحقيقه بكل وسيلة ، يحمونه بما ما يعانيه من معارضه ، وما يخشونه من بأس يصيبه .

ثم كان من ذلك حل وسط رضوا به ، وهو أن يتبوأ هذا المشروع مركز استقلاله فى هذا المبنى ، يعمل فيه فشر ومدير مكتبه وهذه الصفوة من موظفيه ، يتصححون الكتب ويستخرجون ما يعنيهم ويتطلبه المشروع منها ، وتتمثل فيه هذه الروح العلمية المضطربة ، بما فيها من إصرار على مواصلة العمل واستجابة إلى الأمل ، وتحد لكل عقبة أو صعوبة . وأنا فيما أحس من ذلك شديد الغبطة لا أكاد أشعر بما يمكن أن يعرض له من هذه الحرب التى لا تزال تقترب نذرها ، وتتوالى شرورها ، وتثير من الوساوس والتوحسات ما لا يكاد يخفى .

ثم ما لبث ذلك كله أن بهر واستعان وتهجم ، ولم يعد بد من أن يعود فيشر إلى ألمانيا ويخضع لما تمليه عليه ظروف الحرب فيها ، فيحتبس بها ، وينقطع ما بينه وبين مصر ويصاب مركزه فيها بما يشبه الفتور وقد تشتت فكره وتبدد أمره ودنت خطاه واضطرب البريد بينه وبين صاحب المشروع الذى ظل يحاول بمثله أن يقاوم ما عنى به ، ويستدرك ما فاته .

وكانت هذه هى المرحلة الوسطى بالقياس إلى المشروع كله ، فى ألمانيا وفى مصر حيث خفت صوته بقدر ما علا صوت خصومه ، وكلما اشتدت الحـرب زاد خمود هذا المركز وأحاطت به التوقعات من كل جانب ، وانبهمت حقيقته وضاعت معالمه ، لا فرق فى ذلك بين كبير وصغير ، كما يشهد لذلك الخطاب الذى ألقاه فى المجمـع وعرض فيه له كبير من أعلام الثقافة ، وزير المعارف ذلك الوقت .

وفى وسط هذه الحيرة كان لا بد للمجمع أن يلتمس طريقا له يخرج فيه من ذلك المضطرب ويخلص فيه من ذلك المأزق ويمضى فيما كان يدعـوه إليه الفريق الذى لم يكن مطمئنا إلى المشروع وكان فى هذا الوهن الذى سرى فى الأوصال وما أسبغ على دعوته بعض مظاهر القوة ، إلى أن قضى الأمر ، وقضى فيشر نحبه سنة ١٩٤٩ ، ومعه ماكان يقال من جزازات معجمه وكان فى ذلك المرحلة الأخيرة للمجمع مما كان قد ارتبط به معه ، وبدا أن مشروع المعجم التاريخى الذى كان أمينه قد قضى نحبه

معه دون أن يترك أثرا له غير هذه البقية الصغيرة منه التى بقيت مجتمعة فى صورة بدائية ثم ربى أن تتحول إلى صورة ثانية جديرة بأن تعتبر وجها من وجوه تراث المجمع فى مرحلة من مراحله .

وإذا كان المعجم التاريخى قد أثار فى جو المجمع ، بين دعاته وخصومه ، كل هذا الصجيج فإنما كان ذلك بسبب ما يمثله من نهج جديد فى التأليف المعجمى ، وقد انتهت هذه الضجة ولم يبق إلا أن يأخذ المجمع فيما لا خلاف عليه من معاجم تعتبر استطرادا لما كان بين أيدى الطلاب من قبل مثل مختار الصحاح بعد أن عدل ترتيب مواده ، وكان ما كان من أمر المعجم الذى أصبح بديلا من المعجم التاريخى والذى أطلق عليه اسم (المعجم الكبير) وكان قد بدئ فيه سنة ١٩٤٦

وبين يدى من هذا المعجم نسختان متفاوتتان تعاونا واضح المعالم أولاهما النسخة الأولى التى اعتبرت نسخة تجريبية ، وقد خرجت من المطبعة كاملة رقيقة وافية ، بعد أن روعى فى تأليفها أن يوفر لها كل ما يحتاج إليه عمل علمى جاد فكان أول ذلك أن وكل أمرها إلى أثنين من كبار الأساتذة المبرزين فى الــدرس اللغوى وأن اختلف اتجاههما : أحدهما الأستاذ الدكتور مراد كامل والآخر الأستاذ إبراهيم الإبيارى وأقيم إلى جانبهما أحــد أعضاء المجمع ، ليشرف من قرب على عملهما ثم كان من تمام ذلك أن ألفت لجنة من اثنى عشر عضوا من أعضاء المجمع تراجع ما ينتهيان من تدوينه مادة مادة ، تمهيدا لعرضه بعد ذلك حملة على المجمع ، حين ينعقد مؤتمره ، وحين يكون قد تم طبعه ليكون فى أيدى أعضائه وقد بلغت هذه النسخة مرحلتها هذه فى سنة ١٩٥٦. وأما النسخة الأخرى فقد تراخى العهد بها فلم تصدر عن المجمع إلا بعد ذلك بأربعة عشر عاما ، أى فى سنة ١٩٧٠ .

وطبيعى أنه ما إن ظهر المعجم الكبير فى صورته الأولى التجريبية حتى وزع على أعضاء المجمع جميعا ، وأرسل إلى الهيئات العلمية المرجوة أن تقرأه وتفحصه لذلك العرض الذى طبع من أجله ، ومن المفروض أنها وافت المجمع بما رأته وما لاحظته عليه ، ليكون ذلك فى يده حين يعقد مؤتمره وليتحقق ما كان قرره من « ألا يتم النشر إلا إذا أذن به وعرفت آراء المتخصصين من غير المجمعيين فيه » وذلك ما كان قارئ مثلى حريصا على أن يعرفه ، ولم يظفر به ، كما لم يظفر بالتحقق مما كان يحيك فى صدره ، بعد أن قرأ المقدمة مرة ومرة ، فأحس فيها بما يشبه أن يكون من سمحات طه حسين ، وإن نشرت عطلا من التوقيع .

ولكن ظل هذا الحدس يراودنى ويثير حيرتى إلى أن اتفق لى أن قرأت ما أملاه الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور ، رئيس المجمع عن (طه

حسين مكافحا) فإذا به يذكر فى حديثه عنه بعض ما اتفق له معه ، وذلك إذ يقول :

« ويوم يئس المجمع من إخراج معجم فيشر التاريخى ، اتجه نحو فكرة وضع معجم كبير ، وأبى طه المكافح إلا أن يصطلع بعبء التمهيد وهذه مهمة عشت معه فيها ، وزاملته فى تنفيذها . وأشهد أنه بدأ أولا فى رسم منهج هذا المعجم ، وقضى عدة سنوات يتابع إعداد قدر من مواده ويراجعها فى أناة دورية واستطاع أن يخرج منها نموذجا فى نحو خمسمئة صفحة ، وقد دفع به المجمع إلى الباحثين والمتخصصين ، راجيا أن يوافيه بما يعن لهم من ملاحظات وتعليقات وكان هذا النموذج أساسا سار عليه المجمع فى إخراج معجمه الكبير » .

فكان فى هذه الفقرة ما جلا غير قليل من هذه الحيرة وطمأننى — إلى حد غير قليل — نحو ما كنت أحسه فى المقدمة ورجح عندى ما كان يحيك فى صدرى من مشاركة طه حسين فى إعداد بعض مواد هذا الجزء ، ومبلغ حرصه على ذلك . ثم كان مما هاج غيظتى فى هذه المقدمة ما جاء فيها دالا على وجوب الإبقاء على فكرة المعجم التاريخى ، وإن حالت بعض الظروف دونه ، ومن ذلك ما تضمنه من تخطيط له ، وتفكير فيه . وأحسب أنه كان لمثول هذه الفكرة فى ذهن كاتب المقدمة أثره فى أن جاءت هذه النسخة بهذه الصورة التى تأذن لنا أن نعتبرها ممثلة لنمط أو وسط بين فكرة المعجم التاريخى وهذا المعجم الذى سمى المعجم الكبير . ثم كان من ذلك ما نشعر به من أن الأمر لا يعدو مراجعتها والنظر فيها لينقى عنها ما قد شابها ، فإذا تم ذلك فقد انفتح سبيلها إلى المطبعة ليخرج الكتاب فى صورته النهائية الحاسمة

كان ذلك هو إحساسى بعد أن قرأت المقدمة ، وتأملت هذه الفقرة ، ولكن ما عدا مما بدا وما بال هذه السنوات الطوال تمضى متتابعة الواحدة وراء الأخرى ، حتى كادت تكون فى مقدار السنين التى أنفقت فى إعداد النسخة الأولى ؟ وكيف تحول ما لم يكن فى التقدير أكثر من عام أو عامين إلى هذا المدى المتطاول ؟ ذلك ما كان جمهور القراء يتساءل عنه ، دون أن يجد مجيباً له ، حتى ظهرت النسخة المرجوة سنة ١٩٧٠ وربما توقع بعض القراء أن يجدوا فى مقدمتها إجابة لما كانوا يتساءلون عنه . ولكن يبدو أن السيد الأستاذ الأمين العام آثر أن يطوى ذلك طيا ، لسبب لا نعرفه ويكفنى منه مما يدل على ما بذل له من عناية ، واحتفى به من رعاية ، فكان ذلك قوله عنه :

« وقد أن يحظى معجم بمثل ما حظى به هذا المعجم الكبير من درس مفصل ، ومراجعة دقيقة ، ومتابعة وافية بعد مادته محررون دربوا فى كنف المجمع وتحت إشرافه ويراجعها خبراء متخصصون ، لهم قدم راسخة فى اللغة وعلومها ، وفى اللغات السامية والفارسية والتركية ، ثم يعرض

على لجنة المعجم الكبير ، وأعضاؤها من كبار رجال الأدب واللغه والعلم والفلسفة ، ولا يتردد هؤلاء فى أن يرجعوا إلى زملائهم المجمعيين الآخرين فى نواحى اختصاصهم ، ويجيء أخيرا دور أعضاء المؤتمر ، وما من جزء من "هذا المعجم إلا عرض عليهم" .

ثناء بليغ لهذا الجهاز من أجهزة الدولة ، وتقدير جزيل لما يؤديه بطبيعة تأليفه للغة العربية ، وما يقدمه من فحص لمفرداتها ، بدلا مما كان القارئ يتوقعه ، تحقيقا لما تقدم فى مقدمة النسخة الأولى من أنها نسخة تجريبية أى أن ما يجرى عليها إنما يكون فى حدود هذه الصفة ، فالصلة بينهما واضحة والعلاقة بينه. ولكنه ما يكاد ينظر فيها حتى يبدو له أن كلا منهما سلك سبيلا مستقلة ، واتخذ منهجا انفرد به ، وأن هذا هو الذى اقتضى ذلك الزمن الطويل الذى فرق بينهما مما لا يجب أن يطيل الوقوف عنده بعد هذا الذى انتهى إليه

وهذا الذى انتهى إليه هو مبدأ حديثنا عما استتبعته هذه النسخة مما كان له أثره فى توجيه الدراسات المجمعية وتنظيم اللجان الخاصة بها . لأنها تلك الموسوعية التى كان من أول ما يقتضيه الوفاء بحاجاتها من إسناد كل أمر إلى أربابه المختصين ، فكثرت اللجان حتى تجاوزت العشرين . مضت كل لجنة فى سبيلها مستغرقة فى درس ما هو موكول إليها .

ومن أول هذه اللجان لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم وهو المعجم الذى كان الدكتور محمد حسين هيكل اقترح وضعه ورسم من أجل ذلك فى شهر مارس سنة ١٩٤١ بعض مناهجه وقواعده حتى إذا كانت سنة ١٩٤٤ فقد بدئ فى تحقيقه ، وألفت لجان له ، ولكن لم يظهر أول أجزائه إلا فى سنة ١٩٥٣ . ثم ما زال العمل ماضيا إلى أن رنى إسناده إلى الأستاذ أمين الخولى رحمة الله ، عليه فنظر فيه نظرة علمية ، فكان مما رآه أن يستند هذا العمل إلى نهج علمى شرحه فيما قدم به له

وأحسب أن الناظر فى هذه الفترة ، المتأمل لما استحدثته من دراسات ، لا يستطيع أن يغفل مثل هذه اللفتة ويتجاهل أثرها فيما جعل المجمع يأخذ به نفسه من العمل لإحياء المعاجم القديمة كصنيعه فى مثل كتاب (التكملة والذيل والصلة) للحسن بن محمد الصغانى ، وقد عهد به إلى الأستاذ عبد العليم الطحاوى ، إذ وكل إليه الجزء الأول والرابع منه يراجعهما ويحقق نصهما وجعل الأستاذ عبد الحميد حسن مراجعا له . وكذلك صنع فى الجزء الثانى

فعهدبه إلى الأستاذين إبراهيم الأبيارى ومحمد خلف الله والجزء الثالث أسند العمل فيه إلى الأستاذين أبو الفضل إبراهيم، الدكتور مهدى علام . واتبع مثل هذه السنة فى كتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى ، وديوان الأدب لإسحاق إبراهيم الفارابى .

وإلى جانب هذا الجهد الذى يرى المجمع حقا عليه أن يبذله لبقاء تراثه يحييه من ناحية ويهيئه للإفادة منه فى الحياة العلمية والأدبية المعاصرة من ناحية أخرى ، ما كان له أن يغفل هذا الجانب الآخر وبذلك وجه إليه اهتمامه فألف اللجان المختلفة له تستخرج ما ينطوى عليه ، وتقترح لما ليس فيه ما يلائمه ، معرفة به وبشرحه ووضع ما يقابله فى اللغات الأوربية ازاءه فأتيح له من ذلك قدر ضخم من الألفاظ الاصطلاحية فى شتى المجالات العلمية والفنية ما أشد الحاجة إليها وما أحراه أن يتخذ السبل المختلفة لإذاعتها وإشاعة استعمالها

هذه بعض وجوه نشاط المجمع العلمى وهذه بعض مآثره على الحياة الفعلية فى مصر والعالم العربى استطراداً مما بدأنا الحديث به . وعن هذا الأصل تكون هيكله ، ومن أجل هذه الأهداف أنشئت تنظيماته التى لم تزل تتمدد وتتشعب ، ملتمسة عند أهل الاختصاص الضيق غاياتها ، فتم بذلك بناؤه ، من طبقة المحررين إلى طبقة الخبراء والمحققين وأصبح موضع الثقة فيما يمارسه من عمل وما يقضى فيه ويحكم به ، وحق له بذلك أن يكون الهيئة العليا والمرجع الأخير فى قضايا اللغة وفى المثل الأدبية الرفيعة التى نرجو أن تظفر فيه بحظها وأن تتبوأ فيه مكانتها ، وأن تكون شهادته لها شهادة الصفوة المختارة من أهل الأدب الرصين والذوق الرفيع

وبعد ، فهذه ، صور ثلاثة تمثل ما كانت هذه الهيئة الجليلة تعرضه فى حياتى ، حين كانت هذه الحياة سيارة جوالة بين ما كان يلابسها ويستدرجها ، وقبل أن تمنى بما جعلها محدودة مقصورة لاتكاد ترى إلا بما تؤثر أن تتجنبه ، ولا تكاد تظهر من صور النشاط الفعلى إلا بما يبلغها حيث تقيم ، تفصلا من أصحابه ، واقتصر وصححات نشاطها على الفكر فيما حولها من كتب وما يجول فى باطنها من ذكريات ، وما نبعت فى ضميرها من تأملات ومراجعات . فما كان أشد ما فوجئ به ذات ليلة إذ أخبره أحد هذه القلة التى تتفضل بزيارته ، رعاية لعهده القديم معه أن هناك فى مجمع اللغة من احتفظوا بوده ، وإن من بينهم من صح عزمه على أن يرشحنى لأحد الأماكن الخالية فيه ، وإنما الذى يقصده هو أن يعرف من أعمالى العلمية ما لا بد له منه وكان ذلك مفاجأة لم أكن لأتوقعها ، لم تخطر لى على بال ولم تمر لى بخاطر ، حتى لقد ظننتها لونا من ألوان المزح ، وقابلتها بمثل ما يقابل به المرح أو العبث .

ومضت بعد ذلك أيام ، وأنا منصرف إلى ما تعودته فى حياتى ، وما أخذت به نفسى ، وقد أنسيت كل هذا الذى مر بينى وبين صاحبى ، وإذا بهذا الذى اعتبرته صورة من صور المرح أو العبث قد صار الجد كل الجد ، وإذا بى أواجه قصية ما كان فى تقديرى أنى مواجهها وإذا بى إزاء تبعة جديدة أضيفت إلى تبعاتى ، وما يحل لى أن أتجاهلها ثم إذا تثير فى نفسى كثيراً من الفكر ، يعمر قلبى بغير قليل من البلبلة ولكن ما يكون لى أن أغمض عينى عنها أنا الذى نشأت واطردت حياتى واستقامت طريقتى على أن أتحمل كل ما يعترضنى ، أو يقدرلى ، أو يناط بى .

وبذلك انتهت هذه المرحلة من مراحل اتصالى بالمجمع . صورة حقيقية لها أبعادها الماثلة فى حياتى ، أو صورة متوهمة يمتلها فكرى ويصوغ أحاسيسها خيالى ، لأعد نفسى لاستقبال مرحلة جديدة ، لعلها تكون المرحلة الخامسة وليس لدى من أدوات هذا الإعداد إلا ما بقى ماثلا فى ذاكرتى وما لدى من أجزاء المجلة التى يصدرها المجمع فى صور مختلفه ، وما يكون قد بقى عندى من محاضر جلساته وما يؤديه ذلك كله من بعض صور مختلفة ، وما كونه فى نفسى من صور شيوخه الأوائل وأساتذته السابقين ، ومن الجو الذى كان يسود ، والأهداف التى كان يهدف إليها .

وإذا كان فيما قدمته عن تاريخ صلتى بهذه الهيئة الجليلة ، ووجوه علاقتى بها حاضراً معها أو غائباً عنها ، ما يأذن لى أن أتقدم إليها ، وأوطئ مكانى لديها ، فقد بقى على أن أخلص من هذا إلى الحديث عن سلفى الكريم ، رحمة الله عليه ، فأؤدى له بعض حقه على ، وقد كان من قدرى أن أشغل المكان الذى كان يشغله ، وأؤدى شيئاً من قبيل ما كان يؤديه .

إنه الأستاذ الجليل المرحوم على الجندى ناصف ، إلا أكن عرفته بشخصه فقد عرفته بعامه وإلا يكن أتيح لى أن ألقاه وجها إلى وجه ، فقد لقيته فى بعض ما أتيح لى من كتبه وآثاره ، وما بلغنى من أخباره . فقد اختلف شأنى وشأنه ، وتفاوت ما بين جيلى وجيله . ولكن الذين شغلوا بالعلم قد وصل العلم بين بعضهم وبعض ، وسرى بينهم من الضوء العقلى ما أنار المسالك التى تفصلهم وإذا هم متقاربون متواصلون وإن بدا فى ظاهر الأمر أنهم فى أودية مختلفة متقاطعون متباعدون .

فجيله بالقياس إلى جيلى يمثل الأبوة الفاصلة ، وطبيعى أن يكون ذلك من أكثر أسباب غبطتى إذ لا أكاد أنظر ورائى فأرانى صبيا فى الثالثة عشرة حتى أراه أستاذا ناضجا مكتمل الرجولة ، قد ظفر بدبلوم دار العلوم ، وتهيأ له بذلك أن يتولى تدريس العربية فى مدارس

الدولة ، وترداد النظر والفكر فيما تزخر به المكتبة من رخائر قد مهدت طرائقه نحوها .
ثم ما زال ينتقل من مرحلة إلى مرحلة حتى صار أستاذا بإحدى مدارس المعلمين حين كان الأستاذ الدكتور مهدى علام يتولى منصب التفتيش ، فمر به ، وكان مما لفت نظره فيه وهو يلقى درسه ويعالج بعض موضوعاته مع طلابه أنه طراز من المدرسين ممتاز الشخصية موفور الكفاية ، إذ كان ، كما هو نص كلامه عنه «فى أدائه وإلقائه وحواره نموذجا للمعلم القدير والمربى الماهر الذى يتخذ من درسه ، وما يعالج من حقائق وسيلة لبناء العقول وإنشاء الأنفس » .

ولعل هذه الشهادة ، وما تواتر عنه من استغراق فى الدرس وإكباب على القراء ، مما مكن له من أن يصل إلى الذروة التى كانت مطمح أنظار معلمى اللغة العربية ، وهى دار العلوم « ذلك المعهد الذى كانت تحيا فيه اللغة العربية بفروعها الأدبية واللغوية ، وما يتصل بذلك من ألوان الثقافة الإسلامية». وما إن بلغ هذه الذروة حتى نشطت مواهبه وبرزت ملكاته ، كأنما ظفر فى هذا المعهد وما حمى به فيه من حفاوة ، وما جعل يقوم إلى جانبه من مؤسسات للنشر العلمى ، ماجعله يوغل فى الدرس ، ويستغرق فى التأليف فإذا بكتاب له عن سيبويه يتصدر ما كانت لإحدى هذه المؤسسات معنية به ، وإذا هو يصدر عن مكتبة نهضة مصر ، بعد أن تم طبعه فى مطبعة لجنة البيان العربى ، سنة ١٩٥٣ ، ممثلا شخصيته التى كانت مزاجا من الأدب والنحو ، ومنهجه الواضح القديم فى معالجة المسائل معالجة تتجلى فيها خصائص هذه الشخصية ، وما تتم به وتنزع إليه من أصالة واستقلال .

وإذا صح ما نفترضه من أن هذا الكتاب هو أول كتبه فلا بأس من أن نجعل الكتاب التالى له هو كتابه عن أبى الأسود الدؤلى الذى صدر فى سلسلة دراسات فى الإسلام التى كان يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، لا من حيث تاريخ صدوره ، بل من حيث موضوعه ومسائله بحيث لا يستطيع الدارس وهو يتتبع المقدمات النحوية التى تأسس عليها نحو سيبويه أن ينقل ما فاته منها فى زمان أبى الأسود ، ولا الملابسات التى كانت تلابس الحياة العربية فى ذلك الوقت ، وإن لم يجد المناسبة لذكرها ، وبذلك لم يملك الوقوف عندها ، وإن بقيت شاغلة له ، مسيطرة على فكره ، إلى أن حان من معالجته بها ، فكانت هذا الكتاب الذى كان أقرب كتبه إلى كتابه عن سيبويه وأشبهها به فى منهجه وفى المزاج المسيطر عليه ، وفى غلبة الطابع الأدبى .

وهذا الطابع الأدبى ، مع ما فعل أساتذته فى دار العلوم الذين كانوا يأخذون به هو — فيما يعتقد — الأصل فى اتجاهه إلى بعض الشخصيات الأدبية يدرسها ، ويصدر كتبا عنها ، كما فعل فى دراسة ابن قيس الرقيات من شعراء القرن الأول ، وما اتجه إليه من دراسة حماسة أبى

تمام وما التزمه من منهج خاص فى مختاراته، ثم صار إليه من درس الدين والأخلاق فى شعر شوقى ، وكذلك كان هذا الطابع مما وجه إليه نظر صاحبه الأستاذ محمد أبى الفضل إبراهيم ، فأسند إليه تحقيق الجزء الأخير من الطبعة الأخيرة لكتاب الأغانى وما نحسب أن ما تناوله من عمل أدبى يبعد الصلة بما كان مطبوعا عليه من إقبال على درس النحو وتاريخه ، وما كان يصطنعه من مزج بين الأدب وبينه فى مثل هذه الدراسة .

وهذا الذى أمعن فيه واشتهر به ، والذى وصل ما بينه وبين الفراء فى كتاب معانى القرآن ،وبين أبى على الفارسى فى كتاب الحجة ، هو الذى رشحه ليكون عضوا فى لجنة الألفاظ والأساليب من لجان المجمع وهو ما يأذن لنا بالتحول إلى وجه من وجوه نشاطه فى هذه الهيئة قبل أن يكون عضوا من أعضائها ، وبعد أن صار أحد رجالها . ولا بأس من أن نكتفى بما يدل على هذا المعنى فنقتصر من ذلك على فصل كتبه فى مجلة المجمع فى شهر نوفمبر سنة ١٩٦٩ عن كتاب المدارس النحويه للدكتور شوقى الضيف ، وفصل آخر كتبه عن كتاب الحجة لأبى على الفارسى فى المرحلة التالية .

فأما الفصل الأول فهو فصل سهب يردد فى مناقشته ما كان يدور فى ذهنه عند دراسته تاريخ النحو وهو يكتب كتابه عن سيبويه ، وبعد كتابه الآخر عن أبى الأسود ، فإذا ما أورده كتاب المدارس النحوية يخالف ما كان قد تبت عنده . وإذا هو لا يجد بدا من تقريره ، فهو من « الذين يعرفون النحو عن ممارسة ومعاناة » بحكم تدريسه له ، كما يعرفونه عن دراسة واقتناع بحكم إكبابه عليه . وبهذه الصفة كان من واجبه التصدى لما يقال عنه ، وكذلك كان شأنه إزاء هذه المسألة . وقد أضاف إليها ما رأى من مسائل فى كتابه مختلفات وقف عندها مناقشا ، وجميعها من المسائل التى يذكر نابها ما عرضه فى كتابيه ، ومن الجزئيات التى وصفها بأنها لا يجمل أن تقع فى كتاب يتصل بالنحو من قريب .

وإذا كان هذا الفصل يدلنا على ما كان الأستاذ على النجدى ناصف مشغولا به ، حريصا على أن يذكر معه من أمر النحو فى تاريخه ومسائله ، فكذلك كان شأنه فى الفصل الآخر الذى ترجع كتابته إلى فترة عضويته فى المجمع ، فليس الحجة إلا كتابا كتبه أبو على الفارسى « أبعد تلاميذ الزجاج شهرة ، وأعمقهم فى العربية فلسفة » ينقد فيه كتاب شيخه هذا الذى ألفه فى معانى القرآن ، وكان هذا هو الذى أتاحه للأستاذ على النجدى ناصف وهو مشغول بمتابعة هذا التاريخ ، وكان من أول واجباته العلمية أن يعرض له معترفا به ، وأن يؤدى فى هذا بعض مسائله أو أبوابه ، وهو « يرجو أن تكون كافية فى تصوير شخصية الفارسى ، وتبين منهجه فى الكتاب ، على نحو إلا يكن كاملا تقاربه » .

ولهذين الفصلين نظائر أخرى له فى مجلة المجمع ، وفيما كان يكتبه استجابة لما كان يرغب إليه فيه ، مما يدل على استمرار حرصه على هذا اللون من ألوان دراسته ، وهذا النحو من أنحاء أبحاثه صادرا فيه عما كان مكبا عليه منصرفا إليه ، مستغرقا فى تذوقه ، مستهديا بماله من ذوق أدبى . وكان له من هذا وذلك ما يجعله جديرا بأن يكون أحد الممثلين لهذه الوجهة من وجهات المجمع ، وأن يكون مكانه منه فى صدر الذى يعتبرون من المراجع الكبرى لها ، بما يملك من زمام اللغة تذوقا لها وإحاطة بأساليبها .

وإذا كان الأستاذ على النجدى ناصف قد أتيح له ذلك بين زملائه من رجال المجمع ، أيما كان حريصا على أن يتحقق به من تذوق وإحاطة ، وكان ذلك أحد الغايات التى يحرص المجمع على أن يبلغها أهل اللغة من رجاله ، فإنه بالقياس إلى خلفه الذى شغل مكانه وإن لم يباع مبلغه ، وما هو جدير أن يملأ قلبه غبطة ، ويملأ أعطافه فخرا به ، داعيا الله جل شأنه أن يمكنه من أن يمضى فى سبيله سبيل العلم الواسع الساحات ، والمتعدد الشعب والمذاهب . تضىء له أنواره ، وتتألق فى قلبه أضواؤه وأزهاره .

والحمد لله رب العالمين .

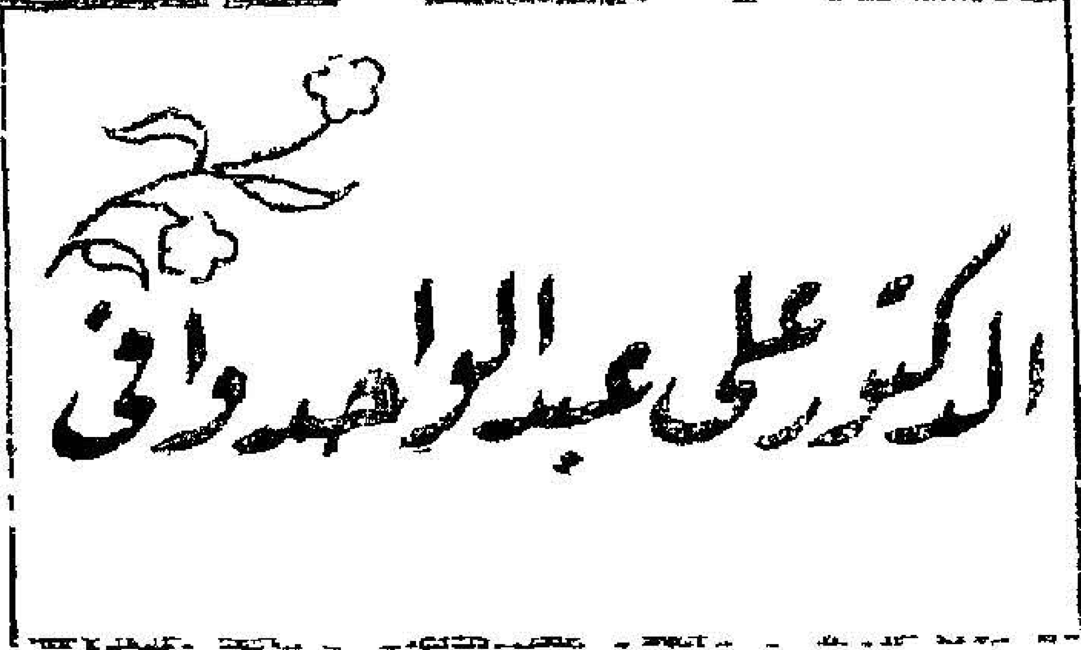
محمد طه الحاجرى

تعقيب للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

لا يسعنى إلا أن أشكر الزميل الدكتور طه الحاجرى على بحثه الذى نرجو أن يتوسع فيه ، ما استطاع ، فى لجنة المعجم الكبير ، أما الجزء الآخر الخاص بالتاريخ فأعتقد أن هناك حلقات فائتة ، ذلك لأن الموضوع ، كما أشار تابعته أنا منذ عام ١٩٤٦ ، وهناك ملف طويل عريض يتصل بهذا ، وإن كان طه قد اتصل بالمعجم التاريخى قديما ، فإننا نعول عليه اليوم فى المعجم الكبير .

●● كلمة الدكتور أحمد السعيد سليمان

فى استقبال :



سيدى الرئيس ، سيداتى سادتى .

إن الدكتور على عبد الواحد وافى الذى شرفنى المجمع فاختارنى لاستقباله ، عالم كبير قد عرفناه جميعا منذ أكثر من خمسين عاما ، شيخ صناعة ، وسيد جماعة ومجاهدا من مجاهدى الرأى ، دخالا فى معامعه ، مستعدا لأيام الهياج وحماية الحق والحقيقة بالعلم والغيرة وقوة الحجة وسلامة المنطق وسلامة القلم .

وهو كقطعة البلور الكثيرة الجوانب من أية زاوية من زواياها نظرت رأيت لونا من ألوان الطيف ، فهو أستاذ أكاديمى فى علم الاجتماع وعالم من علماء الإسلام متربص بأصحاب الغارات والافتراءات يدمغهم ويدمغهم ، ورأس مدرسة لغوية متميزة .

ولد فى ٣ مارس ١٩٠١ فى أم درمان بالسودان ، وكان والده الشيخ عبد الواحد وافى ، وهو من أول دفعة تخرجت فى دار العلوم ، أستاذ اللغة العربية والشريعة الإسلامية بالمدارس الأميرية ، ثم بكلية غردون ، ولما انتهت مدة عمل والده بالسودان ١٩٠٥ عاد مع أسرته إلى القاهرة وألحق ولده عليا بالمدارس الابتدائية فظل بها نحو أربع سنين من ١٩٠٦ إلى ١١٠٩ ، ثم غير والده وجهته الدراسية وآثر إعداده للالتحاق بالأزهر على غرار ماسار عليه والده نفسه ، فحفظ القرآن الكريم وطائفة من المتون فى مواد اللغة العربية والميراث والتوحيد ومصطلح الحديث وتلقى شروحها على والده ثم التحق بالأزهر الشريف ٩١٥ وظل بها حاصلا على أرقى الدرجات فى دراسته حتى ١٩٢١ ، ثم تقدم للالتحاق بدار العلوم فكان فى مقدمة الناجحين فى امتحان القبول وهم خمسة عشر طالبا من مجموع المتقدمين وهم يزيد على مئتين ، وتخرج فى دار العلوم ١٩٢٥ فكان أول فرقته ترتيبا فأوفدته وزارة المعارف العمومية باريس فقضى بها نحو ست سنين من أواخر ١٩٢٥ إلى منتصف ١٩٣١ ، ولقد حصل

على درجة الليسانس فى الفلسفة والاجتماع ١٩٢٨ ثم قيد للدكتوراه فى علم الاجتماع تحت إشراف المسيو موكونيه أستاذ الاجتماع بالسربون وخليفة دوركايم وكان عنوان الرسالة الأولى «نظرية اجتماعية فى الرق» وعنوان الأخرى «الفرق بين رق الرحل ورق المرأة» وحصل على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى فى مايو ١٩٣١ وعاد إلى مصر فعين فى دار العلوم مدرسا للاجتماع وظل بها نحو ست سنين انتدب فى أثنائها للتدريس فى كلية الآداب وفى كليات الأزهر وأقسام تخصصه

ثم عين ١٩٣٦ مدرسا لعلم الاجتماع فى كلية الآداب فرفع قواعد هذا العلم وأعلى دعائمه وعروبته فقد كان الأساتذة من قبله أجانب يحاضرون باللغات الأوربية ويستكتبون الطلاب رسائلهم بهذه اللغات . وبدأ يبحث عن الجذور العربية والإسلامية لهذا العلم وعنى بدراسة النظم الاجتماعية والإسلامية دراسة مقارنة ومازال يجاهد حتى أنشأ لعلم الاجتماع قسما درأسه فى ١٩٤٧ وولى رياسته وكل ماأنشىء بعد ذلك من أقسام الاجتماع فى الجامعات المصرية فإنما هو تقليد لهذا القسم النموذجى الأول .

ثم شرق الدكتور وافى وغرب فأنشأ أقساما للاجتماع فى أرجاء العالم العربى . فى السودان والجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية .

وقد أنشأ الدكتور وافى جمعيتين علميتين ذواتى شأن فى حياتنا الثقافية «الجمعية المصرية لعلم الاجتماع» و«الجمعية الفلسفية المصرية» وأشرف على إصدار مؤلفاتهما .

والدكتور وافى عضو فى المجمع الدولى لعلم الاجتماع وقد حصل من هذا المجمع على دبلوم العضوية الممتازة

ومثل الدكتور وافى مصر فى مؤتمرات دوليه أهمها مؤتمر حقوق الإنسان الذى عقده اليونسكو بمدينة أكسفورد وقدم له الدكتور وافى بحثا بعنوان «حقوق الإنسان فى الإسلام» .

وقد نشر له خمسة وأربعون مؤلفا كبيرا بعضها بالفرنسية، ونحو خمسين بحثا، ومئات المقالات فى الصحف والمجلات العلمية .

ومن أهم مؤلفاته فى علم الاجتماع «الأسرة والمجتمع»، «المسئولية والجزاء» «علم الاجتماع» «مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى وعلاجها فى ضوء العلم والدين»، «وغرائب النظم والتقاليد والعادات» فى جزءين كبيرين[1] «الهنود الحمر» «الطوطمية» ، «الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى» «ابن خلدون منشىء علم الاجتماع ، المدينة الفاضلة للفارابى مع مقدمة وتحقيق وشرح وتعليق «الاقتصاد السياسى وتحقيق نظرياته فى ضوء علم الاجتماع ، «أصول التربية ونظام التعليم» المساواة فى الإسلام ،

الحرية فى الإسلام . حماية الإسلام للأنفس والأعراض ، « العموم والأضحية فى الإسلام والشرائع السابقة ، الأسفار المقدمة فى الأديان السابقة للإسلام ، اليهود واليهودية » بين الشيعة والسنة » وقام بتحقيق مقدمة ابن خلدون ومهد لها للتعريف بها وبمؤلفها فى نحو ثلاثمئة صفحة وأثبت الفصول والفقرات التى سقطت من طبعاتها المتداولة وتبلغ زهاء مئة صفحة وقد عثر عليها فى مخطوطات نادرة وتمثل معظمها فيما أضافه ابن خلدون إلى مقدمته فى أثناء مقامه بمصر . وأصلح أخطاءها وشرح مسائلها . وعلق عليها بنحو ثلاثة آلاف تعليق وقد ظهرت هذه المقدمة بتحقيقاتها وإضافاتها السابق ذكرها فى طبعتها الثالثة فى ثلاثة أجزاء يقع كل جزء منها فى نحو خمسمئة صفحة من القطع الكبير وتبلغ فى حجمها نحو أربعة أضعاف حجم المقدمة نفسها ولا بد أن يكون هذا العمل الضخم قد اقتضاه مجهودا كبيرا ورمنا طويلا .

وللدكتور وافى . عدا كتبه وأبحاثه ومقالاته ، مساجلات كثيرة كشفت عن رعايته الكاملة لآداب المناظرة . ففى ١٩٤٤ وهو بعد فى الثالثة والأربعين من عمره ساجل المعمور له عبد العزيز فهمى باشا فى مشكلة اصطناع الحروف اللاتينية . وكانت فى الشيخ رحمه الله حدة يعرفها فى خيار الأمة إن علت بهم السن وكما قد رأينا شواظا منها فى مجلة الرسالة حين ناقشه أحد مشايخنا الكبار من أعضاء المجمع الراحلين . ولكن الدكتور وافى — على شبابه يومذاك — كان من لطف المدخل وحسن التأتى وجمال العرض حيث لم يناله من قاضى القضاة إلا التشكر الجزيل والثناء الجميل وله عدا ذلك مناظرات فى مشكلة تحديد النسل ومشكلة اختلاط الجنسين وغيرهما من المشكلات الخلافية العويصة وقد تحدث فيها جميعها حديث المسلم السلفى الغيور لا يريد إلا وجه الله ووجه الحق وليلبسه عند ذلك اللوم .

والدكتور وافى مؤسس علم الاجتماع فى مصر نحوى وعالم لغوى متميز إن حدثته فى مشكلة من مشكلات النحو التى يموت الرجال وفى أنفسهم شئ منها فإن فى برديه شيخا أزهريا وأستاذا من الرعيل الأول من أساتذة دار العلوم حفظ المتون والشروح واستوعب كتب النحو واللغة أصفرها وأبيضها

فإن راطنته فى مسائل علم اللغة العام الذى يسميه المتحذلقون باسمه الفرنسى la linguistiqu general أو باسمه الانجليزى linguistics فهو أعلم الناس به وأسبقهم إلى التأليف فيه وأعرفهم بمصطلحاته ومشكلاته قد استولى عليها فتنة فى باريس حين نزلها شابا فأدرك رجال الطبقة الأولى من أصحاب علم اللغة وعلى رأسهم أنطوان مييه المتوفى ١٩٣٦ ولقد كان مييه ثانى ميشيل برييال وخلفه فى كرسى النحو المقارن .

ومن عجائب فرنسا أن العلم فيها يمشى وئيدا ويجىء فى الأول فقد ولد هذا العلم فى ألمانيا ١٨١٦ على يد فرانتس روبا م النحو المقارن ، وصد عنه علماء اللغة الفرنسيون وقاوموا تياره فلم ينشأ كرسيه فى الكوليج فرانس إلا سنة ١٨٦٥ أى بعد نصف قرن من ميلاده فى ألمانيا ولكن بريال وتلاميذه فيه ما لبثا أن لحقا بالركب ثم تجاوزاه بإنتاجهما الضخم وبرسائل الدكتوراه التى أشرف عليها فيه زهاء أربعين عاما ، وبالمحاضرات التى ألقاها اللغوى السويسرى دو سيسير فى مدرسة الدراسات العليا بالسربون طوال عشرة أعوام ، وقد كان من حق فيه أن يفخر بأن باريس مركز من مراكز علم اللغة يفد عليه العلماء من أرجاء أوربا للبحث والدراسة وتبادل المعلومات .

ولقد كان دوسيسير وبريبال من القائلين بأن اللغة ظاهرة اجتماعية ، ووقف بريبال كتابه la semamtiqu على البرهنة على صحة هذه النظرية وأما خلفه فيه فقد أقام علم اللغة كما يقول ح مونان على قاعدة من مذهب دوركايم

وفى هذه المدرسة التى أقامت علم اللغة على أسس اجتماعية تخرج الدكتور وافى فى علم اللغة فلم يكن عجبا بعد ذلك أن يضيف إلى المكتبة المصرية كتبا عمدا من أمثال اللغة والمجتمع وعلم اللغة وفقه اللغة .

سيدى الرئيس ، أيها السادة .

إن الدكتور وافى بلغ الثمانين وزاد عليها وإنما دخل مجمعكم الموقر فى هذه السن لأن لكل أمر فى حياة الإنسان موعدا لا يستقدم .

وهو مقبل على العمل المجمعى بقلب سليم وعزم ماض وذهن فتى وطاقة على العمل لا تنفد .

فبورك لكم أيها المجمعيون فى شيخ لا يبلغ الشباب شأوه

يا عز هل لك فى شيخ فتى أبدا

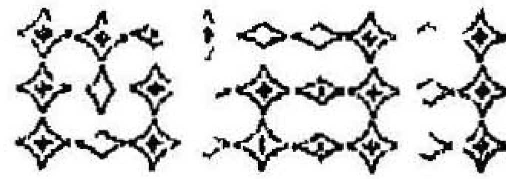
وقد يكون شباب غير فتيان

بلغ الله بك ياسيدى أكلأ العمر وأسعده ووهب لك العافية ونفع بك ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد السعيد سليمان

عضو المجمع



كلمة الدكتور على عبد الواحد وافى

السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية ، السادة الزملاء الأعزاء أعضاء المجمع ، سيداتى وسادتى ، السلام عليكم ورحمه الله وبركاته . وبعد فأشكر للسيد الرئيس وللزميل الفاضل ، والصديق العزيز ، الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان ، ما وجهاه نحوى من عاطفة نبيلة ، وتقدير كريم ، وأشكر للزملاء الأعزاء أعضاء المجمع ما اختصونى به من ثقة غالية ، أعتز بها كل الاعتزاز ، وأسأل الله عز وجل أن يقدرنى فى هذه السن ، التى أشار إليها الزميل الفاضل ، على أن أكون عند حسن ظنهم فأؤدى للمجمع ما يجعلنى كفاء ثقتهم. فإن الثمانين وبلغتـُوها — وإن كانت ، كما يقول عوف ابن مُحَلِّم الخزاعى ، قد أفقدتنى زماع الفتى ، وقاربت منى خطا لم تكن مقاربات ، قد أبقت لى مع ذلك ، ولله الحمد ، فكرى وقلمى سليمين . ولم تحوج سمعى إلى ترجمان ، ولا أنشأت بينى وبين الورى عنانة تحجب عنى رؤيته ، كما فعلت مع الخزاعى[1] ، وآمل أن يقدرنى الله بفكرى وقلمى وسمعى وبصرى ، ما بقى لى من أمد فى حياتى ، على أن أحقق للمجمع ما علقه علىّ من آمال .

ويقوى هذا الأمل عندى أن أعمال المجمع ليست غريبة علىّ . فمع أن صلتى الرسمية به

---

(١) يشير الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى ، فى كلمته هذه إلى قصة عوف بن محلم الخزاعى ، الذى دخل مرة على الأمير عبد الله بن طاهر ، فسلم عليه الأمير ، فلم يسمع سلامه لضعف سمعه ، لكبر سنه وبلوغه الثمانين سنة من عمره ، فأعلمه أحد الحاضرين بسلام الأمير عليه ، فارتجل أمام الأمير قصيدة منها الأبيات التى اقتبس منها الدكتور فى كلمته ، وهى :

إن الثمانين وبلغتها	قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
وأبدلتنى من زماع الفتى	وهمتى هم الجبان الهدان
وقاربت منى خطا لم تكن	مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بينى وبين الورى	عنانة من غير نسج العنان

« وبلغتها » جملة معترضة يدعو فيها للأمير بطول العمر حتى يبلغ مثله الثمانين — و« الزماع » السرعة والمضاء فى الأمر و« الهدان » بكسر الهاء البطىء الذى لا يمضى فى الأمر

و « العنان » بكسر العين اللجام تمسك به الدابة و« ثنت من عنان » أى كبحت انطلاقه و « العنانة » بفتح العين السحابة ، وجمعها عنان ، والبيت كناية عن ضعف بصره

(انظر القصة كاملة فى صفحتى ٥١ ، ٥٢ من الجزء الأول من كتاب الأمالى » لأبى على القالى ، الطبعة الأولى ، بمطبعة بولاق سنة ١٣٢٤ هـ) .

تبدأ هذا العام. وإن صلتي العلمية به وبأعماله ومشروعاته قديمة قدم المجمع نفسه. فقد أتيح لي الاشتراك في كثير من أعماله. ومن ذلك مثلا الاشتراك في معجم العلوم الاجتماعية الذي أصدره المجمع. فقد قمت بتكليف منه بتحرير ما يقرب من أربعين مصطلحا من مصطلحات علم الاجتماع، وبمراجعة ما يقرب من أربعمائة مصطلح، هي جميع ما حرره غيري من مصطلحات هذا العلم في هذا المعجم. ونشر لي بمجلة المجمع عدة بحوث، وكان ذلك تلبية لطلب المجمع نفسه. وحينما ظهر لي في أواخر العقد الثالث من هذا القرن كتابا «علم اللغة» وصنوه «فقه اللغة». وهما الكتابان اللذان أكرمني الله فأقمت بهما هذا العلم على أساس سليم. حينئذ قدر المجمع ما بذلته فيهما من جهد وما اشتملا عليه من جدة وأطراهما إطراء بليغا. وأرسل إلي خطاب إطرائه موقعا عليه من رئيسه حينئذ المرحوم أحمد لطفي السيد باشا — وكانت لي مع طائفة من كبار الأعضاء مساجلات علمية يدور معظمها حول أمور تتصل بأعمال المجمع. فمن ذلك مثلا أنه حينما ظهر لي في منتصف العقد الرابع من هذا القرن في سلسلة مؤلفات «الجمعية الفلسفية المصرية» التي كنت أتشرف برياستها. حينما ظهر لي في هذه السلسلة كتابي «اللغة والمجتمع» تناوله عضو من أنبه أعضاء المجمع حينئذ، وهو المرحوم عبد العزيز فهمي باشا، تناوله بالثناء والتحليل في مقال طويل نشره بمجلة الرسالة ضمنه الربط بين بعض بحوث هذا الكتاب وبين مشروع سبق أن قدمه هو إلى المجمع بشأن إصلاح الرسم العربي. ورددت عليه بمقال طويل كذلك نشر في المجلة نفسها، وبينت فيه موقفي من مشروعه المشار إليه. وحينما ظهر لي في السلسلة نفسها كتابي «الأسرة والمجتمع» تناوله مجمعي كبير آخر هو المرحوم عباس محمود العقاد. تناوله بالإطراء والتحليل، في مقالين طويلين نشرهما بمجلة الرسالة فأبرز ما ينطوي عليه من جدة. وناقش بعض ما انتهيت إليه في هذا الكتاب من نظريات. ورددت عليه بمقالين طويلين كذلك، نشرا في المجلة نفسها شاكرا ومؤكدا صحة ما ذهبت إليه

ومع أن صلتي الرسمية بالمجمع تبدأ هذا العام فقط، فإنه ليسعدني كثيرا، أن في هذه الأمثلة التي ذكرتها، وهي قليل من كثير، ما يدل على أن صلتي العلمية به وبأعماله ومشروعاته ورؤسائه وأعضائه قديمة قدم المجمع نفسه. — وهذا ما يجعلني غير غريب عن أعماله ويقوي الأمل في أن يقدرني الله على تحقيق ما علقه علي المجمع من آمال

ويزيدني سعادة أني انتخبت في هذا المجمع خلفا لأستاذ جليل، ضرب بسهم وافر في مختلف ميادين الصحافة والسياسة والأدب والتاريخ، وكان مجليا في جميع هذه الميادين ذلكم هو المرحوم محمد زكي عبد القادر وتمتاز كتابته في جميع هذه الميادين بالصحة والخصوبة والثراء والسلاسة والسمو وعفة اللسان وقوة الحجة، والوصول إلى المقصود من أقصر

الطرق وأبلغها أثراً فى النفوس . مع ترفع عن كل ما يعيب الكاتب من هوى أو تشيع أو مداهنة أو نفاق أو تقرب لذوى الجاه والسلطان.
وقد ظل راهب علم ، وطالب حقيقة ، منذ تخرجه فى كلية الحقوق سنة ١٩٢٦ وسنة اثنتان وعشرون سنة ، حتى وفاته سنة ١٩٨٢ . أى زهاء ستة وخمسين عاما . فقد تناول فى عموده اليومى الذى بدأ بنشره فى « الأهرام » سنة ١٩٣٨ وتابع نشره فى الأخبار منذ سنة ١٩٥٠ تحت عنوان « نحو النور » تناول فى هذا العمود كثيرا من المشكلات الاجتماعية والسياسية ، وحللها تحليل الفطن الأريب وقدم لها أمثل ما يمكن تقديمه من حلول وتعد هذه المجموعة وحدها ذخيرة من أنفس الذخائر فى عرض مشكلات المجتمع المصرى وغيره والبحث عما يسعى اتخاذه حيالها من علاج .

وفى مذكراته السياسية . وخاصة ما ضمنه كتبه «أقدام على الطريق» و«مذكرات وذكريات» و« محنة الدستور » ، فى هذه المذكرات حرص فى نزاهة كاملة على ان يؤرخ للمراحل السياسية التى اجتازتها مصر منذ أوائل القرن العشرين حتى قيام ثورة يوليو .
وقد ضمن كتابه « أقدام على الطريق » ترجمة ذاتية لنفسه auto biographie على غرار ما فعل ابن خلدون فى كتابه « التعريف » فصور معظم ما اجتازه من مراحل تصويرا صادقا رائعاً . ولم يفته ، وهو يترجم لنفسه ، أن يترجم كذلك ، كما فعل ابن خلدون ، لكثير من أساتذته ورؤسائه فى الصحافة والمحاماة ومن اتيح له التعرف عليهم من رجال الفكر والأدب والقانون والإصلاح الاجتماعى .

وفى رواياته الطويلة ، ومنها « حياة مزدوجة » و « أجساد من تراب » و « إرادة أم قدر » ، عرض للصراع بين الفضيلة والرذيلة والجسد والروح . والخير والشر ، والطهر والخطيئة ، ومدى ما يستطيعه الانسان كى يطوع ما يكتنفه من ظروف ليصل إلى الوضع الذى يبتغيه :

وفى مجموعة قصصه القصيرة ، ومنها « ذنوب بلا مذنبين » و « لست مسيحا أغفر الذنوب » و « أشتات من الناس » و « نماذج من النساء » يعرض لطائفة من الأفكار والانفعالات والحركات لأشخاص حقيقيين ، ويحلل هذه الأفكار والانفعالات والحركات تحليلا نفسيا دقيقا ، يسمو به إلى مستوى رفيع فى ميادين علم النفس التحليلى .

وفى كتابه « الحرية والكرامة الإنسانية » يجمع طائفة كبيرة من أقوال المفكرين من لغات شتى ومن عدة شعوب

ويعد كتابه « صور من أوروبا وأمريكا » إضافة جديدة إلى أدب الأسفار والرحلات فى المكتبة العربية

ويتضمن كتابه « قال التلميذ للأستاذ » حواراً ممتعا بين الأستاذ وتلميذه يدور حول قضايا الدين والعلم والألوهية والطبيعة والأخلاق ونواميس الكون .

وفى آخر كتاب من كتبه وهو «لغة الصحافة» يتناول بحثا لغويا طريفاً ، يتحدث عن لغة الصحافة وتطورها ، وعوامل هذا التطور ، واختلافها باختلاف نوع الصحيفة وأغراضها ، وأثرها فى تفاهم الشعب ، ويدعم رأيه بآراء كثير من الفلاسفة والكتاب والشعراء فى صورة تدل على سعة اطلاعه ، ورسوخ قدمه فى ميادين الأدب والفلسفة بمختلف فروعها . ويوجه قسطا كبيرا من عنايته فى هذا الكتاب إلى الصحافة المصرية وما كان لها من أثر ووما اتسمت به فى بعض مواقفها من شجاعة وإقدام ، وما أصابها من محن واضطهادات ، وصمودها ومقاومتها لهذه المحن وهذه الاضطهادات ، ويستطرد أحيانا بذكر قصص طريفة وقفت فيها الصحافة المصرية موقفا مشرفا ، ومن ذلك الصراع الذى دار بين الشعب بقيادة سعد زغلول وبين القصر وانتصار إرادة الشعب على ارادة القصر .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة ، وأجزل له المثوبة ، وجزاه خير الجزاء عما قدمه للغه والسياسه والصحافة والأدب والتاريخ ، وأقدرنا على أن نسد شيئا مما تركه من فراغ فى هذا المجمع .

هذا ، ولما كان من التقاليد التى سارت عليها أحيانا الأكاديمية الفرنسية ، وسار عليها مجمعنا هذا فى بعض جلساته ، أن يتحدث العضو الجديد عن موضوع لغوى ، فإننى أستأذنكم قبل أن أختم كلمتى فى أن أعرض فى كلمة موجزة كل الإيجاز لموضوع هام دار حوله فى عصرنا هذا جدل كثير ، ويتصل اتصالا وثيقاً بحياتنا اللغوية وبشئون المجمع ، وهو موضوع الازدواج اللغوى فى البلاد العربية .

وذلك أن فى كل بلد من هذه البلاد نستخدم أداتان لغويتان فى الكتابة والتعبير : إحداهما العربية الفصحى التى تدون بها المؤلفات والصحف والمجلات والشعر والنثر الفنى وتستخدم فى شئون القضاء والتشريع والإدارة ، وفى الخطابة والمحاضرات والتدريس وما الى ذلك ، والأخرى اللهجة العامية التى يجرى بها الحديث العادى فى كل بلد من البلاد العربية .

ولما كانت هاتان الأداتان تختلف كلتاهما عن الأخرى اختلافا بينا فى كثير من مظاهر الصوت والدلالة والمفردات والقواعد والأساليب ، فقد ترتب على ذلك وجود ازدواج لغوى فى كل بلد من هذه البلاد وهذا الازدواج يبدو فى نظر بعض الناس مظهرا شاذا لا يصح السكوت عليه ، وينبغى تدبير وسيلة لعلاجه .

وقد رأى كثير من هؤلاء لعلاج هذا الوضع أن نهبط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث ، فنستخدم العامية فى جميع الشئون التى تستخدم فيها الآن العربية الفصحى ، فلا يكون لدينا إذن إلا أداة واحدة فى جميع مظاهر الكتابة والتعبير — ومن المتعصبين لهذا المذهب الكونت

كارلو دى لندبرج الاسوجى فى تقريرة الذى قدمه إلى مجمع اللغويين المنعقد فى مدينة ليدن سنة ١٨٨٣ ، والمهندس ويلكوكس المسمى باسمه شارع بجوارنا ، وسبتا ىلك الألمانى أمين دار الكتب بالقاهرة سابقاً ، وقد مهد لتحقيق هذا المشروع باستنباط حروف أفرنجية تكتب بها لهجة مصر العامية وبتأليف كتاب ألمانى فى قواعد الصرف والاشتقاق التى تسير عليها هذه اللهجة .

— بل لقد جنح إلى هذا الاتجاه — وهذا مالا يعرفه كثير من الناس — جنح إلى هذا الاتجاه بعض قدامى الباحثين أنفسهم ، ومنهم العلامة ابن خلدون كما يبدو مما كتبه فى مقدمته عن اللهجات العاميه للمجتمعات البدوية فى عهده وقد حمل حملة شعواء على ما سماه « حرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب » .

وهذا اقتراح سادح هدام يؤدى إلى القضاء على أهم دعامة من دعائم . الثقافة والوحدة فى البلاد العربية .

فاللهجة العامية التى يرى هؤلاء استخدامها فى الشئون التى تستخدم فيها الآن العربية الفصحى لهجة فقيرة كل الفقر فى مفرداتها لا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضروريه للحديث العادى ، ومضطرب كل الاضطراب فى قواعدها وأساليبها ومعانى ألفاظها وتحديد وظائف الكلمات فى جملها ، وربط الألفاظ والجمل بعضها ببعض — وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقاً على التعبير عن المعانى الدقيقة ولا عن حقائق الآداب والعلوم والنتاج الفكرى المنظم وإذا لم نجد أمامنا إلا اللهجة العامية نستخدمها فى جميع شئون تفكيرنا لتقطعت بنا أسباب الثقافة ، ولنكصنا إلى الوراء عدة قرون ، ولقضى على نشاطنا الفكرى قضاء مبرما . وذلك لأن الفكر إذا لم تسعفه أداة مواتية فى التعبير ، خمدت جذوته وضعف شأنه ، وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه على توافه البحوث وسفساف التأملات . فاللغة هى القالب الذى يصب فيه التفكير ، وكلما ضاق هذا القالب ، واضطربت أوضاعه ضاق نطاق الفكر ، وضَحَل نبعه ، وهزل عطاؤه .

وبجانب هذه الأضرار الثقافية والفكريه ينطوى هذا الاتجاه على ضرر قومى وسياسى بليغ . فاللغة الفصحى هى أهم دعامة تعتمد عليها القومية العربية ، ويشترك فيها أبناء العروبة — ففى القضاء عليها قضاء على أهم عامل يوحد بين شعوب أمتنا ويربط أجزاءها بعضها ببعض .

ويضاف إلى هذا كله أن اللهجة العامية تختلف باختلاف الشعوب العربية ، بل تختلف فى الشعب الواحد باختلاف مناطقه فالقضاء على الازدواج اللغوى ، على أساس الاقتراح الذى ناقشه ، لا يتحقق إذن إلا بأن تصطنع كل أمة عربية ، بل كل منطقة من هذه الأمة ، لغة كتابة تتفق مع لغة حديثها . وبذلك يصبح

فى البلاد العربيه آلاف من لغات الكتابة بمقدار ما فيها من بلاد ومناطق ومدن وقرى. وهذا هو اقصى ما يمكن أن تصل اليه الفوضى ويصل اليه التفكك فى أمتنا العربية .

هذا إلى أن اختلاف لغة الكتابة عن لغه التخاطب لا ينطوى على شىء من الشذوذ حتى نتلمس علاجا له ، بل هو السنه الطبيعية فى اللغات فاللغه اللاتينية مثلا كانت إلى عهد قريب لغة الكتابة فى إيطاليا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال ورومانيا ، بينما كان سكان كل بلد من هذه البلاد تجرى حديثهم بلهجة عامية مشتقه من اللاتينيه ، ولكنها تختلف عنها اختلافا كبيرا فى أصواتها ومفرداتها ودلالاتها وقواعدها ، كما هو الشأن الآن تماما بين لهجاتنا العامية والعربيه الفصحى . - وحتى بعد أن تم لكل بلد من هذه البلاد لغة كتابة مستقلة عن اللاتينية ، فإن لهجة التخاطب فيها قد أخذت تتطور وتختلف عن لغة الكتابة اختلافا غير يسير ، كما هو مشاهد الآن مثلا بين اللغة الفرنسية الفصحى ولهجات التخاطب المستخدمه فى مختلف المناطق الفرنسيه

فاختلاف لغة الكتابة عن لغة التخاطب ليس إذن أمرا شاذا حتى نتلمس علاجا له ، بل هو السنة الطبيعية فى اللغات ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، وأسأله لى ولكم التوفيق والسداد ، والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته ، وشكرا

كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى سادتى

لعلكم لاحظتم أن مهمة مجمعنا كبيره ، ومعذرة إن كنتم قد اشتركتم معنا فى جلسة مجمعيه بكل ما يدل عليه تعبير الجلسة المجمعية .

وأنا سعيد بزملائنا الجدد ، فقد بدوا مجمعيين فى أول يوم نلتقى معهم فيه ، وخاصة الزميل الكريم الدكتور طه الحاجرى .

شكرا لكم جميعا على حضوركم وعلى حسن استماعكم ومشاركتكم لنا فى هذا الحفل

والسلام عليكم ورحمة الله

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ٤ من صفر سنة ١٤٠٤ هـ ، الموافق ٩ من نوفمبر سنة ١٩٨٣ م ، أقام المجمع حفلا لتأبين فقيده المرحوم الدكتور محمد خلف الله أحمد عضو المجمع ، وها هى ذى الكلمات التى ألقيت فى هذا الحفل

كلمة الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى — سادتى

إخوانى . . وزملائى . لإن صدق الشعر فى مقامى هذا ، ما أصدق قول القائل :

والموت نقاد على كفه

جواهر يختار منها الجياد

حقا . لقد كان « خلف الله » جوهرة نادرة فى صفائها وصدقها كريمة فى قيمتها وقد لمس منه هذا كل من اتصل به وعاشروه ، وقد كان لى صديق العمر . ويالها من صداقة ، كانت حلوة عذبة ، وأخوة صادقة صافية على طول المدى ، لم يشبها شائب ، ولم يعكر صفوها معكر

لقد عرفته منذ سن مبكرة . جمع بيننا معهد واحد ، وتناقشنا تناقش الشباب دون أن يعدو ذلك فى شىء على صداقتنا ومودتنا

وفى عام ١٩٢٩ تقرر إرسالنا معا فى بعثة إلى إنجلترا ، وسعدت بهذه الزمالة ، ولكن السياسة شاءت أن يكون لها دور . فألغت بعثتى ونقلتنى من « لندن » إلى « كوم امبو » ، أما الزميل الكريم فقد سار فى طريقه . ثم قدر لى أن أسافر بعد ذلك فى بعثة خاصة ولكن إلى « باريس » ولم يباعد هذا إطلاقا بينى وبين « خلف الله » فقد كنا على اتصال دائم ، كتابنا لاتنقطع ، وزياراتنا متلاحقة ، وأذكر أنى زرته مرة فى « لندن » فكان خير معين ، وخير رفيق وهدانى إلى أسرة إنجليزية كريمة . قضيت معها زمنا أفدت منه ما أفدت وهو بدوره زارنى فى باريس . وسعدنا بأن اشتركنا معاً فى مشاهدة معالمها وآثارها

وفى عام ١٩٣٥ عدت إلى الوطن بعد أن أنجزت مهمتى ، ودعيت للتدريس فى كلية الآداب جامعة القاهرة ، فى عصرها الذهبى . وبقيت أنتظر الزميل والرفيق إلى أن عاد فتلقفته كلية الآداب بمن فيها ، وانضم إلى قسم اللغة العربية ليعمل إلى جانب طه حسين وأحمد أمين ، وإبراهيم مصطفى وعبد الوهاب عزام ، وأمين الخولى ، وقضى معنا فى القاهرة خمس سنوات كانت من أسعد أيامى الجامعية .

وفى عام ١٩٤٢ أنشئت جامعة الإسكندرية وكان لابد أن يفكر فى « خلف الله » ليسهم فى

بنيانها وتأسيسها ، ودعى إلى كلية الآداب وعمرها مدرسا وأستاذا وعميدا ووهب لها قسطا كبيرا من حياته ، ولاشك أن كلية الآداب بجامعة الإسكندرية مدينة بكل الدين للمرحوم محمد خلف الله أحمد

وكنا نسعد بزياراته التى كان يقوم بها فى القاهرة ، كما كنا نسعى إليه أيضاً فى الإسكندريه واشتركنا فى أعمال كثيرة ، أود أن أشير إلى واحد منها كان «لخلف الله» فيه شأن يذكر وهو ما يسمى الشعبة القومية «لليونسكو»، بدأت هذه الشعبة بدءا قويا سليما فيما يتعلق بالعلاقات الثقافية بين مصر والعالم بأسره ، وكان من أهدافها أن تحاول فى هذا القسم المتصل بالعلاقات الثقافية أن تقدم صورة عن الفكر الإسلامى إلى العالم بأسره بالعربية أو باللغات الأجنبية ، وكان خلف الله دعامة هذا القسم، أسهم فى إخراج مجلدين « لشعبة القوميه » وهما باقيان حتى اليوم مرجعا ، وآسف أنه لم يعد طبعهما.

وما أجدر أن يفكر فى إعادة طبعها ومنها مجلد يدور حول أثر العرب فى النهضة الأوربية وأسهم فى هذا كثيرون كنت من بينهم ، كما أسهم المرحوم الزميل الدكتور محمد كامل حسين رحمه الله والزميل الدكتور عبد الحليم منتصر إلى جانب آخرين .

وفى عام ١٩٥٩ اختير خلف الله عضوا فى مجمع اللغة العربية ، وانضم إلى زمرة الخالدين فأحبوه وأحبهم ، وحظى بينهم بتقدير ومحبة قل أن يحظى بها كثيرون. .

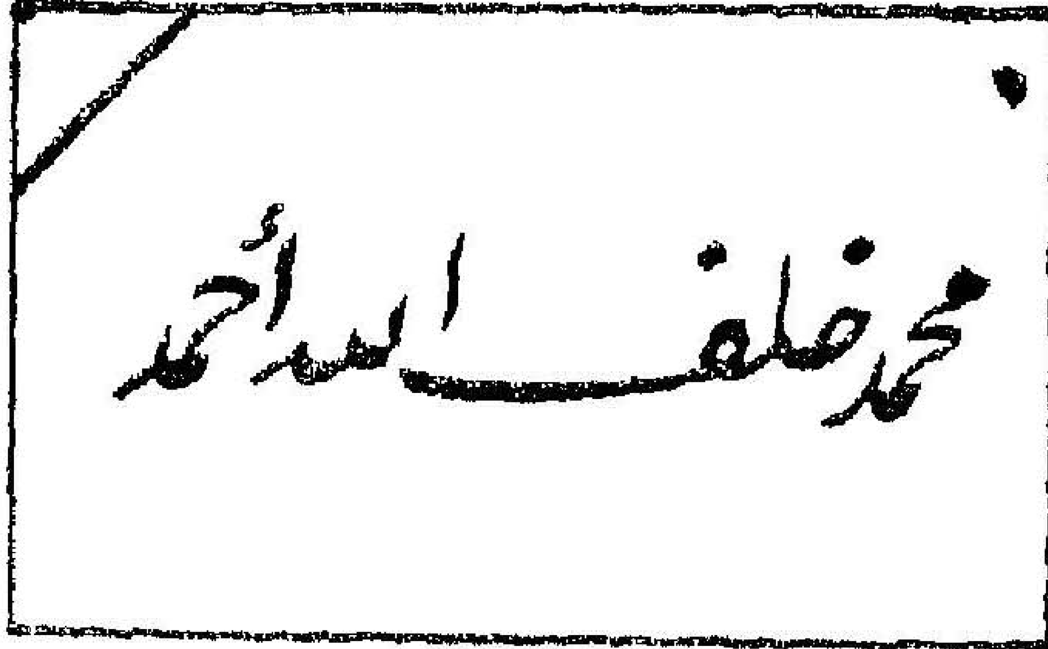
ولا أستطيع أن أعرض لإسهامه فى هذا المجمع ، فسيتولى ذلك زميلى الأستاذ عبدالسلام هارون، ولكنى أحب فقط أن أنوه بأعمال ثلاثة كان خلف الله من دعائمها ،وهى معجمات لها شأنها فى حياتنا الثقافية واللغوية والعلمية ، وأول هذه المعجمات هى الطبعة الثانية للمعجم الوسيط ، فقد أسهم فيها ، وأضاف إليها ما أضاف قبل أن يذكر اسمه بين المشتركين فى إخراجها ، أما المعجمان الآخران ، فقد كان خلف الله فيهما الجندى المجهول أولهما معجم فى العلوم الاجتماعية، وكنت زميله فيه وأشهد أنه أعطاه كل ما استطاع من وقت وجهد ، ورغبت فى أن يذكر اسمه بين من أسهم فى هذا فأبى إلا أن يوقف ذلك على غير المجمعيين ، أما العمل المجمعى فيبقى للمجمع لا لأعضائه ولا لواحد منهم وكذلك كان شأنه بالنسبة للمعجم الثالث وهو المعجم الكبير وهنا أقرر أن خلف الله عاش مع هذا المعجم عشرين عاما أو يزيد وأسهم معنا فى إخراج الجزء الأول منه والجزء الثانى إلى حد أنه فى مرضه الأخير كنا نكتب إليه وما كان يتردد فى أن يوافينا بملاحظاته وما يقترحه .

هذه هى آثار خلف الله ، آثار العالم الجليل المعطاء السخى ، القدير على العطاء فى حياء وسماحة ، تغمده الله برحمته وجزاه عن مجمعه وأمته ولغته خير الجزاء .

كلمة الأستاذ عبد السلام هارون

الأمين العام للمجمع

فى تأبين الأستاذ الدكتور



سيادة الرئيس الجليل

أيها السادة الزملاء الأجلاء

أيها السادة المواسون والمواسيات

إنه لموقف شديد على النفس ، أن ينهض المرء فى تأبين عزيز عليه أغلى ما تكون العزة ، حبيب إليه أقوى ماتكون المودة . وإن الراحل الكريم غفر الله له كان فى مكان الحب منا جميعا ، وفى أرفع منزل من منازل التقدير والاجلال . كان النور وكان الإسعاد ، وكان البسمة الوقور ، وكنا نرى فيه الأخ الحانى والصديق المثال :

كنا كأنجم ليل بينها قمر
يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

ولقد هممت أن أتمثل بقول من استولى عليهم جزع عارم ، فأقول مع القائل :

والصبر يحمد فى المواطن كلها
إلا عليك فإنه مذموم

وأردد قوله :

إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا
أجاب البكا طوعاً ولم يجب الصبر

ولكن قولا هاديا أصدق من هذين وأجل وأعظم ، صان نفسى عن عبارات الجزع ، وفيه الشفاء لمن أصيب بفادح من الخطب يكاد أن يستبد به الأسى . « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

أرى كل حى هالكا وابن هالك
وذا نسب فى الهالكين عريق

وكان من حق الفقيد أن يجلو المجمع حياته الحافلة منذ نشأته إلى أن لقى رضوان ربه منذ عهد قريب . ولن يستطيع هذا المقام إلا أن يوجز ذلك إيجازا ، أو أن يجمع أطرافه أضيق ما يكون الجمع .

فى منتصف عام ١٩٠٤ وفى قرية العمرة ، من أعماق مديرية سوهاج ، وهى المديرية

التى أنبتت رفاعة طهطاوى . وعلى يوسف ، والمراغى ، ولد الأستاذ محمد خلف الله أحمد . فى بيئة صالحة نعيه ، نعنى بالدراسات العربية والإسلامية وتسنى له أن حفظ القرآن الكريم والما بخط نحو الشباب ، كما نال توجيها من أسرته أن يحفظ المعلقات العشر ومقصورة ابن دريد ، ولامية العرب ، ولاميه العجم . وطائفة أخرى صالحه من الشعر العربى قديمه والحديث ، ومجموعة من المتون كالألفية فى النحو . والسلم فى المنطق . وأن يحضر حلقات الدروس التى كانت تحتل مكانها فى مساجد القريه فى شهور الصيف . وكان لخاله المرحوم الأستاد محمد عبد الرحيم عجاج ، أحد نابهى الأدباء من خريجى دار العلوم ، فضل واضح فى مروره على مواقف الخطابه والشعر . كما كان يشده بأدبه وعامه إلى حضور مجالسه الأدبية التى كان يعقدها حينئذ فى منزله بسوهاج أو جرجا ، ويشهدها لفيف من خاصه المثقفين فى المدينه . فنشأ خطيبا فصاص الحديث عدبه قادرا عليه

إذا بارع القوم الأحاديث لم يكن
عييا ولا ربا على من يقاعـــد

بدأ حياته التعليمية بسوهاج فى مدارسها الابتدائية والأولية الراقيه وكان طموحه تمايل له بين دراسة الآداب ودراسه الحقوق دهرا ، حتى ظفر به المرحوم الأستاذ أحمد العوامرى فى جولته التفتيشية بين مدارس سوهاج . فرأى ما أدهشه من مستوى الفتى فى ثقافته اللغوية والدينية ، وما امتاز به من جوده الإلقاء ، فاستدعاه إلى مكتب ناظر المدرسة ، وأشار عليه أن يفكر فى الالتحاق بدار العلوم ، ولكن سنه فى ذلك الوقت لم تكن تسمح له بذلك : فرأى أن يدرس بالقسم النظامى بالأزهر ليتم استعداده لدخول الدار

وكان من صنع القدر أن يفتتح القسم التجهيزى الثانوى بدار العلوم فى سنة ١٩٢٠ . وأن يكون فى زمرة المقبولين به بعد اجتيازه لامتحان مسابقة عسير .

ويحصل فى سنة ١٩٢٤ على شهادة الدراسه الثانوية . ليدخل فى القسم العالى بدار العلوم . ليحقق أمنية أستاذه العوامرى وليكون فى جميع سنوات دراسته أول فرقته . وتم تخرجه فى الدار سنة ١٩٢٨ .

وهذه السنوات الثمانى التى قضاها فى التجهيزيه والعاليه ، كانت مرحلة النضوج الأولى لحياته العلمية والثقافية ، وبروز مكانته بين صفوف الشباب ، فكان يمثل معهده فى الاحتفالات التعليميه والطامه التى كانت تعمل دائبة لخدمه القضيه الوطنية المشتعله إذ ذاك . وكان له نشاط كبير فى الخطابة والشعر ، فكان يعرف باسم « شاعر الطلبه »

وكان كبار الشعراء : شوقى . وإسماعيل صبرى ، ومطران ، وحافظ إبراهيم ، ومحمد عبد المطلب ، إلى زعماء السياسة المصريين يفرحون بما يسمعون من إنشاده وخطابته فى المحافل

السياسية والأدبية، ويعجبون بمقدرته وثقافته الواسعه . وكان أستاداه الشيخ السكندري والشيخ عبد المطلب ، يختصانه بمزيد من العناية والتشجيع ، ويمدانه بالتوجيه إلى الدراسات الأصيلة وذخائر الأدب العربي القديم .

وشيء آخر يسجل لفقيدنا الكريم في هده الحقبة ، ويدكره تاريخ الدار ، وهو سعيه مع زملاء له كرام في تطوير زي الطلبه والخريجين ، كان ذلك في منتصف سنه ١٩٢٤. وكان دائب السعي بالقول وبالفعل . وبالخطابة والاتصال بالمسئولين لاستبدال الزي العصري بالزي القديم

وأذكر أن طائفة كبيرة من الطلبه اعتصموا بالدار أكثر من يومين ، وقطع عنهم الزاد والطعام حيث غلقت الأبواب . فكانوا يحتالون بعقد أطراف ملابسهم القديمة بعضها إلى بعض ، ثم يرسلونها من النوافد معقودة حامل مصورات الدروس ليصل إليهم الإمداد والزاد من خارج الدار ، وانتصر الطلبة على أولى الأمر إذ ذاك ، ونفذوا فكرة التطوير بفضل الإصرار ، وحزم قيادة الطلبه . وما كان لها من عزيمة صامده .

وهنا نذكر ما كان للفقيد من موهبه جمال الصوت وحسن تأثيره وحدثني من عام أنه كان يختلف في أثناء الطلب إلى دروس الشيخ خطاب السبكي في حي المغربلين بالقاهرة فكان الشيخ يؤثره لقراءة نصوص الأحاديث التي يتتوي تفسيرها وبناء دروسه عليها

كما أنه كان موضع إعجاب من أمير الشعراء شوقي . الذي وكل إليه إنشاد قصيدته التي صنعها تحية للعيد الخمسيني لدار العلوم ،وقد كان الفقيد محورا كبيرا من محاور هذا الاحتفال الذي حضره الزعيم سعد زغلول بدعوة من طلبة الدار .وألقى الفقيد بعض أبيات كان من بعض أشطارها : « يا سعد يبقيك الإله. تعالى » فكانت تورية لطيفة رقيقة استجاب سعد لمضمونها ويدخل الفقيد في مجال العمل والتعليم نحو عام في مدارس الوزارة يختار في أثنائه عضوا في بعثة دار العلوم إلى جامعة لندن سنه ١٩٢٩ للتخصص في الفلسفة وعلومها . وبدأ حياته في البعثة بإتقان اللغة الإنجليزية ، ولم يفته أن ينال حظا وافرا من اللغتين الفرنسية والألمانية ، ولم ينس بلده ، ووطنه ، فأخذ يرسل إلى صحفنا ومجلاتنا المصرية بعض مقالاته ومقترحاته . مواصلا جهوده في خدمة قضية بلاده . في لندن كانت تعقد المؤتمرات المصريه ، والإنجليزية في كل عام، فيكون للأستاذ خلف الله مجال موفق في كل أولئك ، إذ تم اختياره بلندن ، لمدة عامين ، سكرتيرا للنادي المصري الذي كان موئلا للجالية المصرية ،فينظم بالاشتراك مع زملائه مؤتمرات سنوية للطلاب المصريين في إنجلترا ، لمناقشة أوجه الإصلاح في حياة المجتمع المصري .

ويقوم النادي بنشاط ثقافي يجمع بين التراث العربي والثقافة العربية ، فنجد من بعض بحوثه دراسات عن الغزالي وديكارت ،

يكون له فيها مجال مرموق . ويمتد نشاطه إلى بعض الجمعيات الدولية فى لندن ، وإلى هيئات الروتارى ، فتدعوه السفارة المصريه لالقاء محاضرات تتناول نهضة مصر الحديثة ، محاولة منها لإظهار الأوربيين على مدى ما وصلت إليه بلادنا ، وطمسا للصور المشوهه لمصر التى كانت متداوله فيما وراء البحار وتسعى إليه مدرسة اللغات الشرقيه بلندن فتندبه محاضرا بعض الوقت لطلابها .

ويحين العيد الألفى للشـــاعر العربى «المتنبى» فيحتفل العرب به فى لندن سنه ١٣٥٤ وهى سنة ١٩٣٦ الميلاديه ، ويكون لفقيدنا مع زملائه المصريين ، وفى طليعتهم صديقه وقرينه الأستاذ الدكتور مهدى علام نصيب وافر فى البحوث الجادة التى كان من بينها بحثان للمستشرقين المعروفين : الأستاذ جيب ، والأستاذ مرجوليوث ، وتنشر له مجله الشعر البريطانية بتلك المناسبه الأدبيه مقالا عن «فلسفة المتنبى من شعره» .

وهو فى أثناء هذا النشاط الثقافى المتشعب يواصل دراسته فى البعثة ، فيحصل على بكالوريوس الشرف فى الفلسفة من جامعة لندن سنه ١٩٣٤ ثم يدرس علم النفس فيحرز فيه درجة الشرف المعادلة سنة ١٩٣٦ ثم ينتهى من إعداد رسالة الماجستير ، وكان موضوعها «الأحكام الخلقيه عند أطفال المدارس وعلاقتها بالعمر العقلى» ، فتقبلها جامعة لندن وتأذن بنشرها ، وتمنحه بها درجة الماجستير فى الآداب سنة ١٩٣٧ .

ثم شرع وهو فى لندن يعد كتابا فريدا بالعربية ، عن نمو الطفل من مهده إلى رشده وانتزع مادته من أحدث البحوث النفسيه فى السنين الخمسين الأخيره إذ ذاك ، لعلماء من مختلف بلاد العالم ، أدمج فيه نتائج رسالته للماجستير ، وعنى فيه عناية دقيقة بتتبع مراحل النمو اللغوى وتطوره عند الطفل ، وألحق به فهرسا يحتوى على مائة وخمسين مصطلحا أوربيا حديثا ، وما يقابله بالعربية ، وهو جهد شاق مبكر مبتكر . ويعد كتابه هذا أول كتاب عربى حديث فى علم نفس الطفل وهو كتاب «الطفل من المهد إلى الرشد» . وقد نشر الكتاب بعد سنه من عودته .

يعود الأستاذ خلف الله إلى مصر فى سنة ١٩٣٧ ، فيتولى التدريس فى دار العلوم مدة قصيرة ، ثم ينقل فى العام نفسه إلى التدريس بكلية الآداب جامعة القاهرة ويلقى توجيها من الدكتور طه حسين عميد تلك الكلية إذ ذاك ، أن يعود إلى دراساته الأدبية واللغوية ، وأن يستخدم لأول مرة حصيلة دراسته فى الفلسفه وفى علم النفس ، فى مجال الدراسات فى قسم اللغة العربية .

واستحدث له القسم درسا خاصا لطلبة الماجستير عنوانه (صلة علم النفس بالأدب) فكانت دراسه ناجحة موفقة ، وكان ابن بجدتها كما يقولون

وكعادته فى الإسهام فى النشاط الاجتماعى نراه رئيسا لأسرة الشعر بالكلية ، ومشرفا على تنظيم المهرجانات السنوية

الذى ينتدب فيه لبعض المحاضرات فى معاهد التربية وكليات الأزهر .

وبعد خمس سنوات من عودته تنشأ جامعة فاروق (الإسكندريه) فى سنة ١٩٤٢ فنجده من بين المختارين للتدريس بقسم اللغة العربية من كلية الآداب ، ويظل يرقى فى مناصبه العلمية إلى رياسة هذا القسم فى سنة ١٩٤٨ ثم ينتخب عميدا لكلية الآداب فى سنة ١٩٥١ وتجدّد تلك العمادة المرة إثر المرة ،ويختار فى أثناء ذلك فى جامعة الاسكندرية فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سنة ١٩٥٨ ويجدد اختياره كذلك فى سنة ١٩٦٠ وفى الإسكندريه يجد للفقيد نصيبا وافرا فى توجيه الثقافة بثغر الإسكندرية وجامعتها . وأنديه الشباب فيها بالمحاضرات والندوات والإذاعات وبإنشاء هيئة إقليمية بها تسعى لتحقيق الأغراض التى تعمل لها الهيئات والمجالس العليا فى القاهره . ونلفيه وكيلا لمجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين بالإسكندرية ، وعضوا فى مجلس إدارة معهد الخدمة الاجتماعية بها ، ومقررا للهيئة الاقليمية للفنون والآداب بالإسكندريه . ومما هو جدير بالذكر أنه كان يتخذ من بعض دروسه لطلابه مجالا لتتبع قـــرارات المجمع اللغوى ودراسة مصطلحاته التى يقرها فى كل عام

وينتخب فى أثناء عمله بالإسكندريه عضوا بمجمع اللغة العربيه فى سنة ١٩٥٩ فيقول فى كلمة استقباله (وزادنى اغتباطا بالعضوية أن سماحها ورضاها جاء بعد تدلل وتمنع محببين » ويقول « أتمنى على الله أن يعجل بتحقيق أمنية جاشت بها نفسى منذ سنين ودعوت لها مع الداعين ، واقترحت فى بعض ما كتبت أن يأخذ العمل لها صورة جهاد قومى ، تلك هى أن يتم التوحيد اللغوى فى حياة مجتمعنا العربى ،وتصبح اللغة الفصحى لغة الحياة بألوانها فى هذا المجتمع ولا تزحمها فيه عامية أو أجنبية » .

هكذا كان منهجه فى إعزاز الفصحى وحرصه على كرمها وبقائها .

وفى سنة١٩٦١ تطلبه القاهرة بعد هذه المرحلةالطويلة ،ليعين وكيلا لجامعة عين شمس فيظل فى هذا المنصب إلى أن يصل إلى سن التقاعد ، كما يقولون ، فى سنة ١٩٦٤

وأنى لمثله أن يقعد حينئذ ، وهو الرجل المرجوّ للعمل فى حقول الثقافة المختلفة ،فنجده مختارا ليدير معهد الدراسات العربية العالية وقتا ليس بالقصير ، استطاع فيه أن ينتزع الاعتراف العلمى لشهاداته من الجامعات

وهو فى أثناء ذلك عضو بالمؤتمر الإقليمى وبالمؤتمر العام للاتحاد القومى للجمهورية العربيه المتحده ، وعضو باللجنة التحضيرية والمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، ومقرر للجنة الوحدة به ، وعضو بالشعبة القومية لليونسكو ، ومقرر للجنة الشرق والغرب بها وعضو بالمجلس الأعلى لمعاهد المعلمين بوزارة

التعليم العالى، وعضو بمجمع البحوث الإسلامية

فماذا عدا مما بدا؟ إذا عرجنا على نشاطه المجمعى نراه قد أسهم طيلة ربع قرن إسهاما فعالا، نجد ملامحه فى أعمال المجلس ومؤتمراته ولجانه، فهو عضو فى لجنة المعجم الكبير ولجنة ألفاظ الحضارة، ولجنة العلوم الفلسفية والاجتماعية، ولجنة معجم العلوم الاجتماعية ولجنة الأدب، ولجنة الأصول التى له فيها بحوث ممتازة.

ومن بحوثه التى ألقيت فى المجمع:

١ – الثقافات القديمة وحركة الترجمة العربية فى القرن الماضى

٢ – ابن قتيبة والتوجيه اللغوى للكتاب.

وإذا عرضنا لنشاطه العام نلمس له نشاطا كبيرا فى توجيه الطلاب والإشراف على الرسائل العلمية الجامعية ومناقشتها، وإسهاما فى تمثيل بلاده وجامعتى القاهرة والإسكندرية فى المؤتمرات الدولية والقومية: مؤتمرات المستشرقين فى باريس، وإستانبول وكمبردج، ومؤتمرات الثقافة الإسلامية فى أمريكا والباكستان، ومؤتمرات اليونسكو ومؤتمر المعلمين العرب فى الإسكندرية، والمؤتمرات العربية فى لبنان والإسكندرية فكم يحصى العادّ له من بحوث منشورة بالعربية والإنجليزية، وعسى أن تتكامل أسرته الكريمة وأصدقاؤه ومحبوه بجمع ما نشر منها وما لم ينشر لتظاهر فى أثر خالد، لخلود اسمه الرفيع

ومهما يكن فالمكتبة العربية تعتز بما أتحفها به من مؤلفات ومراجع ذات قدر عظيم، من بينها:

١ – الطفل من المهد إلى الرشد. ويعد أول كتاب له.

٢ – من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده وهو نتيجة بحوثه بجامعة فاروق (الإسكندرية) من سنة ١٩٤٢ – ١٩٤٧ وتمتد جذورها إلى سنة ١٩٣٨ حينما أنشأت آداب القاهرة فى دراستها العليا موضوع صلة علم النفس بالآداب، وعهدت إلى الأستاذين أحمد أمين ومحمد خلف الله القيام بها، فتقاسماها بعد أن وضعا حدود وسائلها وأهدافها.

٣ – دراسات فى الأدب الإسلامى وهو تطبيق للخطة التى حاولت إيضاحها فى الكتاب السابق وهو يهدى الكتاب إلى ولده أحمد كمال ويقول له. أى بنى، نشأ أبوك نشأة دينية، حبب إليه فيها درس القرآن وتدبره، والاقتداء بهدى الرسول الكريم وسنته، وقد دأب فى كبره على أن يتخذ من ذكريات الهجرة النبوية كل عام موسما لإطالة الفكر والتأمل فى ناحية من النواحى الثقافية والإسلامية، فى أبطالها وأدبائها ومؤلفيها وها هو ذا يهدى إليك بعض ثمار هذه الدراسات، لعلك واجد فيها

فى مرحلة شبابك عداء لروحك ، وبعثا لعزيمتك ، وحثا لقريحتك على الدرس والتفكير .

ومن النماذج التطبيقية فى هذا الكتاب ماذكره من أن حسان بن ثابت كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ، ولا يخضب سائر لحيته ، فيسأله ابنه عبد الرحمن لم تفعل هذا يا أبى ؟ ! فيقول فى الرد عليه . لأكون كأنى والغ فى دم . يقول الأستاذ خلف الله : ولعل لهذه الرواية إذا صحت صلة بسيكلوجية حسان . فالمروى أنه لم يشهد مع رسول الله (ﷺ) مشهداًواحداً . لأن حسان كان ، كما يقول الرواة : متهيبا ضعيف القلب .

٤ — كتاب كيف يعمل العقل ، مترجم عن الإنجليزية ، وهو القسم الخاص بعمل العقل فى حياة الجماعة . فى الدين ، والسياسة ، والفن .

٥ — الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة : ترجمة وتعليق على البحوث التى ألقيت فى مؤتمر الثقافة الإسلامية الأول فى برنستون بأمريكا .

٦ — التطور الأدبى واللغوى فى العالم الحديث .

٧ — الإسلام والحضارة . أحاديث إذاعية تولت نشرها وزارة الثقافة والإرشاد .

٨ — حفنى ناصف كاتبا وباحثا ، وهى مجموع محاضراته فى معهد الدراسات العربية العالية فى سنة ١٩٦١ . ويُعد هذا الكتاب من المراجع الفريدة فى الدراسات التى تناولت حفنى ناصف

هذا إلى ما قام به من مشاركة فى تحقيق كتب التراث العربى ، منها ثلاثة رسائل فى إعجاز القرآن ، للرمانى والخطابى والجرجانى . بالمشاركة مع تلميذه الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام .

أما المقالات والبحوث التى نشرت بالقاهرة والإسكندرية وبيروت وباكستان وطشقند وإستنبول وشيكاغو فإن المجال يضيق عن سردها ، وكما ذكرت من قبل هى بحق جديرة بأن تجمع فى صعيد واحد ، لا للوفاء بحقه فحسب ، بل لقيمتها العلمية والأدبية والفكرية ، فهى حصيلة فكر ثاقب هادئ ، وأسلوب تحفه فصاحة القول وعذوبة البيان .

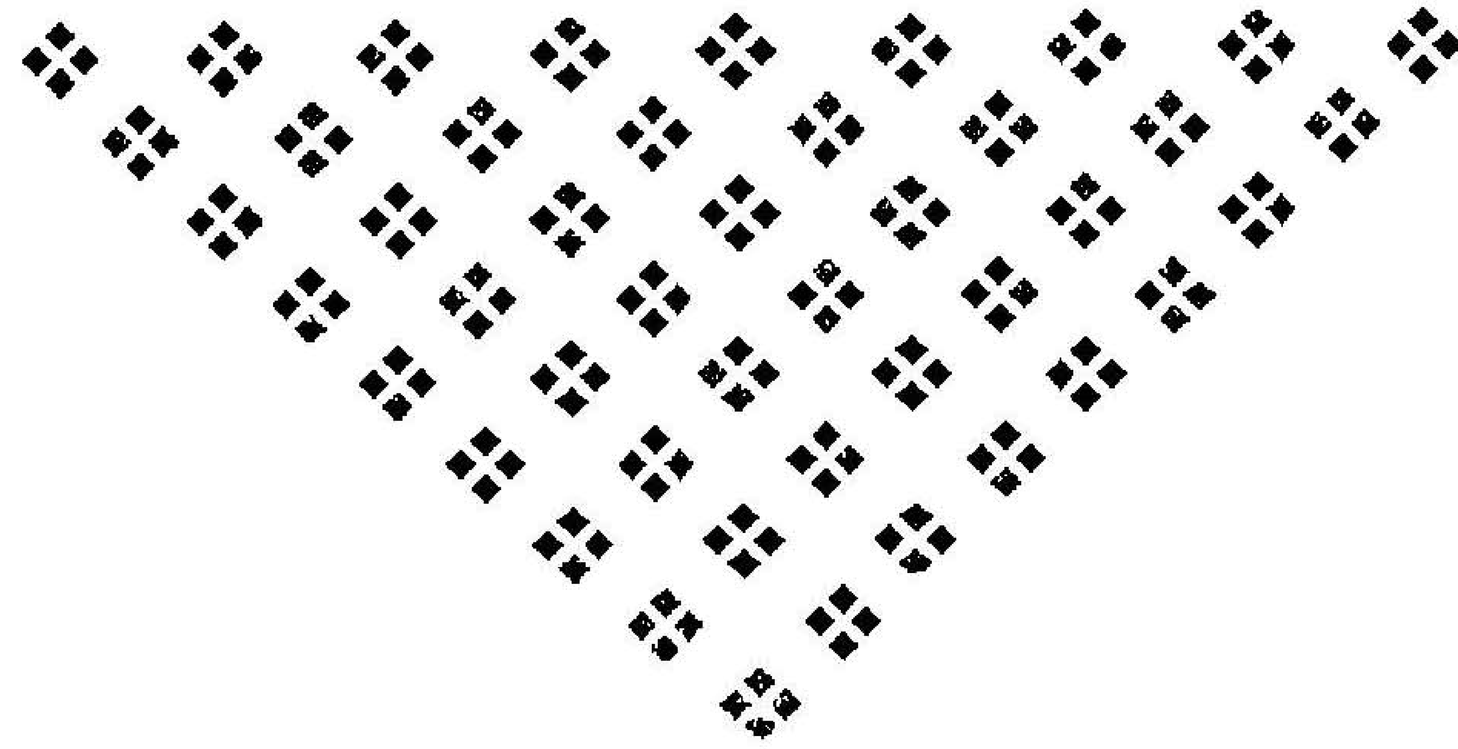
وأما بعد فيأيها الأخ الخالد فى دنيا الفكر وفى نفوس إخوانك وأحبابك ومريديك عرفتك منذ أكثر من خمسين عاما نموذجا للعالم الجليل والإنسان الفاضل والصديق الصادق ، جمعت إلى عفة النفس وعفة اللسان ،

ما شهدتك تسيء إلى إنسان بقول أو فعل بله الإشارة والنظرة ، وعشت ما عشت محببا إلى قلوب إخوانك ، معظما فى صدورهم ، إلى أن لقيت ربك راضيا مرضيا ، صابرا مطمئنا ، عاطر السيرة محمود الأثر

إلى باسم المجمع الموقر وباسمى ، أقدم صادق العزاء إلى أسرتك الكريمة وأنجالك الأعزاء وإلى جميع من يعرف للعلماء أقدارهم وجميع من يرون لصاحب الخلق الرفيع وزنا لايعلوه ميزان ، ومكانا ما فوقه من مكان .

يرحمك الله من أخى ثقة
لم يك فى صفو وده كدر
فهكذا يذهب الزمان ويفنى الـ
علم فيه ويدرس الأثر

عبد السلام محمد هارون



مرثية الدكتور ابراهيم الدمرداش في رثاء المرحوم الأستاذ الأستاذ الدكتور محمد خلف الله أحمد (*)

ما بين « قبعة » وبين « عمامة » ... عقد الفقيد برأسه إكليلا
إن شئت قلت ثقافة وثقافة ... أو قلت جيل السابقين وجيلا
قد ضم شرقا ثم غربا عقله ... جاءت مداركه عليه دليلا
زاد التغرب عقله نضجا وما ... مس التغرب قلبه تبديلا
نقشت على القلب السليم عقيدة ... قد فصلت آياتها تفصيلا
دانت إلى العقل السليم معارف ... أضفت على العقل الصقيل صقيلا
فالتمر يضج حين يبدل لونه ... فاقت حلاوته وران نخيلا
والله ختم على لسان محمد ... قرآنه التوراة والإنجيلا
وليت وجهك شطر « لندن » يافعا ... فوردت « تاميرا » لهم والنيلا
كالمسلمين لهم « مقدس » قبلة ... قد ذكرت بالمرسلين قبيلا
حتى أتى فتح فعادت مكة الـ ... بيت الحرام وقبلة وسبيلا
« قرياقص »(١) في قلب « لندن » شاهد ... صدق الولاء لمصر والتمحيلا
« كارى »(٢) كذلك شاهد جهاده ... في جمع شمل المسلمين قبيلا
وزعمت خيرك للعقول « ببيكر »(٣) ... أسديت للنادى ومصر جميلا
كنت الوكيل لعين شمس فترة ... قد سجلت تقديرها تسجيلا
في مجمع الفصحى شهدتك ناقدا ... ومحللا ومفصلا تفصيلا
قالو « حفيد » قلت أيضا « حافد » ... حتى تعلل جمعها تعليلا

(*) ألقيت في حفل تأبين الفقيد بدار المجمع يوم الأربعاء (٤ من صفر عام ١٤٠٤هـ - الموافق ٩ من نوفمبر ١٩٨٣م)
(١) مندوب الأهرام بلندن الأسبق .
(٢) نائب رئيس جامعة السند الأسبق
(٣) شارع « بيكر » بلندن .

« النحو » أعطاك البيان وسحره	« والهمس » أعطى علمها التحليلا
حاد الزمان له بخل مخلص	وخلاه كان المقيد خليلا
قد كان يروى للصديق[4] تواضعا	وصديقه يروى له تفصيلا
لولا الهجاء لقلت هذا « آمينا »	« وتميرنا » لصديقه تاصيلا
واليوم ينعاه الصديق بلوعة	ترديه من فرط الشجون قتيلا
وبدمعه وبحرقة قد حولت	جمل الجليد بحرها تحويلا
يا من تفضل فى الحديث وفى الخطاب	متأملا فى الحادثات طويلا
مالى أراك اليوم تسرع فى الخطى	تطوى السجل وقد عزمت رحيلا
لما بدا مسك الختام تفتحت	أبواب عدن بكرة وأصيلا
أدخله ربى فى رحابك خالدا	واجعله بين الصالحين نزيلا

---

(٤) الأستاذ الدكتور مهدى علام أمين عام المجمع .

مرثية الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

(دمعة على الزميل المجمعى المرحوم
محمد خلف الله أحمد)

تقدمة

لمرثيتى للزميل محمد خلف الله

التقيت بالمرحوم الزميل المجمعى محمد خلف الله أول لقاء سنة ١٩٢٤ . وكان هو فى الفرقة الأولى من دار العلوم العليا ، وكنت أنا فى أول الشوط بالفرقة الأولى بتجهيزية دار العلوم . وكان ذلك فى المبنى المعروف بحى المنيرة .

وكانت المناسبات الوطنية والاجتماعية والأدبية والمحاضرات العامة ، وحفلات التأبين للراحلين من أبناء دار العلوم ورجالها وأساتذتها تجمع بينه وبينى . هو يلقى شعره وأنا ألقى شعرى . وهو يقوم بدوره وأنا أقوم بدورى .

وما اجتمعنا مرة فى (بيت الأمة) — وهو العرين الذى كان يسكنه الزعيم الخالد سعد زغلول — ولا فى لجنة الطلبة التنفيذية لمعاهد التعليم إلا وكان محمد خلف الله وعبدالغنى حسن الممثلين الدائمين لدار العلوم وتجهيزيتها ، والمتحدثين باسمها وعند أستاذنا وزميلنا اليوم مهدى علام من ذلك النبأ اليقين .

وما زلت أذكر فى مساء الخميس ٣ يناير سنة ١٩٢٩ ذلك الحفل الرائع الذى أقيم تكريما وتوديعا لمحمد خلف الله ومحمد بيومى بمناسبة سفرهما إلى انجلترة فى بعثة تعليمية لبضع سنوات وكان المجاهد الشيخ عبد العزيز جاويش — عليه رحمة الله — أحد شهود ذلك الحفل ، والأستاذ والزميل الدكتور محمد مهدى علام منظمه ، والمشرف عليه ، ومقدم خطبائه ، وصاحب الكلمة الافتتاحية فيه ، أو كما يقول إخواننا العرب فى الشام : عريف الحفل . وما تزال كلمات المتحدثين والشعراء ، وكلمة الدكتور مهدى علام ترن أصداؤها فى أذنى إلى اليوم .

وكان من قدرى أن أكون أحد مودعى «خلف الله» ومكرميه فى ذلك المهرجان الأدبى الرائع . . .

وكان ذلك بقصيدة نشرت فى الكتاب التذكارى لذلك الحفل . . . وقد أمتعنا

«خلف الله» يومئذ بقصيدته البائية المشهورة التى جاء فيها قوله :

أخى قم نتزود
قبيل مسرى الركاب

غدا نحث المطايا
لفرقة واغتراب

غدا نودع دارا
صبيعها فى الرقاب

فيها لبسنا قشيبا
من نضرة وشباب

ومن هواها عرفنا
سر الهوى والتصابى

والآن ، وبعد خمسة وخمسين عاما من ذلك التوديع . وبعد تسعة وخمسين عاما من أول لقاء وتعارف ومودة صافية لم يكدرها مكدر ومن مراماة عزيزة غالية فى دار العلوم ، وفى البعثة بإنجلترة . وفى لجان المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وأخيرا هنا فى مجمع اللغة العربيه ، تحكم الأقدار — وما أشد أحكامها — أن أقف بينكم هنا لأودع الزميل والصديق محمد خلف الله ، وداعا أبديا ليس بعده لقاء فى دار الفناء ، على أمل أن نلتقى فى دار الخلود والبقاء ، وفى رحاب الله العلى القدير ، العفو الغفور ، الذى يجمع الأشتات ، ويحيى الرفات ، ويحصل ما فى الصدور ، ويبعثر ما فى القبور وإنه على جمعهم يومئذ لقدير .

وإلى دمعتى على الراحل الكريم ، والزميل الجديد القديم :

فارس الحلبة

(دمعة على الزميل المجمعى الصديق محمد خلف الله)

نحن عزينا ، وهنأنا ، وحرنا … من ترى منا المعزّى والمهنّا ؟
شُبِّه الأمر علينا مخلطنا … أغناء أم بكاء ما سمعنا ؟
وسترى صوت نذير موعد … وبشير يملأ الآذان لحنا
هكذا الدنيا : فلا نعمى أتت … دون أن تتبعها البؤس إلينا
فارس الحلبة مذ فارقنا … لم يدع فى الركب قلباً مطمئنا

(خلف الله) ولــن نلقــى لــه … خلفــا يعــدله قــدرا ووزنــا
أولا تعلــم أنــا معشــر … يتهــاوى دوحنــا غصنــا فغصنــا؟
وبحــه قــد جاءنــا يدرنــا … أنــا نفــص خدنــا ثم خدنــا
شكــر الله لــه قــد ردنــا … لصــواب الأمــر مذ كنــا ضللنا
وأتى يشتــد فى تذكيرنــا … بقضــاء الله لما أن غفلنــا
وهو – والله – رقيــق ناعــم … رقــة الزهــر إذا صادف مزنــا
سابــق نحــن غــدا نلحقــه … وغــد مدركنــا مهمــا أطلنــا
يا لــه من منذر من بيننــا … زارنــا بالبين أوجاعا وحزنا

* * *

يــا شبــاب المجمع الخالــد لا … تجزعــوا إن نحــن فى الخطب جزعنا
إن شيخوختنــا لا تنثــنى … تقلب الأحــداث ظهــرا ثم بطنــا
نحــن فى حــزن . . فمــا ذنبكــم … إن أخــذتم هــذه الأحــزان عنا ؟
إنمــا شاركتمونــا كــرما … حين فاض القلــب بالهــم فأنــا
نحــن فى الخطب ســواء فابذلوا … مــن وفىّ الدمــع مــا شئتم وشئنا
واحملــوا معنــا مصابا واحــدا … كلنــا فيــه على الهــم التقينــا .

* * *

ليــس من حكمــة أربــاب النهى … أن يــروا فى الحادث النــازل رعنــا
فاغفــروا أدمعنــا إن فضحــت … وأبانــت مــن أسانــا مــا كتمنــا
لكــم العمــر طويــلا ! فامرحــوا … فى رحــاب العيش كالأغصــان لدنا
هــذه الدنيــا ، وهــذا شأنهــا … ساعــة تصفــو ، وحينــا تتجــنى
فخــذوا مــن خــير أيامكــم … خير مــا يأتى ، وأحــلى ما تمنى

* * *

قد تخلى الخل عن خــلانــه … ليتــه روى قليــلا وتأنى
راقــب « الدورة » حــتى فضهــا … مــن لدنــه ، وفضضنــا مــن لدنا
فتوافقنــا عــلى وعدنــا … وعلى الفرقــة والنــأى اتفقنــا

فإلى الله تناهى رحلة وعلى الأيام بالله استعنا
فالحياة اليوم صارت معركا طاحنا تشعنا عركا وطحنا
جاءه الدور فلبى مسرعا ليت شعرى من عليه الدور منا ؟

* * *

أيها التاركنا في محنة نحن بالعيش هنا لم نتهنى
ما الذى يجديه طول العمر لو بقى المرء مع العمر معنى ؟ ؟
إن عاما واحدا نقطعه فى المسرات لأجدى ، ثم أهنا
من أيهب لى ساعة صافية ولـه عمرى ، ولا أشكوه غبنا

* * *

صحبة طالت وأمتعنا بها ما شكوناها ولا الدهر شكونا
ذهبت كالحلم .. حتى خلتنى لم أنم عينى ولا أغمضت جفنا
ومضى الحبل الذى صاحبته فوق خمسين ولا أعرف أينا
كم تمنينا على الدهر المنى أترى نال امرؤ ما قد تمنى ؟

* * *

إن ماضيك الذى شرفنا لم يزل يحضرنى سمعا وعينا
قد كساك المفضل فيه حللا وجلال الدين إحسانا وحسنى
وحباك العلم من آياته كل ما يقوى الحمى منه ويغنى
إن للعلم يدا ساحرة فيه الأوطان تشتد وتبنى
وبه من نفحة الله سنا يكشف الظلمة . . . جل العلم شأنا

* * *

دفنوا جسمك فى التراب ، ولم يستطيعوا لشذى فضلك دفنا
فلا نفح يملأ الدنيا شذى مثلما غشاك أكماما وردنا

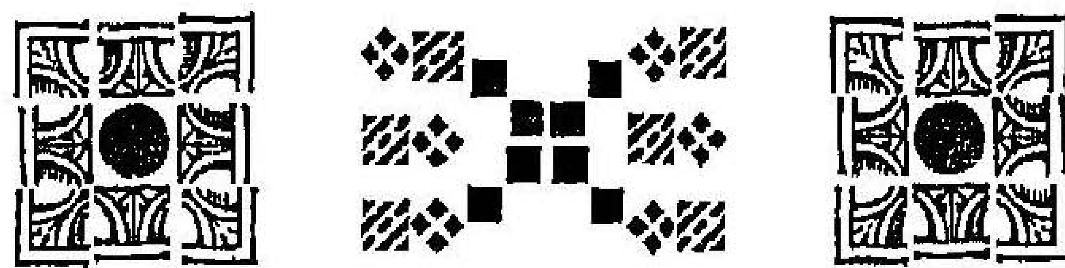
* * *

كنت في دنياك طيفا هائما	بالمثاليات فيها تتغنى
ترفع الإنسان فينا ملكا	صيغ كالبلور من نور وأسنى
وترى الدنيا ـ ولو سيقت لنا	دون أخلاق ـ هباء دون معنى
تنكر المعنى الإلهي بنا	أن يرى منحدرا ، أو يتدنى
في سلوك قد تحدرناه لنا	قدوة صالحة منذ نشأنا ..
الصغارات التي طفنا بها	نحن والله عليها قد كبرنا
فعلى دار العلوم ، الملتقى	وإليها المنتهى حين انتهينا
قد قضينا رحلة العمر معا	لم تفرقنا الدنى إلا التقينا
تأخذ الأيام منا غاليا	وتصادفنا فلا تأخذ منا
ونسيء الظن بالدنيا ، فلا	يلبث المستاء أن يحسن ظنا

* * *

وتقبلنا شبابا واعيا	وشيوخا في اتزان حين شبنا
وأخيرا ضمنا في بهوه	(مجمع) للخالد قد أصبح حصنا
ارتقينا رفرف المجد به	وجعلناه على الفصحى مجنا
وبذلنا فيه من أنفسنا	كل ما نخشى بأن يحسب منا
والتقينا فيه مع صحب لنا	رفعوا في أرضه (للضاد) ركنا
وغدونا أسرة واحدة	لا نرى حقدا ، ولا نعرف ضغنا
لو ترانا كخلايا النحل .. لم	تلق فينا وكلا ، أو مستكنا
وابتغينا الخلد فيه موضعا	واتخذناه إلى الفردوس سكنى

محمد عبد الغني حسن
عضو المجمع



كلمة الأسرة

للدكتورة نوال خلف الله

يشرفني أن أكون في هذا المكان الحبيب إلى قلبي والدي لأقدم كلمة الأسرة في حفل تأبين المجمع للفقيد نيابة عن والدتي مسز آن خلف الله وشقيقتي الدكتورة ميرة خلف الله التي حضرت خصيصا من الولايات المتحدة لتكون معنا اليوم، وشقيقي الدكتور أحمد كمال خلف الله وزوجي الدكتور محمد البهتيمي وابنتي ريم البهتيمي. كما يشد من أزري وجود أعمامي الأعزاء أشقاء المرحوم معنا اليوم وهم الأستاذ أبو الفتوح خلف الله عمدة قلفاو بسوهاج والأستاذ أنور خلف الله أطال الله في عمرهم، وهما بالتأكيد أقدر مني على تمثيل الأسرة في هذا المجال ولكني كنت قد وعدت الوالد بالقيام بهذه المهمة.

أود أولاً أن أعبر عن إحساسنا كأسرة بمدى الخسارة التي لحقت بنا برحيل الوالد من دنيانا منذ أسابيع عبرت والدتي عن إحساسنا العام بقولها: «كنت أظن أن الألم ستخف حدته قليلا مع الأيام فلماذا هو يزيد؟» ولعل السبب في هذا قد أدركته والدتي منذ أربعين عاما حينما التقت بوالدي في إنجلترا وأدركناه نحن الأبناء من بعدها ذلك أن والدي محمد خلف الله أحمد كان نموذجا نادرا من الرجال تميزه نزاهة لا تتزعزع ووقار يخفي وراءه وداعة ورقة تجاه مخلوقات الله جميعا لم تستطع الأيام أن تنل منها:

وأترك للمتخصصين تقويم ما أنجزه الوالد في المجالات المتعددة التي خاضها وأود أن أركز في كلمتي على السلوك الخلقي والاجتماعي للوالد مارة بمراحل حياته المتعاقبة وأستند كمرجع إلى مذكرات الوالد - رحمة الله عليه - التي خطها بيده في السنة الأخيرة من عمره وهو في سن الثامنة والسبعين وسلمها لي في شهر يناير الماضي أي أشهر قليلة قبل وفاته والتي تأمل الأسرة أن تقوم بنشرها تحت توجيه المجمع اللغوي واسمحوا لي أن أقرأ عليكم الأسطر الأولى من هذه المذكرات إذ فيها انعكاس للصفاء الذهني الذي ظل الوالد يتمتع به إلى النهاية.

يقول الوالد «في حوار مع الذكريات ومن أجل تجربة في حساب النفس، ماذا قدمت وماذا عملت، ومتى واتاها النجاح أو أخطأها، وكيف كانت علاقتها بمجتمعها وتفاعلها معه. حاول صاحبنا - وهو في سن الثامنة والسبعين - أن يعود بذكرياته إلى نقطة البداية ويسير من جديد مع رحلة الحياة من أولها، منذ أن نشأ في أوائل

القرن الحاضر فى قرية من قرى الصعيد يمشى إلى مكتب القرية ، ويحط فى لوحه ، ويحفظ ما يحفظ بالتلقين ، حتى صار أستاذا فى الجامعات المصرية ونال جائزة الدولة التقديرية فى الآداب وعين عضوا فى مجمع اللغة العربية وفى بعض الهيئات الرسمية الأخرى. وما إن سار قليلا فى رحلته الذهنية حتى تبين له أن كثيرا من آثارها الظاهرة والخفية لا تزال باقية رغم طول الطريق وكثرة متعرجاته، وأن الحوار فيها مع النفس كشف — ولا يزال يكشف — عن أحاسيس وانطباعات كان يظن أنه نسيها ولكنها كانت منطوية فى خبايا العقل وحناياه »

ورحلة محمد خلف الله فى الحياة بدأت سنة ١٩٠٤ — كما حدثنا الأستاذ عبد السلام هارون — بمرحلة الوطن الأصغر سوهاج ثم مرحلة الوطن الروحى والأدبى القاهرة من عام ١٩٢١ — ١٩٢٨ إلى أن نال دبلوم دار العلوم ثم مرحلة إنجلترا ١٩٢٩ — ١٩٣٧ فأحرز فيها درجة الشرف من جامعة لندن سنة ١٩٣٤ ثم درجة الأستاذية من نفس الجامعة سنة ١٩٣٦ وعاد إلى مصر فى سن الثالثة والثلاثين وظل يجاهد فى مجال التعليم الجامعى والعالى ماشاء الله له أن يجاهد .

نعود إلى نقطة البداية ، وعن نشأته يقول الوالد فى مذكراته : « كانت نشأة صاحبنا نشأة واعدة كما يقال فمنذ أن ألحق بمكتب القرية ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة ابتدأ يلفت انتباه أهله بحدة فهمه ومقدرته على سرعة الحفظ وهم يؤكدون أنه حفظ القرآن الكريم كله بادئا فى سن العاشرة .

والواضح أن الناحية الدينية كانت لها الغلبة فى تكوين الوالد الوجدانى « كان صاحبنا فى مرحلة الاستعداد لدخول تجهيزية دار العلوم وما قبلها قد شغل نفسه بالعبادة والتدين إلى درجة كانت تقلق والده وأهله مخافة أن تشغله هذه الحال عن الاهتمام بشئون الدنيا والعمل لها . فلما انتظمته دار العلوم بنظمها ومناهجها وامتحاناتها زال قلق الأهل وعلموا أن مقتضيات الدراسة وأوضاعها ستحدث نوعاً من التوازن فى نفس صاحبنا بين العمل للدنيا والعمل للآخرة. وقد صحت نظرتهم وأقبل صاحبنا على التحصيل بجد مع المحافظة على تفوقه المطرد طول مدة الدراسة، وما إن ظهرت نتيجة أول امتحان له فى منتصف العام حتى جاء ترتيبه أول الفرقة وحتى أخذ الأساتذة يلمحون بوادر هذا التفوق » .

والتفوق هذا فى الدراسة لم يمنعه من مشاركة الطلاب فى نشاطهم الاجتماعى والسياسى، بل واختاروه زعيما لهم وممثلا لآرائهم يقول الوالد عن هذه الفترة « كان جو الثورة السياسية والاجتماعية التى شهدتها مصر فى العشرة الثالثة من القرن الحاضر ،

معملا لتفريخ زعامات شبابية لعبت دورها فى تلك الحقبة وما بعدها ، كما كانت عاملا مؤثرا فى حياة صاحبنا وظهوره زعيما بارزا فى حياة ذلك المعهد يتمتع بشخصية رائدة فى مختلف النواحى يشجعها الأساتذة وينظرون إليها نظرة عطف وإعزاز ويتطلع إليها الطلاب فى مهام شئونهم » .

ولعل الكلمات التى قيلت فى وداع محمد خلف الله قبيل سفره إلى إنجلترا وذلك فى يناير من عام ١٩٧٩ فى حفل تكريم أقيم له ولزميل آخر بدار جمعية الشبان المسلمين تعكس صورته ومكانته لدى الأصدقاء وقد حدثنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن عن هذه المناسبة ولعله يتذكر الكلمات التى قالها فى وداع زميله :

شاعر يقرئك اليوم سلامه
صحبت ركبك فى اليم السلامة
يا أخا لم ألق فى صحبته
غير إخلاص وحب وكرامة
إن حبا هاج منا الذكرا
لهو عند الله حى لن يضيعا
ياصديقا إن ذكرناه ذكرنا
خلقا كالزهر أو أبهج حسنا

وزميل آخر قال مودعا :

فى سبيل المجد هذا الاغتراب
فوداعا يا أخا القلب وداعا
قد يضرب ما بين الصحاب
حسن صبرى بلظاه فتداعى
وصديق طاهر الود وفى
وقليل فى الحياة الأوفياء
هادئ الأخلاق فى قلب أبى
عاطر السيرة مرموق الإخاء

وكان ختام الحفل قصيدة لمحمد خلف الله أودعها فيض حبه لدار العلوم وأساتذتها وطلابها وفيض ولائه ووفائه لوطنه مصر وساكنيها وتحدث عن فضل دار العلوم عليه. وقد ألقى علينا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن بعض أبيات منها واسمحوا لى أن أقرأ لكم بعض مقاطع منها

ولى همامة نفس
تجوز شأو السحاب
ألزمتها فى صباها
مواقف المحراب
أوردتها سلسبيلا
من سنة وكتاب
فإن نويت زماعا
يطول فيه غيابى
فلست أسلو بمصر
ملاعب الأحباب
ولست ممن يتناسى
مودة الأصحاب

كانت مرحلة الدراسة فى دار العلوم هى مرحلة ازدهار الموهبة الشعرية عند صاحبنا والتى كان من الطبيعى أن تجد مجالها فى ذلك

المعهد الذى تقوم الدراسة فيه على التخصص فى مختلف فروع التراث العربى والذى عرف منذ تأسيسه بأنه المعهد الذى تحيا فيه اللغة العربية حياة كلها خصب ونماء. والدارس للقصائد التى بقيت لمحمد خلف الله من تلك المرحلة يجد أن كثيرا منها ألقى فى مجتمعات جماهيرية واسعة وأنها حققت لصاحبها مكانة عالية بين زملائه من أدباء الشباب وأنها فى مجموعها ترتبط بأحداث مجتمعها وأنها تدور حول محاور معينة يمكن عدها ويجئ فى مقدمتها قضايا الوطنية وزعماء نضاله والولاء للوطن الأصغر سوهاج وللمعهد ورسالته ثم المناسبات الأدبية الكبرى كمهرجان أمير الشعراء شوقى ثم وفاء الشاعر لأساتذته وزملائه. ولعل قصيدته المطولة فى حفلة العيد الحسينى لدار العلوم هى قمة شعره فى التغنى بمجد معهده والإشادة بفضله فى مصر والعالمين العربى والإسلامى فقد شهدت القاهرة فى صيف ١٩٢٧ مهرجانا فكريا وأدبيا رائعا استمر طيلة أسبوع بين بحوث وخطب وقصائد وموسيقى وحضره زعيم الجهاد السياسى حينذاك / سعد زغلول وكبار رجال الدولة وحشد له أبناء دار العلوم ما استطاعوا من أعداد.

يقول فى مطلعها :

فرائدك العصماء فالجمع حافل
ومثلك من تصغى إليه المحافل
لقد عجمت منك المنابر ناشئا
له بين فرسان البيان منازل

ولما روعت البلاد بفقد زعيمها سعد زغلول ورمز أمانيها فى الحرية والاستقلال أحد محمد خلف الله بمصيبه فى الحزن عليه وفى رثائه فى أكثر من قصيدة. يقول فى المقطع الأول من إحدى قصائده

محرر مصر من غياهب أسرها
نعاه مع الأسحار ناع فأسمعا

نعى بطل الوادى وعنوان مجده
نعى معقد الآمال والخير أجمعا

نعى الرجل الفرد الذى كان عزمه
تضيق به الأيام والدهر أذرعا

وفى يناير من سنة ١٩٢٩ بدأت المرحلة الكبيرة الثالثة فى مسيرة محمد خلف الله وسافر إلى إنجلترة للتحضير لدرجة الشرف لعلوم الفلسفة بجامعتها، وقد حدثنا الأستاذ عبد السلام هارون عن هذه المرحلة وأود أن أضيف إليها أنه قد استقرت حياة الوالد العاطفية والأسرية فى نهاية مدة بعثته بزواجه برميلة من شمال إنجلترا حاصلة على درجة الشرف من جامعة لندن فى العلوم الرياضية ودبلوم معهد التربية بها كانت وحيدة أبويها وانعقدت بينه وبين أسرتها صداقة نمت مع الأيام وكانت له معها جلسات حوار حول الأديان ومقارنتها انتهت بأن اعتنقت الإسلام وسجلت إعلانها فى السفارة المصرية وبدأت تتعلم اللغة العربية. وعندما عزم على الرواح منها حضر إلى مصر فى إجازة

ضيف واستاذن والديه فأذنا وقد تولى زواجهما القنصل المصرى العام ».

وبعد عودة الوالد إلى الوطن استدعى للتدريس فى مدرسة دار العلوم العليا ثم اقترحت كلية الآداب نقله إليها مدرسا وتم النقل وأصبح الوالد عضوا بهيئة التدريس بجامعة فؤاد الأول واستحدث له درس جديد يناسب تخصصه موضوعه: صلة علم النفس بالأدب لطلبة الماجستير بقسم اللغة العربية .

ومن ذكريات الوالد عن هذه الفترة: «كانت كلية الآداب فى الثلاثينيات تزخر بموجات عن التجديد والإحياء فكان هناك طه حسين بمناهجه وتفكيره فى مستقبل الثقافة ، وأحمد أمين بدراسته الشاملة لتاريخ الفكر الإسلامى فى فجره وضحاه وأصيله ، وإبراهيم مصطفى وما يعالجه من إحياء النحو ، . . . وإلى جانبهم أساتذة محنكون فى أصول الثقافة العربية وفروعها ثم شباب عادوا من الجامعات الأجنبية بعد أن عايشوا نظمها وأوضاعها ودارسون يتطلعون أن يملأوا مصر علما وثقافة ، ووجد صاحبنا لنفسه مكانا بين شيوخ الطليعة وشبابها ويذكر فيما يذكر ندوة أقيمت فى الجمعية الجغرافية طرفاها طه حسين ومحمد خلف الله من جهة وإسماعيل القبانى وزكى المهندس من جهة أخرى وكان موضوع الندوة التعليم العالى للجميع أو للخاصة .

ومن ذكريات الوالد عن سنوات العمادة فى كلية الآداب بالإسكندرية التى امتدت من سنة ١٩٥١ إلى سنة ١٩٦١ : «كانت سنوات العمادة بالإسكندرية خيرا وبركة على صاحبنا فقد اتسع نشاطه الأدبى والثقافى فى المدينة وكثر اتصاله بهيئاتها ولجانها ومعاهدها فاختير عضوا فى مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين بها ووكيلا لمجلسها بعد ذلك وعضوا فى مجلس معهد الخدمة الاجتماعية بها واختير مع زميليه (المرحوم الأستاذ مصطفى عامر مدير جامعة الإسكندرية والدكتور محمد البهى الأستاذ بالأزهر) لتمثيل علماء مصر فى مؤتمر الثقافة الإسلامية المعاصرة الذى انعقد سنة ١٩٥١ فى مدينة برنستون بدعوة منها ومن مكتبة الكونجرس بأمريكا (وقد حدثنا عنه الأستاذ عبد السلام هارون) كما اختير لرياسة وفد كتاب الجمهورية العربية المتحدة لدى مؤتمر الكتاب الآسيويين والأفريقيين الثانى المنعقد فى طشقند بالاتحاد السوفيتى »».

ثم أسلمته مرحلة العمادة بالإسكندرية إلى وكالة جامعة عين شمس حيث أمضى فيها السنوات الثلاث الأخيرة من عمله الوظيفى متعاونا مع صديقه وابن محافظته عالم الرياضيات الدكتور محمد مرسى أحمد الذى عين مديرا للجامعة وشهدت هذه الفترة نموذجا طيبا من

التعاون بين مدير الجامعة ووكيلها وعمدائها وأساتذتها والعاملين بها وترك محمد خلف الله العمل فى جامعة عين شمس فى يوليو من سنة ١٩٦٤ إلى دنيا المعاش وظن أن حياة التقاعد ستتيح له الفرصة للهدوء والراحة ، ولكن لم تمض على هذا التاريخ أربعة أشهر حتى تاتى دعوة من مجلس إدارة معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ليشغل كرسى الأستاذ المتفرغ بالمعهد لتدريس الأدب العربى ثم بعد أقل من شهر اجتمع مجلس الإدارة برياسة الدكتور طه حسين فى منزله بالهرم وقررت أغلبيته انتخاب الوالد مديرا للمعهد لمدة ثلاث سنين قابلة للتجديد وكان هذا الانتخاب بدءا لمرحلة ذات مسئوليات جديدة استمرت حوالى عشر سنوات واستلزمت بذل الجهود لإعادة بناء المعهد والارتفاع به إلى معهد للبحوث يؤمه خريجو الجامعات فى البلاد العربية

وقد اعتكف الوالد فى الإسكندريه خلال السنوات القليلة الماضية سعدنا به فيها وعن هذه الفترة يقول الوالد فى مذكراته

« وبعد منذ معتكفه فى الإسكندرية مع أسرته وجد صاحبنا راحته النفسية والروحية فى ملازمته لتلاوة القرآن الكريم وتفسيره وفى المتابعة لما ينشر فى المجلة المجمعية فى مصر ودمشق وفى تبادل الرسائل الإخوانية مع أصدقائه وتلاميذه فى مصر والعالم العربى وقد اختار من بين مكتبته فى القاهرة لمطالعاته فى عزلته تفسير القرآن لابن كثير وأجزاء من تفسير الإمام رشيد رضا ومجموعة أجزاء البخارى ومسلم والإحياء للغزالى والمجتهد لابن رشد وكتاب الأغانى بأجزائه للأصفهانى ، وأما بقية مكتبته فقد عهد إلى إخوته بنقلها كلها إلى منزل العائلة على أن تكون فى متناول طلاب العلم فى بلده « العمرة » وهو يدخر ثواب ذلك عند العليم بأسرار العباد ونواياهم ويسأل الله من فضله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات »

كلمة ختامية للدكتور ابراهيم مدكور

شكر الله لكم جميعا أيها السادة ، ولكم تحية الوفاء ، ولفقيدنا العزيز من الله أجزل الثناء . . ورفعت الجلسة .

فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ١١ من صفر سنة ١٤٠٤ هـ ، الموافق ١٦ من نوفمبر سنه ١٩٨٣ م ، اقام المجمع حفلا لتابين المرحوم الأستاذ بدر الدين ابو غازى (عضو المجمع) ، وهاهى دى نص الكلمات التى القيت فى هذا الحفل :

كلمة الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى . . سادتى .

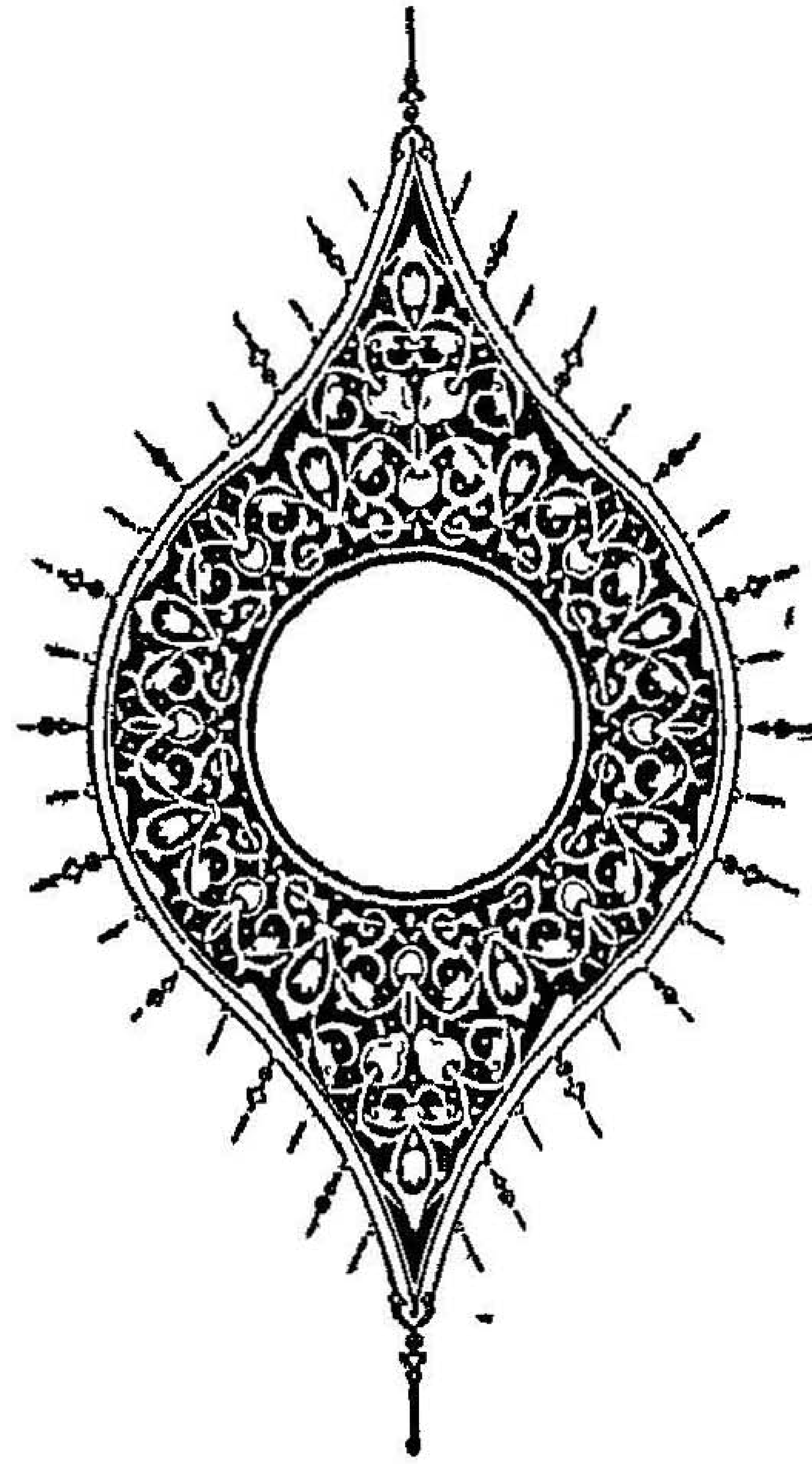
إنا لله وإنا إليه راجعون ، ففى الدورة المجمعية الماضية بلى المجمع برزئ تلو رزئ ، ومصاب تلو مصاب ، فقد خمسة من كرام المجمعيين وهم على التوالى أحمد الحوفى ، أحمد عمار ، محمد خلف الله أحمد ، عبد الرزاق محيي الدين ثم جاء فى خاتمة المطاف بدر الدين أبو غازى ، الذى لم ننعم بزمالته إلا بضع سنوات ، والذى شاء القدر أن يعجل رحيله عن دنيانا ، ونحن نعول عليه كل التعويل .

وصلة فقيدنا بالمجمع ترجع إلى عام ١٩٧٠ ، حين كان وزيرا للثقافة ، فقد شاء أن يبدأ عمله فى وزارته بزيارة المجمع والمجمعيين ، ورحبنا بهذه الرغبة وعددناها بادرة لم يسبق إليها بدر الدين من قبل وزارنا فى دارنا المتواضعة بالجيزة وقضى معنا جلسة كاملة من جلسات المجمع ، وبعد انتهاء هذه الجلسة سأل : هل تستطيع وزارة الثقافة أن تقدم للمجمع والمجمعيين شيئا ؟ فاجبنا : نعتقد أنه قد آن الأوان أن يكون للمجمع دار تحمل اسمه ، ويستقر فيها رجاله ، وينتظم عمله ، وكان جوابه : لعلى أجد السبيل إلى المعاونة فى ذلك ، وبعد قليل عرض علينا عرضا كريما ، هو هذا الموقع الذى نحن فيه الآن ، الذى كان مقرا لإدارة كبيرة من إدارات وزارة الثقافة ، ولم نعهد أن وزيرا ما يتنازل عن جزء من إداراته بهذا اليسر ، وشكرنا بدر الدين على هذا العرض الكريم ، وسرنا فى الطريق ، وسار معنا وزيرا وخارج الوزارة ، فكنا نستعين به ما وجدنا إلى ذلك سبيلا فى كل ما يتصل بالناحية الفنية والرسوم الهندسية وما يتصل بها ، وهذا جانب معروف له فيه قدم ثابت .

وفى عام ١٩٧٥ اختير بدر الدين أبو غازى عضوا فى هذا المجمع ، فأقبل عليه وأحبه وأعطاه كل ما وسعه ، أعطاه فى لجانه كما أعطاه فى مجلسه ومؤتمره ، ويكفى أن أشير إلى أن لغة الفن ، ولغة الرياضة وجدت طريقها إلى المجمعيين على أيدى بدر الدين أبو غازى ، فكان ما عرض علينا من لغة المسرح وشىء آخر من لغة السينما ، وأود أن أضيف أن كرة القدم

نفسها ومصطلحاتها وتعبيراتها وجدت سبيلها إلى مجمع الخالدين على أيدى الفنان الكبير .

ويطـول بى الحديث إن عرضت لبدر الدين فى سماحته ، فى تجربته الواسعة ، فى تقديره السليم ، وسيتولى ذلك زميل وعضو كريم هو الدكتور توفيق الطويل ليقول كلمة المجمع فى وداع فقيده المرحوم الأستاذ بدر الدين ، ثم تكون الكلمة بعد ذلك للزميل الدكتور إبراهيم الدمرداش ليقول كلمة الشعر ، وزميله الآخر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ليقول كلمة الشعر أيضا ، ثم يختم حديثنا بكلمة الأسرة .



كلمة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

فى تأبين المرحوم الأستاذ بدر الدين أبو غازى

سأبكيك ما فاضت دموعى فإن تغض
فحسبك منى ما تُجنُّ الجوانح

وما أنا من رُزءٍ وإنْ جَلَّ جازعٌ
ولا بسرور بعد موتك فارح

كأن لم يمت حىٌّ سواكَ ولم تقم
على أحد إلا عليك النوائح

لئن حَسُنت فيكَ المراثى وذكرها
لقد حسنت من قبلُ فيك المدائحُ

فى العامين الأخيرين أنشبت المنية أظفارها بنهم شديد فى مجمعنا التليد حتى حسبنا أن بينهما وبيننا ثأرا — وليس لنا على دفع المنايا وحكمها مرد ولا على قضاء الله معترض . ولكننا ونحن بشر لا يخطئنا الفناء — لا نملك إلا التسليم لإدارة الله العزيز الحكيم وقد ودعنا فى الأربعاء الماضى ، ومن فوق هذا المنبر الحزين ، زميلنا وحبيبنا « محمد خلف الله » وداعا لا لقاء بعد اليوم — ومن فوق هذا المنبر — الذى تكاد أعواده تتقصف من هول الفجائع المتتالية ، نودع زميلنا وحبيبنا الأستاذ (بدر الدين أبو غازى) والمودعان فى الفضل شبيهان ، وفى الخلق وسماحة النفس صنوان فكأن القدر اختطفهما فى وقت متقارب لتقارب ما بين الاثنين وتناسب ما بين الطبعين : بشاشة وجه ، وابتسامة ثغر وطيبة قلب تشيع الصفاء بين الزملاء ، هذا إلى تعدد جوانب المعرفة ، واتساع رحاب الثقافة . .

وإذا كنت قد سعدت بصداقة (محمد خلف الله) ومودته منذ تسعة وخمسين عاما فإن صلتى ببدر الدين لا تزيد

على تسعة عشر عاما . وذلك حين أصدر كتابه سنة ١٩٦٤ الضخم القيم عن خاله المثال العبقرى (محمود مختار) فقد اقتنيت الكتاب كعادتى فى الإقبال على كل كتاب جديد وفتحته لأجد فيه قصيدة من شعرى كانت صحافة ١٩٢٨ قد نشرتها فى أبرز صفحاتها، تحية منى (لمختار) بمناسبة حفل إزاحة الستار عن تمثال (نهضة مصر) الذى أقام الدنيا وأقعدها وسرتنى المفاجأة وأكدت لى أنه لا يزال بمصر من يقرأ ويسجل ليؤرخ . . .

وسعيت أسأل عن (بدر الدين) هذا لأشكره ، حتى اهتديت إليه . وكان ذلك أول لقاء بينه وبينى . وما كدتُ أهمُّ بشكره على نشره قصيدتى فى كتابه ، حتى أخجلنى هو بشكرى على أننى كنت أحد الشعراء المصريين المشاركين فى تحية خاله العظيم ، بجانب أحمد شوقى وخليل مطران ، والدكتور أحمد زكى أبو شادى .

وأعجبنى حديث « بدر الدين » وتعددُ نواحى ثقافته القانونية والفنية والأدبية ، مع تواضعه وحسن لقائه وإقباله على محدثه ، وتعارفت روحانا لأول لقاء تصديقا لقول الشاعر .

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه
وللناس من الناس مقاييس وأشباه

ومرت السنون من ١٩٦٤ إلى ١٩٧٨ حينما ساقنى قدر سعيد من ناحية ، مؤيد بفضل عظيم للخالدين من ناحية أخرى إلى عضوية مجمع اللغة ، فإذا بى أجد (بدر الدين) زميلا و مقررا معى فى بعض لجان المجمع وخاصة لجنة ألفاظ الحضارة ، ولجنة الأدب .

وزاد الود بيننا تأكدا ، وزادت الرفقة الطيبة بيننا تمكنا ، وكثيراً ما كان يحتدم النقاش فى جلسات المجمع العاصفة ، وتمتد جمرات الجدال وشرارته إلى بدر الدين ، ولكنه يقابلها بهدوئه وابتسامته وسعة صدره ، ومنطقه المقنع الهادئ السليم .

وابتلاه الله رب الأخذ والعطاء ، وصاحب الإبقاء والإفناء — فى أحد أبنائه — بامتحان قاس شديد ، فكان مثال المؤمن الراسخ ، وأحد المبشرين بقوله تعالى : (وبشر الصابرين الذين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وأخيرا استكثر الموت علينا «بدر الدين» الصديقين والشهداء ، والصالحين ، فأخذه منا ، ، واختطفه من المجمع وحسن أولئك رفيقاً . الحزين ، ولجانه كلها ، ومن كل رحم الله « بدر الدين » وألهم أهله أمل معقود عليه ، بل من هذه الدنيا وأسرته ، وفلذتيه جميل الصبر ، الغرور كلها . لينعم فى رحاب الله مع وحسن العزاء . . .

والآن الى دمعتى على (بدر الدين) ابو غازى

ترصُدُ الفن فى فطانة عقل غير ذى ريشة ولا تداوين
لماكنت فى فقدك الروائع فى الفن غنيا عن روعة التكوين
قد تكون الأُذن الدقيقة فى اللحن بلا حاجة إلى التلحين
وحباكَ الحِسُّ الجمالىُّ قدرا من نفاذ واع ورأى فطين
إن ميراثكَ الكبيرَ من الفنِّ لفوقَ التنقيص والتهوين
فيك من خالكَ العظيم مزايا عُدتَ من إرثها بكنز ثمين

* * *

عالم الفن والثقافة عادا من نواكم بصفقة المغبون
فَقَدَا فيك عالماً من صفاء واتزان فى عالَم مجنون
خسِرا فيك كلَّ معنى كريم عزَّ فوق العزاء والتأبين
ألجمتنا فيك الفجيعةُ . . حتى لم نُودِّعك بالبيان المبين .

* * *

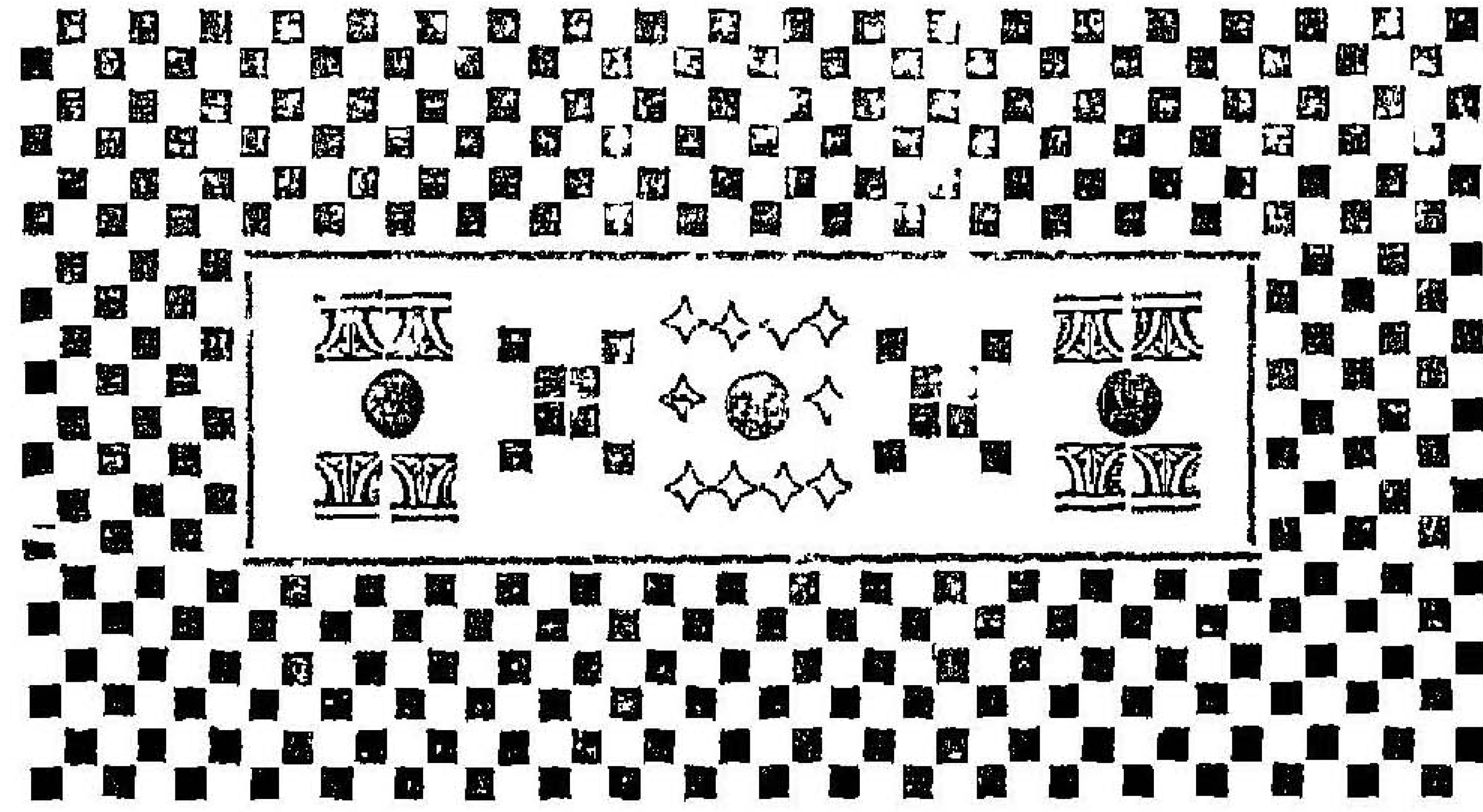
يا غريب الممات تحت جميعاً فى اغتراب مؤرق الجفون
لستُ أدرى والناسُ فى الجهل مثلى أين يأتى حَيْنى وأيان حينى
نحن فى زحمة الحياة حيارى بين مكث ، وغربة ، و حنين
نحن هَلكى إن لم يعبًا على آلام نهذى الحياة عون المُعين

* * *

هل نعِمْنا بلحظة من قرار أو ظفرنا بساعة من سكون
وسواء لدى الأُسودِ مماتٌ في عرين أو مِتْنَ خلف العرين
خُطواتٌ مدوَّنات ولا مَهْـ ـربَ يوما من ذلك التدوين
فلْنقابل إدارة الله فينا برضًى مؤمن بيوم الدِّين
وعليكم السلام منا إلى أن يلتقي جمعُنا ولو بعد حين .
يا أبا المفرَدَيْنِ عنك ، وكانا منك في منعة وحصن حصين
فقَدَا منك يا رفيق الحنايا كلَّ صدر حانٍ وقلب حنون
لهما اللهُ كافِلاً لليتامَى ومُجيرَ الضعيف والمسكين .

محمد عبد الغنى حسن

عضو المجمع



كلمة الأسرة

الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية
الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع
السيدات والسادة

موقف صعب ذلك الذى أقفه اليوم ، فما كنت أتصور أنه سيغيب عنا هذه الصورة المفاجئة ولكن هاهو بدر الدين أبو غازى الذى عاش حياته يكرم الراحلين ، ووهب قلمه ليبث الحياة فى ذكراهم ، منقبا فى أعمالهم مجمِّعا لتراثهم ، مخلدا لهم بما قدموا فقد أبى إلا أن يرحل عنا هو الآخر ، ويرحل رحيلا مفاجئا .

كم هو غريب أن يأتى تكريم مجمعكم لبدر الدين أبو غازى فى السادس عشر من نوفمبر فى مثل اليوم الذى تلقى فيه بدر الدين أبو غازى الشاب أول تكريم له وعمره ستة عشر عاما عندما نشرت له جريدة الأهرام مقاله الأول عن الزعيم محمد فريد فى ذكرى رحيله السابعة عشر فى صدر صفحتها الأولى .

وبين التكريم الأول الذى كان اعترافا بموهبة تتفتح ، واستشرافاً لمستقبل واعد ، وهذا التكريم الذى يأتى بعد أن أوفى الوعد عرفاناً بشخصية معطاءة وإنجازات متحققة . قطع بدر الدين أبو غازى رحلة حياة حافلة كان سخاء العطاء سمتها والدأب على المواصلة قوامها ، أثرى فيها حياتنا بعشرات الأبحاث والدراسات والكتب والمقالات ، ومع تنوع اهتماماته كان تنوع مجالات إبداعه ، فطرق مجال التشريع المالى والضريبى بروح الفنان المبدع والمجدد ، وخاض غمار النقد الفنى بحساسية رجل القانون فكان العطاء خلاقا ومتعددا فى الفنون التشكيلية والآداب والثقافة والتشريع المالى والإدارة ، والصرائب واللائحة مما أفاض الأستاذ الدكتور توفيق الطويل فى الحديث عنه ورغم سنوات العطاء الطويلة فقد كان بدر الدين أبو غازى واعداً بمزيد من العطاء .

مشروعات وخطط كثيرة كان يعد لها · كتاب عن رحلة النحت فى العالم ، وكتاب عن فن النحت المصرى بعد مختار ، وكتاب ثالث عن الدولة والثقافة ، ورابع عن شخصيات منسية أثرت فى تكوين الثقافة المصرية المعاصرة وخامس يجمع فيه مانشره من مقالات فى مجلة المصور فى بداية حياته كناقد فنى فى أواخر الأربعينيات . وأوائل الخمسينيات ، وكتب يسجل فيها حياة عديد من الفنانين المصريين وأعمالهم ، ومشروع الاحتفال بالذكرى الخمسين لوفاة المثال مختار ، ومشاركة فى الإعداد للاحتفال بالعيد الماسى لكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، ومشروع لإعداد سجل بالآثار

الإسلامية فى متاحف العالم مقدم للمجمع الملكى الأردنى لبحوث الحضارة الإسلامية

تلك بعض من المشروعات التى كان يعد لها، لقد تركنا وترك الكثير من الأعمال والمشروعات التى كان قد بدأها ولم يتح له الوقت لبراها قد تحققت واكتملت وإذا كنا اليوم نتوجه بعمق الشكر إلى مجمعكم الموقر وإلى تقاليده العريقة التى تحرص على الاحتفاء بالأعضاء والاحتفال بهم عند ارتقائهم إلى قمة الخالدين ، وعند رحيلهم عنا ، فإنى أتذكر كلمات بدر الدين أبو غازى التى قالها يوم استقبالكم له بعد اختياره عضوا فى مجمعكم العظيم ، فقد كان هذا الاختيار كما وصفه « شرف أعتز به ، ومن الذى لا يشعر بالاعتزاز بل بالزهو حين يرقى إلى قمة الخالدين » .

لقد جاء تشريفكم له باختياره عضوا فى مجمعكم تتويجا لاهتماماته باللغة ومصطلحات الفنون التى صاحبته منذ شبابه المبكر ، فقد كانت قضية صياغة مصطلحات الفنون التشكيلية تشغل ذهنه دائما ، وكم قضى من الوقت فى النقاش والحوار مع صديق عمره الفنان حامد عبد الله حول إيجاد مرادفات عربية للمصطلحات الأوربية فى الفنون التشكيلية . وانتهج أسلوب نشر هذه المصطلحات الجديدة من خلال مايكتبه من مقالات ودراسات وأبحاث فى الصحف والمجلات منذ الأربعينيات ليوفر لهذه المصطلحات الانتشار والذيوع بين المشتغلين بالفنون ومتذوقيها وجمهورها ثم تولى الإشراف على إعداد مصطلحات الفنون التشكيلية باللغة العربية فى لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى الستينيات وكان اكتمال هذا النشاط ونضوجه عند انضمامه إلى صفوفكم عندما تشرف بأن يكون مقرراً للجنة ألفاظ الحضارة والفنون فى مجمعكم .

وبعد فلا يسعنى إلا أن أكرر شكرى وشكر الأسرة لمجمعكم العظيم مؤكدا لكم أننا معكم ومع الهيئات التى عمل فيها بدر الدين أبو غازى ومع أصدقائه ومحبيه سنكون أمناء على تراثه الضخم ، فإن ما تركه لنا من أعمال يجعله حيا دائما فى وجداننا حاضراً بيننا ، وكما كان يعمل دائما مع الراحلين عهدا سنعمل معه .

وشكرا .

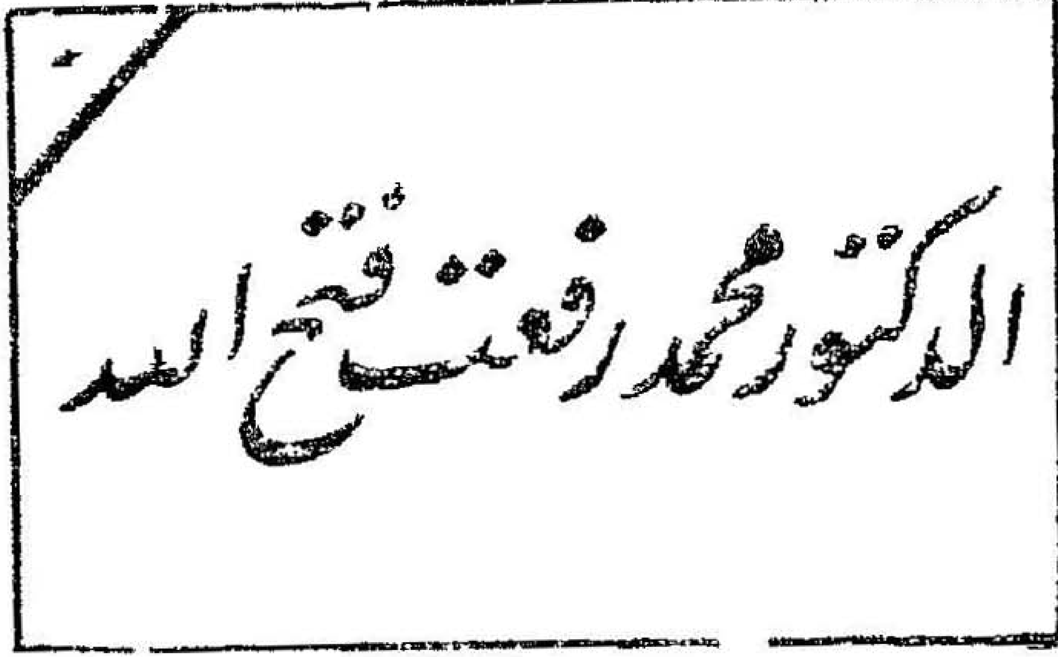
كلمة ختامية للدكتور ابراهيم مدكور

رئيس المجمع

سيداتى ، سادتى

شكر الله لكم جميعا ، ورحم فقيدنا ورفعت الجلسة

كلمة الأستاذ عبد السلام هارون
الأمين العام للمجمع

في تأبين المرحوم 

السيد الرئيس ، السادة الزملاء ، سيداتي وسادتي :

كنا أخوين فى الله ، يعرف كل منا أخاه أصدق ما تكون المعرفة ، ويقدر كل منا صاحبه على النأى والبعد ، وإذا تلاقينا طغت كوامن المحبة والود دفعة واحدة ، وكان بين اللقاء وأخيه فترات متطاولة قد تمتد إلى سنوات ، ومع هذا كان يخيل لكل منا أننا لم نفترق بعد ، وذلك لما كان يعتلج فى نفوسنا من ثقة لاحد لها ، ومن طمأنينة فسيح جوانبها عريض مجالها .

كان أزهريا وكنت درعميا ، والنسج واحد ، والنمط قريب . تعارفنا منذ زمان الطلب ، وظلت الأيام تلعب بنا وتتقاذفنا فى مدى طويل ، وألوان مختلفة من عصور الشباب والفتوة ، والآمال الباسمة . ثم علو السن والركانة ، إلى أن جمعتنا الأيام تحت سقف واحد ، فى هذا المحراب القدسى ، فنعمنا بصحبة صافية تفرضها علينا قدسية هذا المحراب . وطهر هذا الميدان الذى لا تناله ريبة فى كفاح ، أو دنس فى جهاد .

وجمعتنا الأيام مرة أخرى فى رحاب جامعة الأزهر فى اللجنة العلمية الدائمة نتلاقى فى الفينة بعد الفينة وخلنا الدهر غافيا ، أخذته السنة أو النوم ، وأنى له ذلك ، وهو الدهر ، يعرفه الأديب ويرضى بحكمه الأديب :

وكذاك الدهر مأتمه
أقرب الأشياء من عرسه

كان أخى محمد رفعت من الذين يقول فيهم القائل ، لايفرى أحد فريه . كان عقريا لماحا ، صادق العلم ، واسع أفق التفكير ، سابقاً لزمانه ، شفاف النفس والروح ، من الذين يرى باطنهم فى ظاهرهم . ما حمل ضغينة .

ولا اصطنع حقدا ، ولا انطوى على دغل ، ولا أضمر فى نفسه للأهل والصاحب عير الحب ، ولا وجد عوناً يقدر على على إسدائه لمحتاج إلا بذله وأسداه طيب الله ثراه وأكرم مثواه

فى حى الدرب الأحمر ، من القاهرة . وفى الرابع عشر من المحرم سنة ١٣٣١ والثالث والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩١٢ ولد فقيدنا فى بيت عام ومضل ، إذ كان والده الشيخ محمود فتح الله ناظرا لمدرسة دار السعادة الأميريه بالقاهرة .

وكما كان النا س إذ ذاك يلتمسون لأبنائهم شرف التعلم فى الأزهر يبدءون الرحلة بمدارس التعلم الأولى ، يبدأ شيخنا دراسته فى مدرسة طربای الشريفى بدرب القزازين حتى إذا أتم هذه المرحله دلف إلى القسم الأولى بالأزهر سنة ١٩٢٤ ثم القسم الثانوى ثم العالى سنة ١٩٣٣ فيظفر فى تفوق بالشهادة العالية سنة ١٩٣٧ .

ولا يقف طموحه عند ذلك ، وهو المتوثب الذهن الصادق العزم ، فيعمل على الحصول على شهادة العالمية (الدكتوراه) فينالها بأعلى مراتبها ، مرتبة الامتياز سنة ١٩٤٤ وحينئذ تتلقفه كلية اللغة العربية ليعمل بالتدريس بها حتى يصبح أستاذاً مساعداً فى سنة ١٩٦٤ ثم أستاذا بقسم اللغويات سنة ١٩٦٨

وهو فى أثناء ذلك تتجاذبه الجامعات المصرية والعربية ، فيبعث إلى الرياض بالسعودية ليعمل بجامعاتها من سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٥٨ ثم يندب للتدريس بكلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر من سنة ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٦٥

ثم يحمل عصا التسيار إلى جامعة بغداد بالعراق ليحاضر بها من سنة ١٩٦٥ إلى سنة ١٩٦٨ حيث يندب وكيلا لكلية البنات الإسلامية إلى سنة ١٩٦٩ ويعين بعد ذلك رئيساً لقسم اللغويات بكلية اللغة العربية سنه ١٩٧٠ وتسعى إليه جامعة بنغازى بليبيا فيعمل بها من سنة ١٩٧١ إلى سنه ١٩٧٤ وتطلبه جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان أستاذاً زائراً فى أواخر سنة ١٩٧٥ يعقب ذلك ندبه خبيراً بالمجمع لعام كامل ، وبعد ذلك يطلب أستاذا للنحو فى الدراسات العليا بكلية اللغه العربية بجامعه الإمام محمد بن سعود من سبتمبر ١٩٧٦ إلى يونية سنة ١٩٧٨

وفى الثامن من شهر يناير سنة ١٩٧٩ يختاره المجمع عضواً عاملا به ، ويظهر أستاذاً قديراً مخلصاً للغة أشد ما يكون الإخلاص ، خادماً لها أوفق ما تكون الخدمة .

وإن الحياة العلمية الطويلة العريضة ، لفقيدنا الذى سافر فضله وعلمه فى معظم أقطار العروبة ، من شرقها إلى غربها ، ومن شمالها إلى جنوبها ، وما ظاهرت به المكتبة العربية من تأليف وتحقيق ، وما

أتحف به الصحف والمجلات ، وكلماته الإذاعية – إن هذا كله لأمر جليل، ويكتب له بكثير من الثناء والتقدير

وقد خاض البحث فى علاج الكتابة العربية حين أثير الجدال فيها منذ عهد قديم وكانت له فى ذلك نظرات تقدمية بين السنوات من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤١ فنجد له بحثاً بعنوان « شكاة ورحاة » يعالج فيه الكتابة العربية ، ويحاول التغلب على مشكلات الشكل ، ويسرد اقتراحات كتابيه وذلك فى زمان علت فيه الصيحات وتصارعت الأقلام من أجل الحصول على علاج ما كان يتخيل من صعوبة الكتابة والطباعة فكان لابد لعالم مثله من أن يسهم بدلوه فى خضم ذلك التيار العارم ، ويثنى ذلك بمقالين آخرين فى صحيفة الأهرام عنوانهما . « الهمزة الحيرى » ينتهى فيهما إلى وجوب كتابة الهمزة على صورة واحدة

ومهما يكن من أمر فإن هذا كان رأيه الذى يؤمن به ، وكان دليلا على رغبته الصادقة واجتهاده فى أن يطرح خدمته فى مجال البحث مع الباحثين ، ولم يكن مع ذلك حاملا مع الحاملين .

ونجد له بحثاً آخر تنشره الأهرام سنة ١٩٣٦ حول حرف الضاد المجمعى ، يقول فيه : « وجدير بنا فى بديئة البحث أن نسأل : كم نحسب تعداد الحروف العربية ؟ لعل فى هذا السؤال ما يفجأ عيون القراء وآذان المستمعين ، والجواب عليه يعد من بداهة المعلومات . وقد تتبادر إلى الأفواه بسمة مهزأة ، لما يتبادر إلى الألسنة والأقلام الجواب عنها بأنها تسعة وعشرون حرفاً

ولكن التحقيق اللغوى يتطلب هذا السؤال ويخبأ وراءه جواباً أفجأ منه : أن الحروف العربيه بضعة وأربعون حرفاً . إى والله ، إن الحروف العربية تتدانى من الخمسين ، وإن كان الناطقون بالضاد يجهلون أخوات الضاد ، إلا أن يكون هناك من صادف – وهو عابر كتاب – نصاً أو بعض نص »

ويعقب على ذلك بنقد لتلك التسمية ونقد آخر لكتابة المجمع لذلك الحرف .

ويظل مقيدنا معنياً بعلاج الكتابة العربية ، فنجد له بعد ذلك مقالا فى الأهرام سنة ١٩٦٠ حول هذا الموضوع

ونعثر فيما نعثر مع محاضرة له فى الموسم الثقافى الرابع للأزهر فى سنة ١٩٦٢ موضوعها « الثورة اللغوية » ، يقول ، فيها .

« معاذ الله أن تكون ثورتنا على لغتنا المحبوبة : كيف وهى جزء من قوميتنا ، وعلم مرفوع على عروبتنا ، وسجل لتراثنا الخالد ، وصلة بين ماضينا وحاضرنا . ولا ننسى أن ننبه فى هذه الثورة على أمرين :

الأول . إجلال علمائنا القدامى الذين ألفوا فى علوم اللغة وقواعدها ، فبذلوا أقصى ما يستطيعون من الجهد ، وفتحوا كثيراً من

أبواب البحث والنقد ، فجزاهم الله أحسن الجزاء

والثانى أننا لا ننكر الثقافة الأجنبية كما لم ينكرها أجدادنا ، ففيها الطيب وغير الطيب . وفى استطاعة العرب أن يأخذوا طيباتها فيعربوها فى ثقافتهم العربية ، ولكننا ننكر الاستعمار اللغوى الذى يريد أن يفرض نفسه على ألسنتنا وأقلامنا

وطالب بعد ذلك بالثورة على تفسيرات المعاجم لبعض الواحد بأقوال متعددة قد تكون فى بعضها خطأ ظاهر . ولا سيما فى تقويم البلدان . أو يكون فى بعضها لثغة يعدها اللغوى لغة ، كما فى حديث الرجل الذى ذكر لرسول الله ﷺ أنه يخدع فى البيوع فقال له ﷺ « من بايعت فقل لا خلابة » أى لا خداع ، فكان الرجل إذا ابتاع يقول « لا خيابة » بالياء فنقلت عنه بالياء . وإنما هى لثغة ظاهرة

وطالب فى ذلك الوقت المبكر بوضع معجم عربى للحيوان ، وآخر للنبات ، وثالث للحياة الاجتماعية وآلاتها ، والحياة المنزلية وأدواتها ، ولفروع الفنون الخ وبذلك تتم دائرة المعارف الكبرى

ثم نراه يعيب على النحاة كثرة ما أوردوه من ضرائر الشعر حتى غلب ذلك على شواهد القواعد . ويقول إنى لأذكر أن الشيخ عبد العزيز البشرى كان يكتب جملة فى مقال ، وتذكر بيتاً جعله النحويون شاهداً لقواعدهم ، وهو فى الحقيقة شاهد للشذوذ . فظن أن ما كتبه خطأ لأنه يغاير أسلوب الشاهد ، فغير جملته إلى نحو ما فى البيت الشاذ ، ثم رأى أن ما كتبه غير مستجاد ، فتوقف بعد أن تبين له أن البيت من ضرائر الشعر .

ووجدت لفقيدنا العالم بحثاً طريفاً دقيقاً فى شواهد النحو ، حقق فيه نسبة بعض الشواهد تحقيقاً صادقاً يقول فيه « وفى مرآة النقد ينكشف بعض الشواهد فيتراءى مجهول القائل . والمنسوب إلى غير أبيه . والمصنوع المزيف . والمصاب بالتغيير وتلون الرواية . وقد نشر هذا البحث فى العدد ١٦ من مجلة المجمع .

وبحثاً آخر طريفاً فى البدل المطابق وعطف البيان فى العدد ٢٢ من المجلة ، رأى فيه فيما رأى أنهما واحد

هذا . ولم تحرم الإذاعة المسموعة من جهوده الطيبة ، فكان أول حديث أذاعه فى ٣ من فبراير سنة ١٩٥١ كلمة بعنوان (بشّار والمرأة) ومما سجله له المذياع أيضاً حديث عن التابعى الجليل أبى حازم سلمة بن دينار إمام الواعظين ، الذى مر يوماً بالجزارين فقالوا له : هذا لحم سمين فاشتر منه . قال : ليس عندى ثمن ، قالوا نؤخر الثمن قال : أنا أؤخر نفسى وقال فيه أيضاً . « ملأ أيامه بالعظات الخوالد يرويها عن نفسه ، أو يعصرها من قلبه » .

وله أحاديث أخرى . منها بحث ممتع فى الشاعر يزيد بن محمد المهلبى . الذى لم يوفه التاريخ حقه . صاحب البيت السائر المشهور

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

كان متمدنا متفائلا دائم البشر طلق المحيا . تعرف فى وجهه نضرة الرحمة . ما رأيته قط مقطب الجبين أو عابس الوجه فى طول ما صاحبته وعاشرته وما أجمل ما كتبه فى مقال له بمجلة الإذاعة المصرية (ديسمبر سنة ١٩٥١) يقول فيه « ماذا على الناس لو ابتسموا ابتسامة حسانة وهى لا تكلفهم شيئاً ؟ إن حملها يسير وثمرها قصير . ولكنها قد تحمل معنى كبيرا . وتدوم ذكراها طويلا » ويقول « إن الابتسامة الحلوة الليّنة الحالمة للألفة القاطعة للوحشة تداوى أدواء النفوس . وتضمد أجراح القلوب . وتشعر الناظر أن المبتسم مقبل عليه . منبسط به بلا كراهة ولا ملالة

ومقالاته العلمية والأدبية كثيرة العدد منها (الناس خطأ والصواب العلى – الأهرام ١٣ / ٩ / ١٩٣٢ . ومنها (مخاصير العرب » أن العداءون كالشنفرى وتأبط شراً – كلاهما فى الأهرام سنة ١٩٣٢ وكذلك نشر له الأهرام فى ٢٥ مايو سنة ١٩٤٩ نقداً عنوانه (كتاب الجمهرة والعلماء) وهو رد على مقال لجبران النحاس فى الأهرام عنوانه (كتاب الجمهرة وأسمار الليالى) .

ونشر له مجلة الشباب (يوليو سنة ١٩٤٨) مقالا لغوياً يذهب فيه إلى أن ضبط صهيونى إنما هو بكسر الصاد . كما يذهب فيه أن يكون فى النسبة إلى فلسطين فلسطى وفلسطيّة للمذكر والمؤنث . وأن يكون الجمع فلسطيين وفلسطيات

كما نشرت له مجلة المقتطف (فبراير سنة ١٩٣٥) مقالا فى الرد على كتاب أغلاط اللغويين الأقدمين للأب أنستاس مارى الكرملى وأخرى فى نقد تحقيق محمد سليم الجندى لرسالة الملائكة للمعرى (المقتطف يناير سنة ١٩٤٥)

ونشرت له صحيفة البلاغ نقدا لكتاب النثر الفنى لزكى مبارك . كما كتب فيها مقالا عنوانه (فى المصريين شعراء) . أى شعراء عظام جدا . ذكر فيها أن أبا تمام يعد شاعرا مصريا إذ تسلمته مصر صغيرا وكان يسقى الماء فى جامع عمرو ابن العاص . وهو إذ ذاك مثابة العلم والأدب . وقال الشعر فى مصر وخرج منها شاعراً . ويستشهد لذلك بقول البحترى « سمعت أبا تمام يقول « أول شعر قلته

ترى حسناتى لست طوع مؤنبى
وليس حبيبى إن عذلت بمصحب

ومدحت بها عيّاش بن لهيعة فأعطانى خمسة آلاف درهم

وهى القصيدة التى يقول فيها .

أو أن امرأ القيس بن حجر بدت له
لما قال مرا بى على أم جندب

ويقول لممدوحه فيها .

وأنت بمصر غايتى ، وقرابتى
بها ، وبنو أبيك فيها بنو أبى

ويشارك أبو رشيق (ورشيق هذا أكبر أنجاله) يشارك فى مجال القصة ، فيكتب فى مجلة الأستديو (٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٨) قصه مصرية بعنوان (معمل) ، كما يكتب فى مجلة الرساله قصه بعنوان (عطر المنصور) فى عددين منها . كما كتب لمجله (مسامرات الجيب) مقطوعه أدبيه عن (الجمل) وكانت هذه المجلة قد طلبت إلى عدد من الأدباء اختيار واحد من أنواع الحيوان ليكون موضوع حديث أدبى فصنع هذه المقطوعة نثرا وشعرا ، فكان مما قال :

جلا جلال الصحارى فى ابنها مثل
لولا الجمال لما قيل اسمه الجمل

اللون للرمل والأخلاق هادئة
كالجو ، وهو مديد الخلق مكتمل

يقول فيها :

لقد تكره لحم الإبل طائفة
واستطعم الناس لحم الناس فاشتكلوا

وفى مجال التحقيق نجد له نشاطا مع رفيق حياته الأستاذ محمد شوقى أمين فى تحقيق الجزأين الأول والثانى من ديوان بشار بشرح العلامة محمد الطاهر بن عاشور سنة ١٩٥٠ و ١٩٥٤ كما حقق الجزء العشرين من كتاب (١) نهاية الأرب للنويرى سنة ١٩٦٥ والجزء السادس من معجم لسان العرب سنة ١٩٦٥ أيضا .

ومن جهوده البارزة فى المجمع مع قصر مدته فيه بحث فى اسم المصدر ، وآخر فى إجازة نحو قول القائل . أنا كباحث أقرر . إن وأخواتها النوويات . والإضافة اللفظية . المولد إسناد الماضى الأجوف إلى الضمائر .

هذا إلى ما كان من اشتراكه فى معظم اللجان اللغوية فى المجمع ، وما كان له من نظرات ثاقبة صالحة فى كل منها .

وإن المجمع ليذكر له جهوده الصادقة بالثناء والعرفان ، ويعد فقده خسارة جسيمة فيما كان يأمل منه ومن علمه وجهاده فى سبيل التحقيق .

وأما بعد فماذا أقول وماذا أدع من رحل أجمع عارفوه على تبجيله ، والقول بتفضيله

أقول وقد فاضت بعينى عبرة
أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

أخلاى لو غير الحمام أصابكم
عتبت ، ولكن ما على الدهر معتب

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاربعاء ١٦ من رجب سنة ١٤٠٤ هـ ، الموافق ١٨ من ابريل سنة ١٩٨٤ م ، أقام المجمع حفلا لتأبين فقيده المرحوم الأستاذ المهندس احمد عبده الشرباصي (عضو المجمع) ، وها هي ذي الكلمات التي ألقيت في هذا الحفل

كلمة الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

نودع اليوم رجلا والرجال قليل ، ولتودع صديقا ، وما كان أوفاه من صديق عرفته منذ ثلاثين تقريبا ، فقد جمعت بيننا هيئة كانت تسمى مجلس الإنتاج ولم تخل من أخذ ورد وتأييد ومعارضة . وأشهد أن الشرباصي لم يكن يخشى في قول الحق لومة لائم . وأشهد أيضا أنه كان حجة في شئون نهر النيل ومجراه ولا غرابة فقد عاش معه حياته كلها ، وتابع مسيرته من منبعه إلى مصبه وأسهم في بعض أعماله الكبرى وبخاصة خزان جبل الأولياء الذي يعد من بناته ومشيديه

وكثيراً ما ذكرني بمهندس آخر أسن منه وأسبق زمنا ، أحبه وتعلق به ، وسار على نهجه وصاحبه في ركبه ولاقى في سبيله بعض العنت ، وأعني به عبد القوي أحمد الذي زاملته بضع سنين في اللجنة المالية بمجلس الشيوخ إبان عصرها الذهبي ولم يلتق الشرباصي مع عبد القوي أحمد على هندسة الري فحسب بل التقيا على ذوق أدبي ملحوظ وقل بين من عرفته من السادة المهندسين من عني بجمال الأسلوب والعبارة ، عنايته بدقة الرسوم والأشكال ، كما صنع عبد القوي أحمد وأحمد عبده الشرباصي

والشرباصي كاتب وأديب بعض رملائه الراحلين تسمو إلى مستوى الأدب الرفيع

ولا غرابة فقد بدأ تعليمه في كتاب القرية ، وحفظ فيه نصف القرآن وما تجاوز السابعة من عمره ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية والثانوية وتتلمذ لأمثال فريد أبو حديد ، وأحمد رامي فحبب إليه الشعر والنثر ، وحفظ من قديمها الشيء الكثير وكان لإسهامه في ثورة سنة ١٩١٩ ما دفعه إلى تجويد القول والخطابة ويظهر أنه كان أميل إلى الدراسات الأدبية والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، ثم قطع الجهاد الوطني عليه الطريق ، وسجن زمنا وما إن خرج من سجنه حتى اتجه نحو مدرسة المهندسخانة ولم تصرفه هذه المدرسة عن هواه القديم فتابع قراءة كتب التراث من أدب وتاريخ وحديث

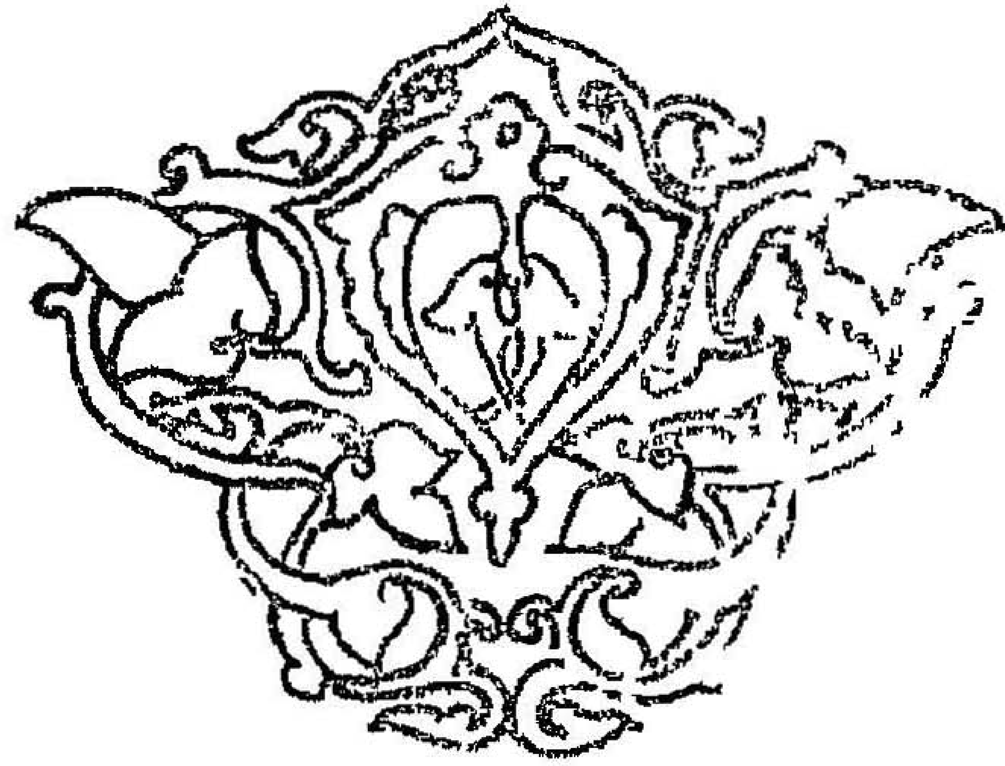
وتفسير وكانت له مجالس أدبية وعلمية جمعت بين شيوخ الأزهر وكبار العلماء المعاصرين

وفى عام ١٩٦٥ حظى مجمع اللغة العربية بعضويته ، وتشاء الصدف أن يشغل المقعد الذى كان يشغله لطفى السيد ، والرحلان من كبار أعلام الدقهلية .

فجاء خير خلف لخير سلف وإذا كان لطفى السيد قد عد بحق أستاذ الجيل وشيخا فى اللغة والقانون ، فإن الشرباصى كان من كبار المهندسين المدنيين ، وله ذوق أدبى معروف ، واطلاع لغوى شامل وطوال تسع عشرة سنة ما استطاع أن يسهم فى أعمال المجمع فى لجانه ، ومجلسه ، ومؤتمره ، برغم ما اضطلع به من أعباء جسام .

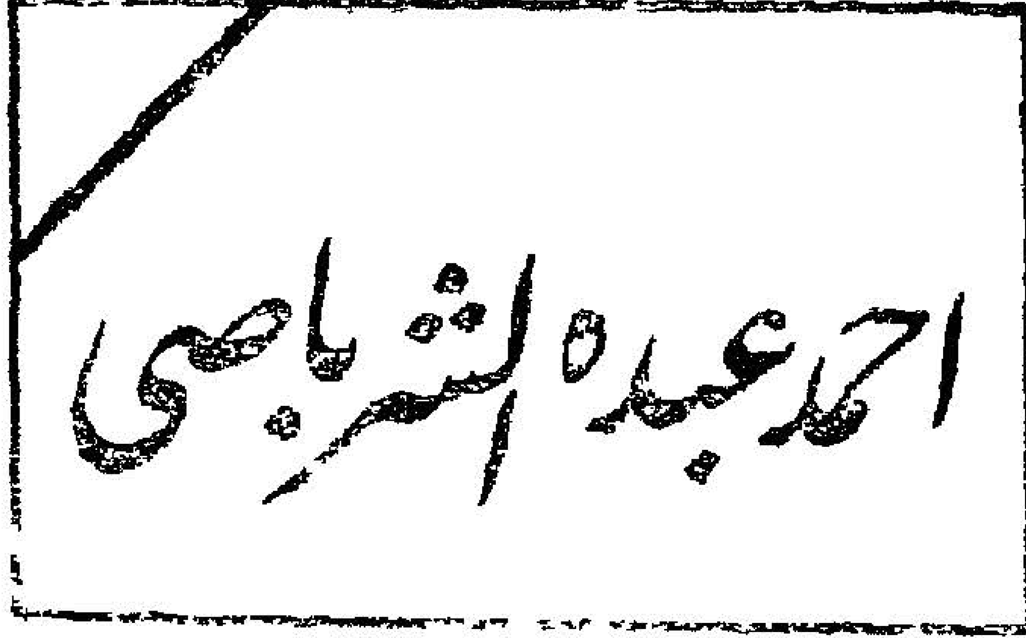
وهو أستاذ الهيدرولوجيا الأول ، وحرر فيها مع زملاء له معجماً متخصصاً هو تحت الطبع الآن ، ويعده المجمع خير أحياء لذكراه .

تغمده الله برحمته وجزاه خير الجزاء



كلمة الدكتور عبد العزيز السيد

فى تأبين المرحوم الأستاذ المهندس



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الزملاء الأجلاء

الواقع أن الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع لم يترك لى شيئا أقوله كما فعل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بمدير جامعة الإسكندرية فى إحدى المناسبات مما جعل مدير الجامعة يقول إن الرئيس عبد الناصر لم يترك له شيئا يقوله فقد أحاط الدكتور مدكور بكل جوانب الموضوع الذى كنت أود تناوله ولهذا فإنى أشكره فقد وفر على الكثير .

فقيدنا الكريم . . . .

قد كنت أوثر أن تقول رثائى

يا منصف الموت من الأحياء

لكن سبقت وكل طول سلامة

قدر ... وكل منية برجاء

نعم لقد مات أحمد عبده الشرباصى ، وهذه الحفلة الحافلة هى حفلته الأولى ، إى وربى ، وهذه الجموع الحاشدة جاءت لتسمعه خطيبا محدثا ، لا وربى بل حديثا يروى ، وهذه الأبصار الشاخصة قد ألهبها بريق ناظريه ، لا وربى بل حرقة الذكرى

إذن قد مات ذلك الذى كان إلى الأمس ننادى أنه إذا ارتطم الموج بصخر وانحسر ، وإذا امتدت إليه يد الحوادث ارتد القدر سبحانك ربى معك الوجود وإليك المقر .

والواقع أن الناس يختلفون أمام الموت اختلافهم فى الحياة ، فمنهم من يعيش معمورا ثم يموت فيبكيه الأهل والأصدقاء ، ثم يذهب إلى زوايا النسيان ، ومنهم من لا يبكيه الناس وإنما يعجبون به فى الخطوات التى خطاها إلى رحاب الموت ، أولئك هم الشهداء .

ومنهم من يرتاع الناس لموته ارتياعهم للجبل إذا اندك والنجم إذا هوى ، ومن هولاء أحمد عبده الشرباصى ، ارتاع

الناس لموته ، وهؤلاء ينقلون من دار الفناء إلى دار الخلود لأن ورثتهم هم الناس جميعا ولأن أفكارهم وآراءهم وقيمهم تبقى بعدهم تتخطى حدود الزمان والمكان يأخذ كل امرىء منهم بقدر ما يستطيع ، ويعيش على هذه الأفكار .

ولقد عرفت أحمد عبده الشرباصى زمنا طويلا ، عرفته فى بور سعيد ، وعرفته بسان استيفانو بالإسكندرية ، وكل هذا ونحن على صلة قائمة دائمة به ، والواقع أن أحمد عبده الشرباصى زادت صلتى به عندما كنت وزيرا للتعليم العالى ذلك لأنه كان يختلف إلى ومعه حوائج الناس جميعا يريد أن يقضيها لهم ، لم يكن له ولد ولم يكن له خلف ، ولكن جعل الناس جميعا أولاده فكان يقضى حاجاتهم فى غير كبرياء ، والواقع أن الكبرياء أشد صرامة من الخضوع .

هذا هو الأستاذ المغفور له أحمد عبده الشرباصى كما عرفته فى حياته فإذا كنت الآن أتوجه بكلمة ، فإنى أتوجه بكلمة إلى الله أن يغفر له ، وأن يدخله جناته وأن يكون فى خير ما يكون المؤمن يوم القيامة وأثابه عما قدمه لأهله ووطنه ومحبيه خير الجزاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد العزيز السيد
عضو المجمع



مرثية الدكتور ابراهيم أدهم الدمرداش

في تأبين المغفور له

المهندس أحمد عبده السرباصي

صديق العمر مثلك وأنت مثله ... سواء في الحياة أو الممات
يشاطرك المعيشة في حياة ... وتذكر قبره بعد الرفات
فلا عيش يروق بغير خل ... يبادلك المودة في الحياة
وطوبى للصديق له صديق ... ووصل للعقيم من الصلات
إذا قسم السرور يصير ضعفا ... اكل من جزئيات الشتات
وإن قسمت حزنك بين جمع ... يصيب المرء جزء من فتات
صديق العمر روح فوق روحي ... كأني عشت ضعف الكائنات
يموت بموته نصفي وأحيا ... بنصف الروح ما بقيت حياتي
فلا أنا كامل حي كغيري ... ولا أنا ميت كل الممات
محمدا رثا عن كل ماض ... ولطفا [illegible] في كل آت
وزير النيل حسبك كل سد ... أقمت وما رويت من الموات
وقنطرة وهدار وجسر ... ومشروع لصرف أو قناة
وعدل كل يوم بين شرب ... وآخر في جميع الحاصلات
أتيت لمجمع الفصحى زميلا ... خبيرا بالعلوم المستحدثات
فصيحا في الكلام بغير عجمى ... مبينا في الخصام مع الثقات
يحاول ما استطاع وجود لفظ ... يضاهي الأجنبي من اللغات
ولا يرضى من الفصحى بديلا ... لأسماء وفعل أو صفات
فإن لم يستطيع فتراه يرضى ... على مضض بتعريب النحاة
ويرجع في العسير من القضايا ... إلى «المصباح» من دون الرواة
تمسك بالعقيدة لا يبالي ... إذا كان الكلام مع الغلاة

صريح فى سياسته شجاع يقول الحق فى وجه الولاة
تنوح عليه « فكتوريا » و « تانا » ودلتا النيل بين النائحات
وغيض الماء من حزن عليه وحل محله دمـع المكـاة
ونكست الشراع على سفين وعطلت الملاحة فى القناة
ويبكى النيل فى شطريه نجلا سليل التبر والماء الفرات
سلام عاطر يهدى إليـه سلام فى الحياة وفى الممات
وموعده القيـامة يوم بعـث وأجر الباقيـات الصالحـات
لعمرى أنت حى عند ربى لعمرى نحن أموات الحيـاة
جـوار الله للأبرار خـير ونعم الدار دار الباقيـات

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا » .

(صدق الله العظيم)

ابراهيم أدهم الدمرداش
عضو المجمع

كلمة الختام

للدكتور ابراهيم مدكور

سيداتى وسادتى

شكر الله لكم جميعا ، وعزاؤنا الخالص إلى أسرة الفقيد ، وهى تعلم أننا جميعا فى العزاء سواء ... ورفعت الجلسة .

كلمة الأسرة

للدكتور فرج أحمد الشرباصى

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» صدق الله العظيم.

بالأصالة عن نفسى وعن عائلة الفقيد الجليل المرحوم المهندس أحمدعبدهالشرباصى أتقدم بالشكر العميق للسيد الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية والسادةالأفاضل أعضاء المجمع ،علىإقامةهذا الحفل لتأبينفقيد مصروالعروبهوالإسلام. كما أشكر السادة الأجلاء الذين تفضلوا بإلقاء كلماتهم فى تأبين الفقيد نثرا أو نظما . وأشكر أيضا كل من حضر الحفل وفاء لسيره الفقيد العطرة وعطاءاته المثمرة وعطاءاته تلك .. كانت ولاتزال . وستظل محفورة فى قلوب الناس جميعا . هى لمسات إنسانية تركت بصماتها فى حياة المحيطين من الأقارب والأصدقاء ... من المعارف والأحياء.. من المرتادين . والمريدين

كان بيته كعبة يحج إليها كل ذى فكر وعلم ...

كم كان للحوار من أوقات .. كما كان للفكر من جلسات .

كم كان للناس من حاجات كما كان فى الكثير من حسنات .

ثم سمعنا أن رجلا قد مات ... والرجال قليل ...

إن الكلمات لا تسعفنى كى أوفى الفقيد حقه ..

ذلك الحق هو دين فى عنقى لا تسدده الكلمات مهما عظمت ولا تسعه الحياة مهما رحبت ..

كان رحمه الله صاحب رسالة فى الحياة أشبه ما تكون بشجرة ماركة أصلها ثابت فى أرض من الحب والوفاء ... وفروعها فى السماء تثمر بالعطاء .

حقا..يشق على أن أقف فى موقف مثل هذا وتأثيره على أكبر مما تستطيع الكلمات أن تعبر عنه .وأجدنى حائرا فى تلك الشخصية العبقرية التى احترت فيها ولا زلت فى حاجة إلى المزيد و المزيد من التعمق ومحاولة استخلاص العبر والدروس فى الحياة

لذا كان دينه على حقا له لا أوفيه مهما قلت فيه ..

كان رحمه الله علما من أعلام مصر الحقاقة ترك وراءه تراثا غير مكتوب وأعمالا عبر

مرثيه . هي تلك السمات الإنسانية التي حصرها في قلوب الناس جميعا كان دائم العطاء بلا انتظار لكلمات الامتنان كان اقتناعه أن رسالته هي قضاء حاجات الناس لم يرد سائلا أو ملهوفا كان شعارنا للطالم والتعسف ، وقف أن ركن الكثيرون إلى الهدوء والسلامة وكان لشخصيته حضور عند الجميع سواء من معاصريه أو من الذين تتلمذوا على يديه أو حتى سمعوا عنه وحتى أيامه الأخيرة كان متفاعلا بكل وجدانه وتفكيره مع مشاكل الوطن العامة ومشاكل الناس الخاصه

كانت له علاقات متعددة فمعرفته بأنساب العائلات وصلاتها منذ القدم إلى الآن تكاد تكون إعجازاً غير قابل للتكرار . كان آخذا بالعقول والألباب مقنعا آسر الحديث . قوى المنطق ، سليم الحجة . .

يجله السائل ورداعه دايفيض بعذوبة الحديث وصدق المناظرة كان جامعة فكرية ملما بكل تخصص من أنواع المعارف والعلوم . فتجده مهندسا وقانونيا واقتصاديا وتاريخيا واجتماعيا وفلاحا وطبيباً ولغويا ودينيا وأديبا وغيره الكثير من التخصصات الدقيقة التي يتحدث فيها فيها بلا ملل أو كلل ، حديث المتمكن الواثق من قناعاته وآرائه المستخلصه من القراءات والتأمل .

وتكامل جوانب شخصيته واهتمامه بالأمور العامه جعله إنسانا مرموقا فوق كل الخصومات والعداءات والتحزبات بين الناس ولعل تشييع جنازته كان أصدق دليل على هذا فقد كان رمزا عظيما للحب والوفاء وقيمة كبيرة تستحق اجتماع الأضداد قبل الأمثال فهو ليس ملكا لأحد ولا يخص واحداً بعينه بل هو مخصوص وفريد

وفي كلمه واحدة كان إنساناً .

هو في ذمة الله في السماء وفي قلوب مريديه ومعارفه وأصدقائه في الأرض . ضرب مثالا حقياً في الوطنيه المخلصة ، إن العطاء الوطني لا يعترف بانتماء حزبي أو فكري فالباب مفتوح دائما للوطنيين في أي زمان وتحت أي سلطان

إن مصر لا تنسى رجالها الشرفاء الأوفياء الذين ضحوا من أجلها بكل غال ونفيس والفقيد العظيم قد أعطى لمصر عمره وحياته ، حبه وشبابه كهولته وشيخوخته . .

طيب الله ثراك يا فقيد مصر الغالى . .

وعشت يا مصر عزيزه بأمثالك المخلصين وفي موكب تاريخك العظيم فقيدك البار وابنك المخلص ، عاشق النيل . المرحوم المهندس أحمد عبده الشرباصى

شكرا لكم

والسلام عليكم ورحمة الله